İYE

تاريخ اليميني من تأليف الإمام الفاضل المقام أبي النصر
محمد بن عبد الجبار العتبي مفخر الكتاب ومحمد الآداب
نور الله حفرته وبيض غرته في شرح أخبار السلطان
يمين الدولة وأمين الملة أبي القسم محمود بن سبكتكين
وصحح مقاماته في غزواته وأسفاره
وما يتصل بها من أخبار ولاة الأطراف
في خوارزم شكر الله سعيه محمد وآله
وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

Süleymaniye U Kütüphanesi
Hasan Hüsnü Pş
832

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته
البعيد بعزته الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر
بلا ممانع والقاهر بلا منازع والعزيز فلا يضام والمنيع
فلا يرام والمليك الذي له الاقضية والاحكام الذي
تفرد بالبقاء وتوحد بالعز والسناء واستأثر بأحاسن
الأسماء ودل على قدرته بخلق الأرض والسماء كان ولا مكان
ولا زمان ولا بنيان ولا ملك ولا إنسان فأوجد المعدوم
ابداعا وأحدث ما لم يكن انشاء واختراعا جل وتعالى فيما
خلق عن احتذاء صورة واستدعاء مشورة واقتفاء رسم
ومثال وافتقار الى نظر وقياس واستدلال ففي كل ما ابدع
وصنع وفطر وقدر دليل على انه الواحد بلا شريك ووزير

والقادر

والقادر بلا ظهير ونصير والعالم بلا تبصير وتذكير
والحكيم بلا روية وتفكير والحي الذي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير رفع السماء عبرة للنظار وعلة للظلم
والأنوار وسببا للغيوث والأمطار وحيوة للحول والقفار
ومعاشا للوحوش والأطيار ووضع الأرض مهادا للأبدان
وقرارا للحيوان وفراشا للجنوب والمضاجع وبساطا للمكاسب
والمنافع وذلولا لطلاب الرزق وأرباب الصنائع وأشخص
الجبال أوتادا راسية وأعلاما بادية وعيونا جارية و
أرحاما لأجنة الأعلاق حاوية وجعل البحار مغايض لفضول
الأنهار ومغائر لسيول الأمطار ومراكب لرفاق التجار ومضارب
لمصالح الأمصار ومناهج الأوطار تحوي من الدر والمرجان
نباتا وتنبع بين الملح الأجاج عذبا فراتا وتقذف للآكلين
لحما طريا وتحمل للابسين جواهر وحليا واستخلف على
عمارة عالمه من انتجبهم من خلقه وآثرهم بالهامه وذكرهم
بأوامره وأحكامه وكان أعلم بهم من ملائكته حيث قالوا

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وأقام عليهم مهيمنا من لدنه
يهديهم الرشاد ويحذرهم الفساد ويرجيهم الثواب و
ينذرهم العقاب ولم يقتصر على ما أقامه به من الحجة
وأوضحه من المحجة حتى ابتعث الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
بالمعجزات الباهرة والدلالات الزاهرة والبينات المتظاهرة
داعين إلى توحيده ونادبين لتسبيحه وتمجيده فأزاح بهم العلة
وأزال الشبهة وأفاد سكون النفوس ونفى خلاج الشكوك
ولم يزل يستحدث من يشاء من خليقته موسومين بسنن
الأنبياء ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والأمراء
حتى انتهت نوبة الخلق إلى زمن النبي المصطفى الأمين المجتبى
الأبطحي الأزكى المرتضى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله
الأخيار الورى فأرسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا وجعل أمته أفضل الأمم وكلمتهم أعدل
الكلم وملتهم أوسط الملل وقبلتهم أسدّ القبل وسنتهم أقوم

السنن وكتابهم أشرف الكتب ووعدهم أن يكونوا يوم العدل
والقضاء الفصل شهداء على من يظهر الجحود وينكر الواحد
المعبود قال الله تعالى جده وهو أصدق القائلين وأحكم الحاكمين
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و
يكون الرسول عليكم شهيدا فنسخت بشريعته الشرائع وبصنيعته
الصنائع وبدليله الأدلة وببدره الأقمار والأهلة وانتشرت
نبوته مسداة بالخلوص ملحمة بالإخلاص معلمة بالتمام
مطرزة بالدوام على تعاقب الليالي والأيام لم يفرط فيما من
شيء يقتضي تماما ويستدعي روية وإحكاما قال الله تعالى
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام دينا فأطلق على الدين لفظ الكمال لاستقامته على
غاية الاعتدال وانتفائه عن عوارض النقص والاختلال
إلى أن قبضه الله جل ذكره إليه مشكور السعي والأثر ممدوح
النصر والظفر مرضي السمع والبصر محمود العيان والخبر واستخلف
في أمته الثقلين اللذين يحميان الأقدام أن تزل والأحلام أن تضل

والقلوب ان تمرض والشكوك ان تعترض فمن تمسك
بهما فقد أمن العثار وربح اليسار ومن صدف عنهما فقد
أساء الاختيار وركب الخسار وارتدف الادبار اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما
كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج الليل
عن الصباح واقترن الغرر باطراف الرماح ونادى المنادي
بحي على الفلاح صلاة تكافي حسن بلائه وتضاهي
سابق غنائه وتقضي فرض طاعته وتقتضي فضل شفاعته
وسلم تسليما وبعد فان الدين توامان فالدين
اس والملك حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس
له فضائع والسلطان ظل الله سبحانه في ارضه وخليفته
على خلقه وامينه على رعاية حقه به تتم السياسة في
عليه تستقيم الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث
والفتن وبآياته تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لاختل
النظام وتساوى الخاص والعام وشمل الهرج والمرج وعم الاضطراب

والهيج واشرابت النفوس الى ما في طباعها من التباغي
والتباين والتفاضل والتمايز حتى يشغلهم ذلك عما
يصلحهم معاشا ومعادا ويقيم اودهم يوما وغدا والى
هذا المعنى يلتفت قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يزع
السلطان اكثر مما يزع القرآن اذ كان اكثر الناس يرون ظاهر
السياسات فيردعهم خوف المعاقبة وحذار المواخذة
عن تنكب الجدد والعدول عن السمت المقصد ومن لنا
بمن يستقري آي كتاب الله تعالى بفكره ويتدبرها بعقله
ويجعل لنفسه منها اماما يمد به الى الاصلح وزماما يثنيه
عن الاقبح فيكون مؤدب نفسه ومقوم ذاته ورائض اخلاقه
وعاداته ومعنى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه منتزع من
قوله جل ذكره لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك
بانهم قوم لا يفقهون فموضوع السيف للعامة ومجموع القرآن
للخاصة وان كان الجميع في معاينه مشتركا وباوامره
ونواهيه مشتبكا فان العاصي يرى السيف فيرتدع والخاصي

يرى الحق فيتبع فشتان ما بين مدبر ومستخبر بغيره ومؤدب
ومهذب بنور ربه وقد كان يختلج في صدري معنى قوله
تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب
ان الله قوي عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على
تنافر ظاهرها من المناسبة وبعدها قبل الروية والاستنباط
عن جوار المشاكلة والمجانسة وسألت عنه عدة من اعيان
العلماء المذكورين بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير
فلم احصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدور
وينقع الغلة حتى اعملت التفكر وانعمت التدبر فوجدت
الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين
سبل المراشد ويفصل جمل الفرائض ويتضمن مصالح الابدان
والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود وقد حظر
فيه التعادي والتظالم ورفض التباغي والتخاصم وامر بالتناصف

والتعادل في اقتسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء
وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب بحسب
الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتاجوا
في استدامة حيوتهم باقواتهم مع النصفة المندوب
اليها الى استعمال آلة للعدل يقع بها التعامل ويعم معها
التساوي والتعادل فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي
الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته
فيهلكوا به اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع سوغ ظلم
البعض منهم على البعض ويدل على هذا المعنى قوله جل ذكره
والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء
علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات فكان ما
يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حيوتهم مضطرا الى
ان يكون اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن
يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فيه فنبه الله جل وعز

على موقع الفائدة فيه والعائدة به بتكرير ذكره فكان
ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم
ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة
للتعامل بالسوية انما يحفظ العام على اتباعهما ويضطر
الخاص الى التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى
على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو
بارق سطوته وشهاب نقمته وجذوة عقابه وعذبة
عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله تعالى
بالباس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب
متدانية الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع
فظهر بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله
على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن
له في ارضه واحق الولاة بان يكون شريفا نبيها وعند الله
تعالى كريما وجيها من كانت عنايته بنصرة الدين وحماية
بيضة الاسلام والمسلمين اوفر واوفى ومجاهدته لاعداء المارقين
عن

عن شرايعه المارد من دون حدوده وفرائضه بنفسه و
ماله ورهطه ورجاله اشرح للصدور واشفى وقد علم
ابناء البدو والحضر وانشاء المدر والوبر من حيث مد
الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في افق الغرب ان راية
الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق يقينا و
اوسع علما واوقع حلما واسد سيرة واخلص سريرة واتم
وفاء واعم سخاء واوفر حياء واغنى غناء واعظم قدرا
وافخم ذكرا وامد باعا واشد امتناعا واجل جلالة واكمل
عدة والة وارفع ملكا وسلطانا واطوع انصارا واعوانا
وابرع سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه وانفى للشرك
ومنتحليه واعدى للباطل ومن يليه اكتسابا ووراثة وطباعا
واستفادة من الامير السيد الملك المؤيد يمين الدولة و
امين الملة ابي القاسم محمود بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين
اطال الله بقاءه ملك الشرق بجنبيه والصدر من العالم
ويديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من ثالث الاقاليم وخامسها

في حوزة مُلكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها
العريضة في قبضة مُلكه ومصير أمرائها وذوي الألقاب
الملوكية من عظمائها تحت حمايته وحيازته و
استبدادهم من آفات الزمان بظل ولايته وزعامته
وإذعان ملوك الأرض من بعدهم لعزته وارتجاعهم
من فايض هيبته واختراسهم على تقاذف الديار وتحاجز
الأنجاد والأغوار من فاجئ ركضته واستخفاء الهند
والروم تحت جيوبها عند ذكره وافتقارهم لمهب
الريح من أرضه وقد كان أدام الله دولته مذ لفظه
المهد وجفاه الضرع وانحلّت عن لسانه عقدة الكلام
واستغنى عن الإشارة بالإبهام مشغول اللسان بالذكر
والقرآن مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود
الهمّة إلى معالي الأمور معقود الأمنية بسياسة
الجمهور لعبته مع الأتراب جدّ وجدّه مستكدّ بالم
لما لا يعلم حتى يقتله خبراً ويحزن لما يحزن حتى يدمثه

قسراً وقهراً وكان الأمير الماضي أنار الله برهانه يرى الدنيا
بعينه ويسمع بأذنه وينطق بلسانه ويستحلي مذاق
العيش به ويستطيب روح الهواء بقربه ويستفتح مغالق
الأمور بيمنه ويستنجد عواقب الخطوب باسمه ولم يزل
بين سحره ونحره إلى أن استتر لشدّة رويّته البلوغ وبصيرة
الإدراك عن نحره ولم ينفكّ يتدرّج بين ألطافه وكراماته
وولاياته واقطاعاته من رتبة إلى أخرى أعلى منها مكاناً
وأرفع شأناً إلى أن ولي قيادة الجيوش العساكر بخراسان
وهي الرتبة التي طالما يتناحر عليها أكابش الرجال وقروم الأبطال
فلم يحظ بها إلا العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق
وتسامع بهم رحالات خراسان والعراق سناءً وقدراً ودهاءً
ونكراً ومهابة وحشمة وتناهية ونعمة هذا على طراءة
سنّه ونضارة غصنه وعنفوان أمره وريعان شبابه و
عمره كما قيل: قاد الجيوش لخمس عشرة حجّة ولداته إذ ذاك في
أشغال تعدّت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال

وهلم جرا الى ان ملك خراسان باسرها وزاولستان عن
آخرها وبلاد نيمروز بحذافيرها وجبال الغور على حصانتها
ودوخ السند فاستباحها وغزا الملتان فاجتاحها و
توغل الهند عوداً على بدء فنكا جراحها واذل لقاحها و
جاس مغانيها وربايعها وافتتح صياصيها وقلاعها واقام
عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن مشاهد البهتان
معاهد التوحيد والايمان فصارت الاطفال تهدد في
بطالاتها باقدامه وتفزع باقبال الويته واعلامه فظل
انداالهم وجبالهم وكماتهم وابطالهم كما قال الاشجع السلمي

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ∴ رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا هدا ∴ سلت عليه سيوفك الاحلام

وحاز الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة بالاسم
والجسم والظفر باجانب الاعداء في وقايع تعز صبر النفوس
على امثالها وتكاد الارض تمور من اهوالها ما لم تسمع بمثله
خبر لاحد من الملوك الا عن اساطير الاولين اريد بها التهويل

العرم والعارم والاعرم الذي فيه سواد وبياض في البيض العوام جمله في الصبي
ثم استعمل في العين ... غرام الصبي ...
والسبل ... ذكره

والتطويل والتعجيب والتغريب دون الحقيقة التي تشهد بها
العيان وتقوم عليها البيان والبرهان فلو نشرت صحائف
الدول الاسلامية وايام الملة الحنيفية لكانت دولته
غرة تلك الدول ومساعيه فيها طراز تلك الحلل اذ
لم يقتن احد من سلف الملوك من غرر المآثر وزهر المناقب
والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه وبابيه وآثاره ومساعيه و
لما حاز الله له كرائم الخصال طبع المكيال في معاني الكمال
سياسة ازرت باردشير في زمانه والمنصور في سلطانه
وهيبة خفقت لها جنادب الليالي النائمة وخمدت عليها
عيون الاراقم العارمة وعدلا صح بين الضدين حتى النار
الى الماء والف بين الذئاب الطلس والشاء فكفيت الانياب
شبا الاطراف والقرون صلابة الاجواف وكانت ايامه
مشغولة بمر السياسة عن ثمر الدراسة وبفرض السيادة
عن نفل الاستفادة لطف الله تعالى له باولاد كالنجوم الزواهر
بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر بل العقبان الكواسر من لم

يرمق الألحاظ أشخاصًا توازنهم فخامةً وجلالًا ووسامةً
وجمالًا وسعادةً وإقبالًا وسماحةً وإفضالًا وعلومًا و
آدابًا ولفظًا وكتابًا وحفظًا وحسابًا وأخلاقًا مرّةً وعذابًا
يجمع الله له تمام السعادة وقصر عليه أدوات السيادة
فما زال يرتبهم في حضن الحدب ويصنعهم في مضمار الأدب و
ويروضهم بين الكتاب والكتب حتى يحاني حجاف الملك منهم عن شموس
الأيام وبدور الظلام وبحور الكلام وليوث الزحام وحدود الحسام
وفرائد النظام وزند الليالي والأيام فاسرأبت إليهم الآمال والهمم
وتناعت بهم الدواة والقلم كذلك يصنع الله بعباده في كل زمان
ويلطف لذوي العلوم في حبّ كل سلطان وقيّض الشيخ الجليل
شمس الكفاة أبا القسم أحمد بن الحسن لوزارته وتدبير أمور
مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترةً من أحرار الرجال
وأبناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يصنع شرواه
في مضماره سجاحة شيم ورجاحة كرم وسماحة كفّ و
فصاحة قلم وهمّة ترى الدنيا هباءةً بين أخواتها الثائرة بل نقطةً

موهومةً من نقط الدائرة وغدت سدّته ميقاتًا للفضل
وأهليه وسوقًا للأدب ومنتحليه تجلب إليه بضاعات
الفضائل بين منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنّف
طبقات الأدباء والكتّاب تصانيف في ذكر أيامهم وتصاريف
أحوال الزمان بهم بحسب قوّتهم في البيان وسهمتهم من
بلاغة الخاطر والبنان حتى أنّ أبا إسحق إبراهيم بن هلال
الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في أخبار الديلم موشّى
بحبر ألفاظه الساحرة ومغشّى بحلل معانيه الزاهرة
فحلّ عقد البيان بما قيّده وبيّض وجه البلاغة بما سوّده
وإن تكن دولة تقتضي إثبات محاسنها بالتخليد وتقييد
مآثرها بالتأبيد فهذه هي التي تقتضي الأدباء أن يخلّدوا
بتقرير معاليها كلامهم ويحلّوا بتحرير مساعيها أقلامهم
ولو أدركها الماضون من أرباب التصانيف لودّوا لو كانت
ألفاظهم عن غيرها معزولةً وإلى ذكر محاسنها منقولةً ولحدّثتهم
أنفسهم بأن يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله

يزين الالحاظ استحقاقا نوازيهم فخامة وجلالا ورياسة
وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة وانفضالا وعلوما و
آدابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا مرة وعذابا
تجمع الله له تمام السعادة وقصر عليه ادوات السيادة
ثم زال يرتبهم في حضن الحدب ويصنعهم في مضمار الادب و
ويروضهم بين الكتاب والكتب حتى بحافي حجاف الملك منهم شموس
الايام وبدور الظلام وبحور الكلام وليوث الرحام وحدود الحسام
وفرايد النظام وزند الليالي والايام فاسراتب اليهم الامال والهمم
وتساعت بهم الدواة والقلم كذلك يصنع الله بعباده في كل زمان
ويلطف لذوي العلوم في حب كل سلطان وقيض الشيخ الجليل
شمس الكفاة ابا القسم احمد بن الحسن لوزارته وتدبير امور
مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترة من احرار الرجال
وابناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم تصنع شرواه
في مضماره سجاحة شيم ورجاحة كرم وسماحة كف و
فصاحة قلم وهيبة ترى الدنيا هباة بين اخواتها الثايرة بل نقطة

موهومة من نقط الدايرة وغدت سدته ميقاتا للفضل
واهليه وسوقا للادب ومنتحليه تجلب اليه بضاعات
الفضايل بين منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنف
طبقات الادباء والكتاب تصانيف في ذكر ايامهم وتصاريف
احوال الزمان بهم بحسب قوتهم في البيان وسهمهم من
بلاغة الخاطر والبنان حتى ان ابا اسحق ابراهيم بن هلال
الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في اخبار الديلم موشى
بحبر الفاظه الساحرة ومغشى بحلل معانيه الزاهرة
نحل عقد البيان بما قيده وبيض وجه البلاغة بما سوده
وان تكن دولة تقتضي اثبات محاسنها بالتخليد وتقييد
ماثرها بالتابيد فهذه هي التي تقتضي الادباء ان يخلدوا
بتقرير معاليها كلامهم ويحلوا بتحرير مساعيها اقلامهم
ولو ادركها الماضون من ارباب التصانيف لودوا لو كانت
الفاظهم عن غيرها معزولة والى ذكر محاسنها منقولة وجدتهم
انفسهم بان يغتدوا اعذار ابي نواس بقوله

إذا نحن اثنينا عليك بصالح ۞ فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة ۞ لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقد كنت اقدر ان بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ
في الصناعة وتوجه في طرق البلاغة يرتاح لتقييد اخبارها
وجمع كتاب في تصاريف احوالها واطوارها من لدن قام الامير
الماضي انار الله برهانه اميرا الى ان اجلى ابا علي محمد بن
محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن خراسان كسيرا وحصله
من بعد في يده اسيرا وولي امورها سياسة وتدبيرا
وما تقدر له في اثناء ذلك كله من اعانة الامير الرضي ابي القسم
نوح بن منصور رحمه الله ونصرته واستجابة ما لطف اليه من دعوته
والمدافعة عن بيته وخطته واستبقاء ما فضل عن ذؤابات
الترك من ولاته وكفهم بترغيبه وترهيبه عن اذاه
واستباحة ما سلم عليهم من نعمته محافظة على حقوق سلفه
الالى طال ما صنعوا الصنائع واودعوا الودائع وبثوا العوارف
والرغائب وانفقوا الاموال والجرائب حتى كنزوا المحامد وعرفوا
والمناقب

للحرمات

للحرمات اقدارها وحفظوا على البيوتات استارها وقضوا
لنفوس المنقطعين اليهم اوطارها الى ان ورث السلطان
المؤيد يمين الدولة وامين الملة مكانه فخلفه في ترتيب
الامور وتدبير الجمهور وتالف الاخوة والاقارب و
استمالة القلوب ببذل الرغائب الى ان استقل به سرير الملك
مطاعا وتناهضت ولاة الاطراف الى بيعته سراعا فوجدتهم
قد عولوا في معانيها على ما سار في اكناف الحضر من اشعار الفارسية
لازدحام شعرائها على بابه الرفيع بقصائدهم التي قد غبروا بها
في ديباجة الرودكي وصنعة الخسروي والدقيقي ولعمري
انها كانت كافية شافية ومن وراء الاسماع والافهام آتية
ولكنها دواجن خراسان لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا
تالف غير اقطارها مجالا فاقتضاني حكم ما اسلفته في هذا
البيت الرفيع من خدمته وتعرفته ايام الامير الماضي قدس الله
روحه من بركة اصطناع ونعمة ثم ما رسمه لي الامير الاجل
السيد ابو احمد محمد بن يمين الدولة وامين الملة ان امتع اهل العراق

بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان يتخذونه سميرا
على السهر وانيسا في المقام والسفر ويعرفون به عجائب آيات
الله تعالى في تبديل الابدال وتقليب الامور من حال الى حال
مبتديا بذكر الامير الماضي كرم الله مآبه من حيث نشأت
نبعته وتفرعت دوحته الى ان استعان به الامير ابو القسم
نوح بن منصور برد الله مضجعه في تلافي دولته والانتقام
له من ابي علي محمد بن محمد بن ابراهيم بن سيمجور حين نزع
يده من طاعته واستجره بجفي مسئلته عن دار امامته
بكفاية ما دهاه من امره وامر من طابقهم من الترك على
حقوته واطمعهم برسائله ووسائله في تورد مملكته
وما جرى على يده من الفتوح المأثورة والمقامات المشهورة
ومتبعا ذلك بلواحقه من وقائع السلطان الاجل يمين الدولة
وامين الملة في الهند والترك والخلج وما اتيح له فيها من النصر
والفلج وما يتصل بها من اخباره واخبار ولاة الاطراف في
جواره والله ولي المعونة على ذلك المقصود واصابة الغرض

المقصود

المقصود بمنه وفضله وكرمه وطوله

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمة الله عليه واحواله

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جبلته ابي النفس
حمي الانف جري القلب قوي البطش كريم الخيم رضي
التدبير كبير الهمة كثير الحكمة تبين ذلك كله في خصاله
وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله وحكى ابو الحسين
جعفر بن محمد الخازن انه كان ورد بخارا ايام الامير
السديد منصور بن نوح في جملة ابي اسحق بن البتكين صاحب
جيوش خراسان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير وحاجبه العزيز
وعليه مدار اموره وبيديه مناظم شؤونه وعرفه اركان
تلك الدولة بشهامته وغنائه وصرامته ومضائه
وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع بهمته وذكائه حين
صرف ابو اسحق الى غزنة واليا عليها وسادا مسد ابيه
بها انصرف هو بانصرافه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة

ماوراء بابه فلم يلبث ابو اسحق بعد معاودته اياها
ان قضى نحبه وودع عمره ولم يبق من قرابته وبطانته
من يصلح لمحله ومكانته فاضطر العدد الذين من مواليه
وموالي ابيه الى من يتولى زعامتهم ويتكفل بحسن الايالة
خاصتهم وعامتهم فلم ينفكوا مختلفين في الاختيار وساخطين
غب الاختبار الى ان اجتمعت كلمتهم على تاميره واتفقت
آراؤهم على الرضا بتدبيره والاذعان لحكم تقديمه وتاخيره
فماسحوه بايمانهم طائعين وحالفوه بايمانهم مبايعين
فولي امورهم براي صليب وحزم عجيب واهتمام شديد
وقيام بمصالحهم حميد ولم يزل يركض بهم على اطراف الهند
غازيا مجاهدا اعداء الله الكفرة بها ومفتتحا قلاعها و
مستخلصا ديارها ورباعها ومحكما سيوفه في اهلها
مومنا من اسلم وتشهد وقاتلا من اشرك وجحد وجرت
بينه وبين عساكر الهند حتى عيوا بامره وتضافروا على
مدافعته واستكفاف عاديته حروب لبس فيها جلد النمر

وارت

وارت نارها تارنيث المتذمر وغض في معاناتها على جذم
التصبر وجافى الجنب عن الضجعة واقنع النفس بالطوى
والمخمصة وانضى تحته مركب الحمية وحث اصحابه و
رفقاءه على لذة الامنية او راحة المنية كانما عناه عمرو
بن الاطنابة الانصاري بقوله : ابت لي عفتي وابى بلائي
واخذي الحمد بالثمن الربيح : واجشامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح : وقولي كلما جشات وجاشت
مكانك تحمدي او تستريحي وحكى رحمة الله عليه في غمار ما
كان يذكره من مواقفه ومقاماته وآثاره في العدو و
نكاياته انني وافقتهم في بعض وقائعهم بهولاء الرفقاء ونحن
في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة
الحروب حتى اقوى الناس من الزاد وعجزوا عن الامتيار والاستعداد
ولم يكن امامنا الا السيوف القواضب ووراءنا الا المهامه
والسباسب فصرخوا الي بمادهاهم وسالوني حيلة الثبات على ما عراهم
فعرفتهم انني كنت استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار صدرا

من السويق وهو الآن قسمة بيني وبينكم عدلا سواء بالغا ما
بلغ بقدر الكفاية الى ان يمن الله تعالى بالفرج وكشف هذا
الضيق والحرج وكنت اجدح لهم ايا ما عدة لكل منهم اولا
ولنفسي من بعدهم آخرا قعبا صغيرا فنجتزئ به طول النهار
والليل ونحن على ذلك بين معالجة المكروه ومكابدة المحذور
وملاقاة السيوف والسهام بحر الوجوه والصدور الى ان
وهب الله النصر واهب واحاق سوء العذاب بمن كفر فولوا
الادبار بين قتيل مزمل وجريح مرمل وعقير مرهق واسير
بالقد موثق وسمعته يذكر ما كان من حسن تدبيره وتقديره
عند افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه وزاحة حاله
عن التوسع في الانفاق والتخرق في البذل والاطلاق وانه
كان كاحد رفقائه في الحال والمال واحتاج مع ذلك الى ان
يأخذ لمؤنة الزعامة عليهم من نفقاته الراتبة فكان يدخر
منها ما يفي بضيافتهم في الاسبوع دفعة او دفعتين ولم يزل
على هذه الجملة الى ان اتسعت حاله فزادهم بحسب الزيادة الى ان

وامرعت رحاله

استعمل

استعمل اسباب السيادة فكان كما قيل نفس عصام
سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما ولم يلبث
ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت
ارض خزانته واشفقت النفوس من هيبته وتعلقت
الاطماع بمعونته وكان من احدى فتوحه ناحية بست و
سبب ذلك ان باي توز كان قد ملكها على طغان احد الا
كان بها غصبا واجلاه عنها حربا ونهبا فلجأ هو الى الامير
الماضي رحمه الله مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه بمال ضمنه
وولد يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند
الحاجة يلتزمها فلبى نداءه وحقق رجاءه وناهض خصمه
بمعظم جيوشه حتى اناخ بباب بست وبرز باي توز الى
معسكره ثبتا وشب القتال كاشد ما يكون نفحا بالصفاح و
مشقا بالرماح واثخانا بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتفت
حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة
كشفتهم عن مقامهم واغصت شوارع البلد بهم وادارك عليهم

الجلادت من كل اوب حتى جلوا عنهما مفلولين وتفرقوا
في متون الهضاب وبطون الاودية والشعاب مخذولين
واستقر طغان بها شاكرا احسانه وموجبا تحقيق ما اوجب
عليه ضمانه وبذل به رهنه ولسانه وهو يتميل في ذلك
سرا بين وعد واخلاف ويترجح بين وفاق وخلاف حتى اذا
حان حين الاداء طالبه الامير بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء
لما رآه من فرط الاباء والالتواء وهما على صحراء غاصة بغلمانهما
واتباعهما فحدثته عجرفية الطبع بالمنع ولم يرض بالقول
حتى انتضى سيفه وضرب يد الامير ضربة اوسعت جرحها
فلما تبين غدره اهوى بيده الى سيفه وهي تشخب دما فضرب
منكبه ضربة انتصفت له منه وطلبه باخرى فحجزه عنها اختلاط
الفريقين واهاب الامير برفقائه وغلمان داره الى طرد الغواة
وحطمهم وتبييض تلك النواحي من سوادهم فلم يتلع النهار الا
وبيت له صافية واطرافها عن ذوي الخلاف خالية وبشعار
دولته حالية وامتد باي توز وطغان الى نواحي كرمان وسجستان

ولم يحلم احد منهما بان يلتفت وراءه فضلا عن ان يتمنى
لقاءه وكان من جملة ما استفاده ذلك الامير من صفايا
الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب صاحب التجنيس رحمه الله
فانه كان كاتبا لباي توز فلما استمرت به الكشفة اغبته
صحبته فتخلف عنه ودل الامير عليه فاستحضره
ومناه واعتمده لما كان قبل معتمدا له اذ كان محتاجا
الى مثله في آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته
ودرايته وحدثني ابو الفتح رحمه الله قال لما استخدمني
الامير الماضي واحلني محل الثقة الامين عنده في مهمات
شانه واسرار ديوانه وكان باي توز بعد حيا وحساده
يلوون السنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي
لينا اشفقت لقرب العهد بالاختبار من ان يعلق بقلبه
شيء من تلك الاقوال ويقرطس غرض القبول بعض تلك
النبال فحضرته ذات يوم وقلت ان همة مثلي من ارباب
هذه الصناعة لا ترتقي اكثر مما رآني الامير اهلا له من

إخلاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره
لمهمات أسراره غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به
موسوماً واهتمام الأمير بنفض ما بقي من شغله يقتضياني
أن أستأذنه في الاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر
له هذا الأمر في نصابه فيكون ما آتيه من هذه الخدمة أسلم
من التهمة وأقرب إلى السداد وأبعد من كيد الحساد فارتاح
لما سمعه وأوقعه من الإحماد موقعه فأشار علي بناحية
الرخج وحكمني في أرضها أتبوأ منها حيث أشاء إلى أن يأتيني
الاستدعاء فتوجهت نحوها فارغ البال رافع العيش والحال
سليم اللسان والقلم بعيد القدم من مخاضات التهم فاتفق
وكنت أدلجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع أؤم منزلاً
أمامي فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت و
قمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة
محفوفة بالخضر مغمومة بالنور والزهر وأمامها أرض
كأنما مفروشة ببساط من الزبرجد منجد بالدر والمرجان

مرصع

مرصع بالعقيق والعقيان يتسيب بينها أنهار كبطون الحيات
في صفاء ماء الحيوة وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك
السحيق والعنبر الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان
وفزعت إلى كتاب أدب قد كنت استصحبته لأخذ الفال على
المقام أو الارتحال ففتحت أول سطر من الصفحة عن بيت شعر
وهو وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوز فقلت
هذا والله الوحي الناطق والفال الصادق وتقدمت بعطف
ضبنتي إليها وغنيت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه
وأهنأ شرب وأمراه إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي
إلى الحضرة بتبجيل وتأميل وترتيب وترحيب فنهضت إليها و
حظيت بما حظيت به منها إلى يومي هذا وكان اختياره ذلك
أحد ما استدل به ذلك الأمير على رأيه ورزانته ودرجه
به إلى محله ومكانته وصار من بعد ينظم بأقلامه منثور الآثار
عن حسامه وينسج بعباراته وسائع توجهه ومقاماته وهلم جرا
إلى زمان السلطان يمين الدولة وأمين الملة فقد كتب له عدة فتوح

الى ان زحزحه القضاء عن خدمته ونبذه الى ديار الترك
من غير قصده وارادته فمات بها غريبا ولم يجد من مساعدة
الزمان نصيبا ولما استتبت للامير تلك النواحي واستقرت
على شعار دعوته الاقاصي والاداني وصفت له اشرابها و
درت عليه اخلافها استخلف عليها من اختاره من ثقاته
وخواصه وكانت بلاد قصدار قد وقعت من وراء بيضته
ومرد عليه واليها لحصانة اطرافها ونواحيها وخشونة
مصاعدها ومهاويها فظن ان بعد الشقة وحزونة المضرب
وضيقة المدخل وعورة المتغلغل مانعته من الدمور
عليه وقاطعته دون الوصول اليه فلم يرعه الا صيحة الغارة
واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة قد طوى اليه تلك
الطرق القاصية والقلل العاصية المتناصية في ركضة لم
يبل جنبه فيها قرارا ولا عينه غرارا ولا خيله جماما الا لماما
فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه فاخذه اخذ المقصب
ساته عجلان يشويها القوم نزل فكان صباحه كما قيل

اذا خرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب وعق الولد

ثم راى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيديه فاطلقه
تطولا وانعاما واعاده الى مكانه احسانا وامتنانا و
وافقه على مال يعجله وآخر في كل سنة يحمله فعمرت بأ
تلك المناب واشترك في العلم بحاله الوارد والصادر والغاد
والحاضر ولم يزل بعد ذلك يدارك الركض على اطراف الهند
غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا كانت مرتفعة في جبالها
مطمعة باموالها ممتنعة برجالها وحصلها كلها في يده و
ونظم خزائنها في سلك ملكه ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى
افتتح بلادا لم يسكنها قبل الا كافر ولم يطاها بالاسلام خف
ولا حافر وحين علم جيبال الهند ما دهاه ممن يطوي مسافة
ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلصق الهون والخسار
بمن يحامي عن حوزته اخذه المقيم المقعد وملكه المزعج
المكمد وراى الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه
وعشيرته واعيان جيوشه وكماكرته وما خف من ثقال فيلته

يريد الانتقام منه بوطء عرصة الاسلام واستباحة حلته
الحرام يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان
يتم نوره ولو كره الكافرون وسار كما هو حتى جاوز لمغان
دانيا من ولاية الامير الماضي دنو الواثق بطوله الساكن
الى قوته وحوله وقد باض الشيطان في راسه وفرخ و
شوى السوداء في دماغه وطبخ فوبطن الظنون وبعد في
حساب الحسبان ما لن يكون ولما سمع الامير بوروده وتغلبه
استعد لمناهضته وجمع اولياءه على محاربته واستجاش
من مطوعة الاسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته وكف
باسه وعاديته وبرز من غزنة متوجها نحوه وقاصدا قصده
بنية في الجهاد قوية وحمية للاسلام ابية ووافقه بين
الناحيتين في رجال كقطع الليل او دفع السيل ومعه السلطان
يمين الدولة وامين الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر والمو
الكاسر لا يؤم صعبا الا ذلله ولا يرو عقدا الا حلله ولا
يزحم منكبا الا حطمه ولا يصاول قرنا الا اقاح دمه وكبت

الحرب بينهم اياما ولاء وادبرت عليهم كؤوس الطعن والضرب
ملاء حتى سكر الفريقان من سورة الطعان وبقرب تلك
المعارك مما يلي الكفار عقبة تعرف بعقبة غوزك
ينخفض عنها طوارف العقاب في تعسكره ودونها جيش السحاب
ذات مهاوي ومشارف ومثاني ومعاطف وفي بعض
اوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية في الطهارة
لا تقبل قذرا ولا تحمل غثاء ولا غبرا فان القي شيء
من القاذورات فيها اكفهرت له السماء واختلفت النكباء
واظلمت الشواهق والاعماق وغصت بالزمهرير الافاق
حتى يرى الموت الاحمر عيانا والعذاب الاكبر حقيقة و
بيانا فعندها امر الامير رحمه الله بالقائها ضربا من النجاسات
تعمدا فقامت القيمة على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم الصواعق
والقوارع واحاطت بهم الرياح الزعازع ومدت السماء
عليهم سرادق البرد والخصر واثارت زوابع الاعصار
والقتر حتى عميت عليهم المذاهب والمهارب وانسدت

دونهم المسارب والمسارب فاستبسلوا لفرط الهول والوهل
وتشهدوا بان قد شاهدوا الموت قبل الاجل وارسل
جيبال يطلب الصلح ويستكف الحرب على مال يوديه وحكم
للامير في فيلته ومملكته يمضيه فهم الامير باجابته الى
ملتمسه اشفاقا على اوليائه او لصواب عن له في رايه
فنهر السلطان يمين الدولة وامين الملة اولئك الرسل نهرا
وابى ان يكون فيصل الحرب الا عنوة وقهرا حمية للاسلام
والمسلمين وثقة بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا من
صورة الحال وضيق المجال فاضطر جيبال لما اعياه من الحيلة
في امره الى اعادتهم في طلب المكافة خاشعا والتماس الموادعة
طائعا ضارعا وكانت زبدة كلامه انكم قد عرفتم حمية
الهند واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور وحزبهم
حازب مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا في الغنيمة
والفيء والفيلة والسبي فما هو الا صرى عزم نمتطيه في
استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض الغلمان على النيران

دمشق

ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظبات السيوف
ثم شانكم وما يبقى من جماد ورماد ومواث ورفات فلما سمع
الامير ذلك من كلامه واحس مصدوقة ما هم به عند
يأسه من مرامه راى حظ الدين وارباب في موادعته
واستنزاله عن ماله وعدته ارجح من تخليته وما اختاره
من التقاطع بالسيوف والتهافت في الوقود فوافقه الامير
السيد يمين الدولة وامين الملة على كف يد الارهاق عنه
على الف الف درهم شاهية وخمسين راسا من الفيلة ضمنها
نقدا وعلى عدة بلاد وقلاع في سرة مملكته كان اشترطها
عليه ان يسلمها الى من يتسلمها من جهته بعد ان يبعث اليه
برهائن من عشيرته واعزته على الوفاء بما يضمنه والانجاز
بما يعده فقبض المال والفيلة نقدا وواقفه على البلاد المذكورة
وعدا وارسل معه بمسئلته وحاجته دليلين يعدلان به
عن المعتسف ويقفان به على القصد في المنصرف وبعث معه
بعدة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة منه فلما اوغل به المسير

ورأى انه قد خفّ عنه الطلب واسترخى به اللبب حدّثه
خبث الضمير بالاخلاف واركسه عجز الراي في استيناف
الخلاف واعتقل من كان في صحبته بدلا عمّن رهنهم من
من عشيرته وقدّر الامير الماضي ان الذي بلغه من امره
ارجاف يردفه خلاف وباطل ليس له حاصل الى ان تناصرت
به الانباء فبرح الخفاء وانكشف الغطاء وعلم ان الله تعالى
قد طبع على قلبه وحال بينه وبين رشده ليحيق به وبال امره
ويحق عليه مآل كفره فشحذ غرار عزيمته لغزو بلاده وتخليصها
عن خبث خبثه والحاده ونهض في الكماة من غلمانه والحماة
من رفقائه واعوانه متوكلا على الله وحده ومستنجزا في
النصر وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بارز
من اعوان جيبال وجنوده الا اوسعهم طحنا واستلحمهم ضربا
وطعنا وقصد لمغان وهي كورة بحصانة الاطراف وغزارة الاخلاف
مشهورة فافتتحها عنوة واقتدارا واضرم بعضها على الكفار نارا
وهدم بيوت الاصنام واقام فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما

يفتح البلاد ويقتل الارجاس الاوغاد حتى اذلّ المشركين
وشفى صدور قوم مؤمنين ولما ارمى على الغاية في النكاية
واربى على قدر الامكان في الاثخان وبردت يده وايدي
اوليائه بما يغمر العدّ والحدّ من كرائم الاموال وغنائم تلك البلاد
عطف الاعنّة وراءه كريم الظفر حميد الورد والصدر وتطايرت
كتبه الى الآفاق بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك
الناس خاصة وعامة في الارتياح له والانشراح لموقعه والشكر
لله تعالى على ما اتاحه فيه من صنعه ولما راى جيبال ما قدّاه
جزاء عما نقضه من عهده ونكثه من مرائر عقده وراى جنوده
ووجوه رجاله جزر السيوف القواطع وطعم النسور والخوامع
سقط في يده وفتّ في عضده ونالته الندامة وقامت عليه
القيامة وبقي زمانا مبهوتا على حالة لا يعرف الراي في ظهر ادباره
او في وجه اقباله ثم حركته الانفة لاستيناف المناجزة طلبا
للثار وطمعا في الانتصار ففكّر ودبّر واقبل وادبر ثم عزم
فقرّر ونادى فحشر وثار في مائة الف ويزيدون وبلغ الامير الماضي

خبره فقابل اقباله بالاستقبال وحرض المؤمنين على
القتال وسار بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا تدانت
الخطى بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة على سواد الكفرة
فاذا النمل منشورا والجراد مبثوثا فراعه منهم ما يروع الذباب
من سوام الغنم والليوث الجياع من هوامي النعم وحث
اولياء الله على الكفرة القلف فاجابوه سراعا بقلوب محشوة
بالدين مملوة من صدق اليقين وتقدم اليهم بان يتناوبوا
الحملات بينهم في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس الحاطمة
والقراتكينيات الهاشمة حتى اذا ابلوا عذرهم في الجهاد خلفهم
من اضرابهم من ينوب منابهم رضا وهصا وطعنا وطحنا
ففعلوا ما امروا واخذوا ما رسم فلم تزل هذه حالهم حتى
استغاث الملاعين من حر الوطيس ووقع الدبابيس وهموا
بان يجعلوها حملة واحدة تزعزع الاقدام وتقتلع الجيش
اللهام فعندها حمى الوطيس واختلط المرؤوس والرئيس
وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف واختلفت

الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام
وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح فلم تعرف
الصفاح من الرماح ولا الرجال من الافيال ولا الابرار من الفجار
ثم انجلت عن هزيمة الانجاس الارجاس واسلامهم عدتهم وعتادهم
واسلحتهم وازوادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيداء بجيف
قتلاهم بين جريح بحد الحسام وطريح من هول ذلك المقام سنة الله
في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولوت الهند بعد
ذلك اذنابها على رؤوسها ورضوا بان يسلموا من حر الطلب في
اقاصي ديارهم وتبركوا في شعارهم بمناسبة اشعارهم وصفت
تلك النواحي لذلك الامير ودرت عليه اخلاف الاموال وانحلت
له عقد الجبايات وحصل له من وجوه الغنائم وغيرها ما [illegible]
من الفيلة الحربية وكثف سواد جيوشه ودانت له الافغانية
والخلج فمتى شاء استثار منهم الآلاف لخدمته وامتهن منهم
الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفرض طاعته وعند ذلك اوثر
اغاثة الامير الرضي ابي القسم نوح بن منصور والي خراسان واعانته

على جيوش الترك الذين اجلوه عن دار ملكه بخارا وزحزحوه
عن وطنه بها حتى فرق دهماءهم واضطرهم الى الانهزام و
راءهم كرما لم ينشط له غيره من اولياء تلك الدولة وانشاء
تلك النعمة لاجرم ان الله تعالى جاز له جماله وذكره وقصر
عليه سناءه وقدره وجعل كدحه سببا لانسياق الملك
الى ولده وتوطئة لبقاء العز فى عقبه وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر الاسباب التى اطمعت الترك فى ولاية الامير ابى القسم نوح بن منصور وتوسط مملكته واخلاء غرنيته وحطته

قد كان انتقل الملك اليه فى شهور سنة خمس وستين وثلثمائة
واجتمع اولياؤه وحشمه على بيعته بعد اموال عظيمة اطلقت
وعشر ثنيات فرقت حتى تبدد شمل الاموال التى كان وزراء السامانية
من قبل يكدحون لها ويدأبون لجمعها كابى الفضل البلعمى وابى جعفر
العتبى ومن كان ينتصب منصبهما فى الوزارة وتدبير امور المملكة
وكان ابو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش

بنيسابور

بنيسابور فتلطف له بالرضا به وعقد البيعة له على صغره و
حداثة سنه وضوعفت له الصلات المطلقة لامثاله من
اركان الدولة حتى لانت عريكته وتمت بيعته وفوضت الوزارة
الى ابى الحسين العتبى رحمه الله فقام على ميعة شبابه بالامر
قيام الحدب الشفيق وكفله بمناصحته كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق
حتى استقامت بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور وانسدت
الثغور واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا وبعدا
وقربا وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة على جلالة قدره
ونباهة ذكره ومناعة جانبه وخشونة حده يتوخى رضاه
فيما يحتكم عليه به من المطالب التى تختص بولايته وربما اخذته
العزة باللجاج فيذكر ما وراءه من الادواء المعضلة والامور
المستفحلة فتسمح قرونته ويذل صعبه وحرونه وحدثنى
احمد الخوارزمى وكان من جملة خاصته منذ وبالجمل رسوم
كل عام الى بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم وذويه وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها

منهم قال دخلت عليه ذات يوم متجددي من خراسان فسألني
على رسمه وعادته عن حال ذلك الشيخ في سلامته
واستقامة الامور في ضمن كفالته ثم قال هات ما استدعاه
واعرض ما بذله وتوخاه فعرضت تذكرة كان سلمها الي بتفصيل
ما رسم لي حمله من ديار العراق وفي جملتها الف ثوب مستعمله
مطرزة الاطراز باسم الامير السيد الملك المؤيد المنصور
ولي النعم ابي القسم نوح بن منصور مولى امير المؤمنين وخمسمائة
ثوب مطرزة باسم الشيخ الجليل السيد ابي الحسين عبيد الله بن
احمد العتبي ومثلها معلمة باسم الحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما
تأمل النسخة دخلته نخوة الملك وملكته حمية العز وطار
به الغضب كل مطار فالقى الي في الجواب ان ابن العتبي لو اغتنم
سلامة ما يليه وتفرد بالتدبير فيه لكان اولى به واعود عليه
وعلى صاحبه مما يسومني بهذا الاحتكام وامثاله غير اني اجعل
سواحل جيحون قبل عودك من وجهك مرابط للجحافل و
مراكز للقنا والقنابل فقمت من مكاني متخاذل القوى خوفا من

سطوته

22

ابو طالب المأموني هو عبد السلام بن الحسين من اولاد المأمون امير المؤمنين كان وحيد ابناء الزمان في بغداد
وهو حدث السن لم يبقل وجهه ورد الري وامتدح الصاحب فاعجب به واكرم مثواه وحسده الشعراء

سطوته وباسه واخذت اجر رجلي على الارض تميثا وارتياعا
الى ان اركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما ازف ارتحال
الحجيج اتاني رسوله فبادرت اليه واحسنت خدمة المجلس بين
يديه فزادني على المعهود بشرا خصيبا وبرا وترحيبا وقال قد
امرنا في معنى التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه
وخلافا على خلافه وتأبيه فتنجز العمل به ليصادف عودك
فراغ الصناع منه وحصول المراد به قال فاستعمل جميع تلك الثياب
بالطرز المذكورة وحملتها في صحبتي الى بخارا مشفوعة بسائر
ما رسم لي حمله واستصحابه وقد اكثر الشعراء من اهل العصر
في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين العتبي ولا سيما ابو طالب
المأموني فانه سيّر في مدحه قصائد غير معدودة منها
قوله من قصيدة يمدحه بها

هذي عزائم عتبي تفرق ما ... بين الجماجم والاعناق ان عتبا
ذو همة ملأت صدر الارض لو نزرت ... من صدره لم تسعها الارض مضطربا
اذا انتشى للندى او للردى فلما ... اجرى به سحبا او جحفلا لجبا

يُنْجي الصعيد صعاداً والندى بدداً إذا تملّك للمعروف وقطبا

وقوله فيه من أخرى

كتائبُ منصوريةٌ ملكيةٌ أبى السيف فيها أن يرى الغمدَ مضجعا
تؤيدها عني عزمُ مؤيدٍ بحزمٍ يخلّي خلفه البيض ظلّعا
إذا أمر الشيخ الجليل سبوقها هوت سجّداً في الدارعين وركّعا
يعود بها وجهُ الخلافة أبيضاً بأبيض من أبناء عتبة أروعا

ومن ذلك قول اللحام فيه

وأعتب الدهر إذ عاتبته من آل عتبة نفّاعٌ وضرّارُ
كأنما جاره في كل نائبةٍ جارُ الأراقم في أيام ذي قارِ
يجري المكارم في لا وفي نعمٍ فالناس في جنةٍ منه وفي نارِ

ومن ذلك قول أبي الحسن العلوي الهمداني

كأنما الدهر تاجٌ وهو درّته والمُلك والمِلك كفٌّ وهو خاتمه
والبرّ والبحر والأعلام أجمعها والخلق والفلك الدوّار خادمه

وقلّد أبو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي أمور الباب
وزعامة الحجاب والسفارة بين أولياء السلطان وحشمه

في

في تنجيز حاجاتهم واستطلاق أطماعهم وعشرنياتهم و
واستزادة مراتبهم وولاياتهم حتى تخلّقت النفوس
بمحبته وتعلّقت الأهواء بزعامته وفتح أبو الحسين العتبي
عليه أبواب الفوائد والإصابات حتى كثر وفره وظهر
أمره واشتدّ بالاستظهار ظهره وكان أبو العباس تاش
من جملة فتيان أبي جعفر العتبي ملك يمينه أهداه إلى
الأمير السديد أبي صالح إيثاراً له بخدمته على نفسه
لكيسه وذكائه ورضى شمائله وأخلاقه فاستتمّ أبو الحسين
العتبي الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه به والإشادة
بضبعه وباعه وتدريجه إلى المحلّ الذي توسّمه في قوته و
اضطلاعه وجرت أمور ذلك الباب بتعاضدهما على التناصح
وترافدهما على إدهان المصالح على أحسن الوجوه هيئةً وحالةً
وهيبةً وجلالةً ونفاذ الأوامر يميناً وشمالاً واستخصّ أبو
الفائق الخاصة لطول خدمته ركاب الأمير السديد وحظوته
عنده واختصاصه برعايته واشتراكه في وصايته فكان

منصور بن نوح بن نصر

واستقامة واعتدالا

شريكهما في التدبير وصيانة هيبة السرير واقتران الجيش
بخراسان على ابي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور فتفرد
كل منهم بحماية الملك سدا للثغور وسياسة للجمهور وحصدا
لنواجم الشرور الى ان بدت اكمامها تتفتق وجيوبها تتخرق
وكان من ذلك امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد
كان استنصر الامير السديد على طاهر بن الحسين قريبه وخليفته
على اعمالها بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور
سنة اربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية و
استظهاره بالمال والعدة واستمالته قلوب الاجناد والرعايا
من اهل تلك الخطة فاحسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته
ومؤنته وامده بمن استمدهم من كماة الجيوش لرده الى ابنيته
وتقرير مملكته في يده فانحاز طاهر حين احس بالمدد وكثرة العدد
الى اسفزار حتى قر خلف قراره ووضع عنه آصاره وصرف
عن ظهر الاستغناء اعوانه وانصاره ثم كر عليه كرة اجلته
عن داره وطرحته الى باذغيس فيمن نادى بشعاره فعاود

حضرة الامير السديد مستصرخا اياه وضارعا الى غوثه فيما
دهاه فاحسن لقياه واكرم مثواه واعاد تقويته وانجاده
وكثف بالخيول سواده ورده بهم الى سجستان فوافق وصوله
اليها مضى طاهر لسبيله وانتصاب ابنه الحسين منصبه و
دراسته في الخلاف مذهبه فحاصره خلف فيها مناصبا له
الحرب غاديا ورائحا ومماصعا ومكاوحا حتى كثر القتلى بين
الفريقين وطالت يد الانتصاف على اصحاب الحسين فعندها كتب
الى بخارا متنصلا عن سمة الخلاف ومتلطفا للاستقالة
والاستعطاف ومظهرا للطاعة في وفادة الحضرة ومباشرة
تراب الخدمة متى صادف ارخاء من ضيق الخناق وفكاكا من
شدة الارهاق فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل القبول انابته
وسهل الى ورود الحضرة سبيله وحقق بالاحسان والافضال
تاميله واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت
عليها ايامه وطارت فيها اوامره واحكامه وانبسطت
بالعز يده وباعه وتموجت بذخائر الاموال قلاعه ورباعه

وانقطعت عن بخارا مواد خدمته وطاعته واعفائه بما لم
موافقته ومقابلته حق الاصطناع بواجبه وانضاف
الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة اليه في حثه على
رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده فجرد عند ذلك
الحسين بن طاهر لمناهضته في جمرات خراسان ومساهير
رجالها ومساعير ابطالها فحصره في قلعة ارك ودارك
عليه الحرب زمانا طويلا فلم يغن فتيلا ولم يجد الى الافتتاح
سبيلا وجعل ابو الحسين العتبي يزيده عددا على عدد وصفدا
الى صفد وكان من جملة القواد بها كيتاش واخوه الحسن بن
مالك واضرابهم من انياب تلك الدولة ووجوه انشائها
ورجوم سمائها فطال هناك ثواؤهم وقصر عن المراد غناؤهم
لمناعة الحصار وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسدوده
واغياء الخندق المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا و
على الراجل ان يقطعه خوضا ولا ارصاد خلف اياهم يفنون من
الحيل بفتل استشاتهما بالظن والحسبان انهما للبيات و

اطلاعها

واطلاعها من مأمون الجهات وقذفا بجرب الافاعي عن افواه
المجانيق والعرادات حتى يضطروا بذلك الى الارتحال والتنقل
في المضارب والمحال وبقوا هناك قرابة سبع سنين على هذه
الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الاموال وذهبت الحرائب
وعطبت المطايا والركائب وكانت هذه من اوائل الوهن
على تلك الدولة ومن هنالك وهى العقد وانبثق السكر
وتزايد الفتق واتسع الخرق ولكل امر امد ولكل امة اجل
ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
وتذاكر اركان تلك الدولة فيما بين هذه الحال لزوم صاحب
الجيش ابي الحسن مكانه من نيسابور كلا على صاحبه لا يناهض
خصما ولا يجبر وضما ولا يفتح سدا ولا يحسن ردا ولا
يغمس في مصالح الدولة يدا وتناضلوا بينهم ما كان الامير السديد
يضطغنه عليه لالتزازه بالمكان وخموده عن نصرة السلطان
وبنوا آراءهم على صرفه والاستبدال به وكتب اليه في الصرف
وقلد ابو العباس تاش ما كان يليه من قيادة الجيوش فلما ورد

الرسول عليه وادى ما تحمله على رؤوس الاشهاد والبه ابت
عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة كلمة العصيان
وطارت نعرة الخلاف فى راسه فادعى الامر لنفسه
اتكالا على فرط قوته وباسه واغترارا باولاده واعضاده
واستظهارا بجيوشه واجناده ثم بيت التدبير وخمر
الراى والتفكير فلم يرض بان يتناقل الالسنة ذكر
استعصائه على شيخوخته فى الدولة وتناهى مدته فى الخدمة
وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التى تسلب
النفوس جمامها والعيون منامها والاموال المذخورة نظامها
الى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب والتحكك بمحذور
العواقب فراى ان قبول الضيم على السلامة من لواحق الآفات
اقرب الى الصواب وابعد من المعاب ودعا الرسول فاستقاله
عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعا بفرط الخشوع
والضراعة وقال انما انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها
بماء كرمه فله المشية فى استبقائها للاثمار واقتلاعها و

الفائها

26

في الامثال فتل في ذروته وغاربه واصله ان يكون البعير شرسا صعبا لا يعطي قيادة راسه فيجيء الرجل بسنامه وغاربه ويفتل الوبر فيهما باصابعه يؤنسه بذلك حتى يخطمه به يضرب في الخدع والمماكرة كذا ذكره الزمخشري في المستقصى

والقائها على النار وصرفه على جبلة الطاعة ولين المقادة
والبدار الى حيث يجلى اليه من ديار المملكة وتلطف لتسكين
من كان يفتل فى ذروته من اهل بيته واوليائه بتسويله
واغوائه فعل من استشف ببصيرته استار المغائب و
انفق عمره فى تجارات التجارب ونهض الى قهستان منتظرا ما
يستانف به امره ويقرر عليه تدبيره الى ان رمى به
فى نحر خلف بن احمد لاعضال دائه وتجمير العساكر
طول ايامها بفنائه فبادر الى سجستان وبينه وبين
خلف مودة واسباب على الايام مؤكدة فافتتح الراى
عليه بالنزول للحسين بن طاهر عن متحصنه والانتقال
الى غيره من معاقله ليتسبب هو ومن كان من قبل
محدقا به من اولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه
بعلة الافتتاح وظاهر النجاح فاذا خلا وجهه له ثنى العنان اليه
منتصفا منه وممضيا حكمه فيه فقبل مشورته وفارق
ارك الى حصار الطاق حتى دخلها ابو الحسن بن سيمجور وصلى الجمعة

بها مقيما رسم الخطبة للأمير الرضي رحمه الله وطالعه بذكر
ما فتح الله تعالى على يده وسناه من رتاج ذلك الأمر بجده
وجهده ورتب الحسين بن طاهر بها أميرا وقرر أعمالها
عليه تقريبا وانصرف هو وراءه وسنورد ذكر ما جرى
في أمره من بعد في موضع مثله

ذكر حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب وانتقال السالار إليه

ثم سير أبو العباس تاش من بخارا إلى نيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة العساكر وتدبير القاصي والداني من أمور الممالك
ووصل جناحه ببقايا الخاصة ونصر بن طغان السرابي و
بني مالك على فخامة أخطارهم وجلالة أقدارهم و
سير تحت رايته أعيان الأولياء والحشم بعد أن أزيحت
علته بما شاء واقترح من الأموال والأسلحة والعتاد
والعدة فورد نيسابور للنصف من شعبان سنة إحدى وسبعين
وثلثمائة في آلة راعت الأبصار وهيئة أعجبت النظار
وهيبة سحنت الجوانب والأقطار فدبر الأمور بصرامته

ونظم

ونظم المنثور بفرط حزامته وتألف الجمهور برفق سياسته
وزعامته ووافق تلك الأيام انقطاع شمس المعالي قابوس بن
وشمكير وفخر الدولة أبي الحسن علي بن بويه إلى نيسابور عن
حروب جرت بين مؤيد الدولة بويه وبينهما أن عضد الدولة
أبا شجاع كان قصد فخر الدولة وهو أخوه لإجلائه عن ولايته
التي كان أبوه ركن الدولة أوصى بها له وعقد الوثيقة على
كل منهما به على الجملة التي أشار إليها أبو إسحق الصابي في كتابه
المعروف بالتاجي ودس إلى أهل عسكره من استمالهم عنه
وأغراهم به فلما ناهضه وهوا ذاك بهمدان وتدانت الخطى
بينهما خف معظم جيوشه إلى عضد الدولة مستأمنين وولوه
أعقاب الغدر هاربين فلما آنس خذلانهم إياه وكفرانهم نعماه
وبالأمس ما قد رأى ابن عمه بختيار كيف قطع رحمه وأريق
دمه خالفهم إلى طريق الديلم هائما على وجهه وناجيا بحشاشة
نفسه ومتقيا بركوب شعابها المضطربة وآجامها الأشبة محاذرة
من مس الطلب وركض الأكراد والعرب وتوغل تلك البلاد

طاويا مسافتها الى جرجان حتى القى بشمس المعالي قابوس بن وشمكير
لاجئا اليه ومستأمنا اياه فآمنه وآواه ومهّد له ذراه
واعطاه فوق ما تمناه واشركه فيما ملكت يداه حتى جعل
الملك وهو العلق الذي طال ما ضنّت النفوس بابتذاله وقاية
دونه له من همّ باغتياله وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك ان
عضد الدولة ومؤيدها ارسلا رسولا اليه يستردّانه
على شرط اموال تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في
يديه وعلى مواثيق تستأنف في التعاقد على الصفاء والتعاون
في حالتي السرّاء والضرّاء فرجع اليهما ان الرجاء رحم والوفاء
كرم وان للامان عندي حرمة لا ارى اخفارها في دين المروّة
وشرط الحفاظ والفتوّة وعساه لو همّ به او كاد ان يأتي عليه
ببيض المواضي وزرق الاسنّة والعوالي فأحفظهما هذا الجواب
وحرّضهما على مكاوحته وانتزاع مملكته من يديه وكتب عضد الدولة
ابو شجاع الى اخيه مؤيد الدولة بمناهضته بعد ان امدّه بما
فوق الحاجة من بهم الرجال ونفائس الاموال فبرز من الري

متوجها

متوجها نحو جرجان في جيوش الديلم والترك والموالي استردادا
متغلبا على ما يرده من بلاد طبرستان الى ان اناخ بها وكان
شمس المعالي قابوس بادره اليها وجمع عسكره بها فتلاقيا وتناوشا
الحرب من لدن طلوع الشمس الى الزوال حتى احمرّ بساط الارض
من دماء الابطال ثم انجمت على عسكر الجيل لكشفة اعياهم
ضبطها الزوال الاقدام عن المقام فتفرقت جموعهم في خمر الغياض
والآجام وعطف شمس المعالي قابوس الى بعض قلاعه المشحونة
بذخائر امواله واستظهر عنهما بالاهبة للغربة وسار نحو نيسابور
فلما وردها لحق به فخر الدولة من طريق استراباد فالتقيا هنالك
واجتمع اليهما من فرّقتهم الكشفة في الطرق المختلفة من طبقات
الرجال وكتب الى الامير ابي القسم نوح بن منصور والى خراسان
بحالهما في قصدهما له وتأميل الانتعاش بعونه ونصرته و
افتكاك ما غصبا عليه من الولايات بعزّ دعوته فورد عليهما
من الجواب الضامن للايجاب ما شرح صدورهما وشدّ بالنجح
القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلالهما واكبار

وتقديم الاحتشاد لردهما

تدرهما واكرام جوارهما والاستعداد لردهما الى ديارهما
نفعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطفت اليه اعنة
الخيول من كل وجه حتى استظهر بنخب الرجال عزم على الارتحال
ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مؤيد الدولة
بويه بها لينتزع ولاية الامير شمس المعالي ولا من يده ثم يتفرغ
من التدبير فيه الى غيره وعن له ان يسرح فايقا على سمت
قومس والري ليقطع الامداد والمواد عنه ويلبس اخبار تلك الديار
عليه ويزيده شغل قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين و
واحد الهم به من جانبين فنهض على السمت المذكور ثم بدا له
فيما دبر وراى ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب
ومن الحزم والاحتياط اقرب فاسترده من وجهه الى الاذواد
فاجتمعا على التضافر واتفقت اراؤهم على التسابر وسار حسام
الدولة ابو العباس تاش في تلك العساكر الى باب جرجان وفيهم شمس المعالي
وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها وتحصن مؤيد الدولة بويه
بها واحتجز بخندق ثغره ومخترق عوره وفروج للبلد حصنها

ودروب

ودروب بحفظة الرجال شحنها وما دهم الحرب حتى غبر شهران
كيوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام
في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على الثبات
قوتهم فكانوا يزاؤون من نخالة الشعير المعجونة بالطين و
عهدي بهم يدرجون كتبهم الى اهاليهم بالري رغفانا اشباه
الفرابيج يظهرون فيها شكوى الحال والهزال فكانت كاقراص المداد
في السواد وزحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على
الميسرة مقابلا لعلي بن كامة صاحب جيش مؤيد الدولة فاظهر
الغناء واحسن البلاء وحمل عليه حملة زحزحته عن مقامه
كليما وطرحته الى استراباد هزيما ولو اعين بمدد في الحال
لفسح ضيق المجال وجعلها آخرة في القتال لكن القوم نافسوه
فخذلوه لا جرم ان كوكبة من كتائب الديلم عطفت على من
تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش الخراسانية وطبقوا
عليهم حبالة الاسر ثم عرضوا عن آخرهم على السيف وورد
بعد ذلك على ابي العباس تاش ابو سعيد الشيبي في رجال من جنود

خوارزم وقاد الضرام وابناء الشهامة والسهام وقدح
للحرب بهم فلم يضعوا انبالهم الا في منافس الاحداق
ومواضع الثغر والاخلاق وافشوا القتل والعور والفشل
والخور في الديلم ثم تحاجزوا يومهم ذلك ولم تزل تقوم
الحرب بينهم على ساقها ظاهرة وغبا فينتصف البعض فيها
من البعض وكان ابو الفضل المنجم الهروي اشار على مؤيد
الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها
واحق عليهم منجحا او مخفقا فاسر ذلك في نفسه واستعد
لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة احدى
وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه في عسكره وعسكر اخيه على
اختلاف اجناسهم وكان اهل خراسان يظنون ان حربهم
تلك عارض ينقشع وعن قريب على الرسم في مثله يندفع فلما
راوها غماما ركاما وشاهدوها غراما ولزاما اقبلوا عليها
مضطربين فاذا الامر اد والخطب جد والحد حديد والباس
شديد وبدر الديلم من وراء الخنادق الى العراء محرجين من

30

جهد البلاء وضنك البوس واللاواء فاستعرت وقدة الحرب
ودارت رحا الطعن والضرب وتحدث الناس بان مؤيد الدولة
قد خبب فايقا واضرابه بمال حمله اليهم سرا واطمعهم في امثاله
حيلة ومكرا وواطاهم على التساهل في الحرب لليوم المرقوب
والاجل المضروب فلما حمل عسكر الديلم من ميمنتهم ولوا اوليك
ادبارهم نفورا وثبت حسام الدولة تاش وفخر الدولة في
القلب يتضاربان بالسيوف والقراتكينيات وبردان الحملات
المتداركة بصدق الثبات في الثبات الى ان القت ذكاء يمينها
في كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك الجموع فحذره
فخر الدولة فضل المقام لتكاثر الاقبال من كل وجه عليه وتوجه
الاطماع من كل اوب اليه فانقلب اذ ذاك يريد المعسكر
فساخت في منقلبه قوايم الفيل الذي حصن القلب في بعض تلك
المخاضات واعجله حر الامر عن التوقف لازعاجه واخراجه
فتركه على حاله ونجا براسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه
من الاموال المعبأة والاسلحة المنضدة والغلمان الحصارية

والغلات المجموعة ومضى على حاله الى ان عاود نيسابور ودخلها ليلة وكتب الى بخارا بخبر الوقعة وما حدث من الرجعة فعاد الجواب بتقوية الآمال وتمنية الرجال وتهيئة الامداد والاموال وطير الصاحب اسمعيل بن عباد كتبه الى بغداد وسائر بلاد تلك المملكة بذكر الفتح على ما ينطق به رسائله وانشدني الشاعر البجلي لنفسه في مؤيد الدولة قوله من قصيدة

ماهال غيرك في هيجاء ملحمة ... مذكورة آل ساماني وساماناً

فاكتب لمن ببخارا انه فلقد ... غادرته عند نوم الناس يقظانا

وكان البجلي هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد العارضة وانقطع الى الامير شمس المعالي بجرجان في آخر ايامه ففرض له في جملة حاشيته الى ان قضى نحبه فمن شعره فيه من قصيدة اولها

لله شمسان تذكير لخيرهما ... وللمؤنثة النقصان ملتزم

ازرى بتلك سنا من غير معرفة ... بما اوزتين هذا الفضل والكرم

يا ايها الملك الميمون طائره ... وخير من في الورى تمشي به القدم

لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا ... لما تمد الينا الشيب والهرم

ووصف ابو الحسن الجوهري الجرجاني الفيل المقبوض عليه في الحماء اللادزي بقصيدة اولها

قل للوزير وقد تبدى ... يستعرض الكرم المعدا

اقنيت اسباب العلى ... حتى ابت ان تستجدا

لو مس راحتك السحاب ... لامطرت كرما ومجدا

لو ترض بالحيل التي ... سدت الى العلياء سدا

وصرائم الرأي التي ... كانت على الاعداء جندا

حتى دعوت الى الهدى ... من لا يلام اذا تعدى

متقمصاً تيه العلوج ... وفطنة اعيت معدا

متعسفا طرق الفوالي ... حيث لا يستاف قصدا

فيلا كرضوى حين ... تلبس من رقاق الغيم بردا

مثل الغمامة ملئت ... اكنافها برقا ورعدا

راس كقلة شاهق ... كسيت من الحلكاء جلدا

فتراه من فرط الدلال ... مصعراً للناس خدا

يزهى بخرطومٍ كمثل الصولجان يرد ردا
متمددٍ كالافعوان تمده الرمضاء مدا
او كم راقصةٍ تشير به الى الندمان وجدا
او كالمصلب سد جنباه الى الجذع عن سدا
وكانه بوق يحركه لينفخ فيه جدا
يسطو بساريتي لجين يحطمان الصخر هدا
اذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيقتا لجمع الضوء عمدا
فك كفوهة الخليج يلوك طول الدهر حقدا
تلقاه من بعد تحسبه غماما قد تبدى
متناكبنيان الخورنق مائلا في الدهر كدا
ردفا ككدة عنبر متمايل الاوراك نهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا
يخطو على امثال اعمدة الخباء اذا تصدى
او مثل امثالٍ نضدن من الصخور الصم نضدا

متوردا حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متملكا فكانه متطلب ما لا يؤدى
متلفعا بالكبرياء كانه ملك مفدى
ادنى الى الشيء البعيد يراد من وهم واهدى
اذكى من الانسان حتى لو رأى خللا لسدا
لو انه ذو لهجة وفي كتاب الله سردا
عقته ارض الهند حتى حل من زهو هرندا
قل للوزير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا
او سار في افق السماء لانبتت زهرا وردا
يا ايها الملك الذي احيى وعلم كيف يجدى
ما بال عبدك لا يرى لتأخر التشريف حدا
برد الزمان وليته مما يليه في مات بردا
قد صد عني تلكم الآلاء حاشا ان تصدا

قال وهرند نهر جرجان الذي تلك الحروب على سواحله وهو
يتلوى في ارض جرجان تلوي الحيات كثير الاوبات والعطفات
ومنابع عيونه جبال دينار زارية ينصب العين منها الى
العين حتى يملأ النهر وتدهده الصخر نعم وواصل ابو الحسين
العتبي كتبه الى ولاة الاطراف بخراسان في استنهاضهم و
استنفارهم لينحدر بهم الى مرو ويجتمع معهم عما ثم يقبل
بهم وبمن يستجيشه من رجالات خراسان على رفو ذلك الخرق
ورتق ذلك الفتق ومحو سمة العجز واستعادة رونق الملك
واقبل يستعد للامر بجده وجهده ويواصل الكتب الى نيسابور
بجميل وعده وخلع الامير الرضي عليه خلعة جمع له بها
بين تدبير الاقلام والقواضب واضاف له الى بزة الكتاب زي
ارباب الكتائب فكانت خلعة خالعة لروحه قاطعة لعمره خاتمة
لامره وذلك لان ابا الحسن ابراهيم بن سيمجور كان يشكو الى
فائق ما دهاه من قصده اياه حين عزله عما كان يليه وكاده
في نفسه وذويه ولم ينفك يرصده بالغوائل ويطلبه بوجوه الاوتار

والطوائل

والطوائل الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان الشديدة
الذين كانوا رؤوس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب
لفرط القوة والغلب ودس اليهم من اغراهم به بسفاتج تنجزها
اليهم حتى توامروا بينهم على قتله وتجمعوا على الفتك به معتمين
خلو بخارا عمن يحتمي له او يحامي عليه واحس ابو الحسين بما
دبر من الامر واشفق على نفسه مما استطار من شرر الشر
فشكا الى الامير الرضي صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال
فبعث اليه بعدة من القواد لمرافقته الى الدار اجارة له
عما كان يخشاه وصيانة لروحه عن غيلة ما يتحاماه فتسامع
طائفة من المشركين في التدبير عليه بخبره فطاروا باجنحة
الركض على اثره ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى اثخنوه
ضربا وحطما ورضا وقصما واشفق من كان في مسايرته على
انفسهم فخذلوه واهملوه فكان مثله كما قيل
كليه وجريه ضباع وابشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره
وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه قتيل

وان ليس للحيوة اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب
من مصرعه ليراعى ما يحدث من الراى فى غده فلما غشيه
موج الظلام وهبت عليه رخاء السحر ان انه سمعها الباغبان
فبادر اليه فاذا به رمق قلق ونفس مختنق فسعى الى دار السلطان
مخبرا بثبات حسه واضطرابه على نفسه حتى امر به فنقل الى
القهندز والزم الاطباء المثابرة عليه طمعا فى انتعاشه
فاستصعب داؤه على الدواء وقضى الله على عمره بالانقضاء
فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد والصدر عديم
المثل فى سعة الرحل فقيد النظير فى الفضل الغزير ولم نرو
فى كتب الاولين ان احد الوزراء اتسعت همته كهمته لمشاطرته
على مروته ومنازعته فضل افضاله وفتوته سماحة كالغيث
يقذف بالوبل او الريح تعصف بالرمل وسياسة خفيت
لها جنادب الليل وغصت بها مساعب السيل وانشدنى ابو جعفر
الكافى لنفسه يرثيه

لهفى عليك ابا الحسين عين بكتك بكل عين ۞ جرعتنى غصص الجوى

وارثيني يوم الحسين ولبعضهم فيه وقد زار قبره فى جماعة من اصدقائه

مر على قبرك اخوانكا ۞ فكلهم قد هاله شانكا
فلم يزيدوك على قولهم ۞ عز على العلياء فقدانكا

وقد كان حسام الدولة شمس المعالى فخر الدولة بنيسابور على
انتظار معونته واستفاضة ما اسفر لهم من عدته فحدثنى
خالى ابو نصر العتبى وكان على البريد بنيسابور قال دعانى حسام الدولة
آخر نهار يوم فلما وصلت اليه وحدت الثلثة يتناضلون بينهم الاراء
فى معاودة الحرب واستيناف معالجة الخطب فخلطونى بانفسهم فيما
تداولوه وسالونى ان انهى الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم
لمعونته واستعدادهم للبدار الى امره واقبل على شمس المعالى
من بينهم فقال اكتب الى ذلك الصدر بان الحروب لم تزل بين الرجال
سجالا وانها تستصعب مرة وتصحب اخرى والحازم من يستفتح
بالجد باب النجح والظفر فالنجح يتلف بين العجز والضجر وانشد
له ابيات المتنبى مثله

يرى الجبناء ان العجز حزم ۞ وتلك طبيعة الوغد اللئيم

إذا غامرت في شرف مروم ∴ فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ∴ كطعم الموت في أمر جسيم

قال فاستدللت يومئذ بقوله على فضله وورد عليهم بعقب ذلك
نعي أبي الحسين الوزير فأوسعهم وجوماً ونثر عليهم من التدبير
ما كان منظوماً وورد على أبي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته
إلى الباب لتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل فاغتنم البدار
ومضى وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الأمور ونظم المنثور
وتتبع الجناة على أبي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعمهم
بالنفي والتسيير واستوزر أبو الحسين المزني فعمل بالتدبير
وحل في التقديم والتأخير لتمافت الأعمال واستبد دون آخرين
عليه بالإيراد والإصدار وقد كان أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور
انكفأ عن سجستان إلى خراسان من غير أمر صدر إليه استشرافاً
لنجوم الفتن وانتقاض الأعمال بها بتراجع العسكر عن باب جرجان و
تشوفاً للنفاق سوقه فيما بينها فكتب إليه أبو الحسين المزني مقبحاً
إليه فعله وناعياً إليه عقله وسامه أن يعدل إلى قهستان مذعناً

35

وعن ملابسة الأعمال متورعاً وأن يسلم أبناء الدولة في
جملته وتحت رايته إلى ابنه أبي علي على أن يعاود سجستان فيكفي
أمرها ويلم شعثها ويرأب صدعها وجعل بادغيس وكنج رستاق
باسمه ورسمه على أن يزاد في توليته وحباته متى عرف في الطاعة
صدق نيته وغنائه فلما استقر أبو العباس تاش ببخارا اغتنم أبو علي
خلو خراسان عنه وعن المناضلين دونه والمتصلين به فراسل
فائقاً يريده على مخالفته والجماد بمنابذته وترك الرضا بزعامته
فوجده سمح القياد إلى المراد طوع الزمام إلى العناد واجتمعا بنيسابور
على توكيد العقود وإمرار المواثيق والعهود وبدأ أبو علي بمصادرة
عمال أبي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت أيديهم
من أمواله وارتفاعات أعماله ثم نهضا إلى مرو سداً دون
الولايات وحجاباً دون الأموال والارتفاعات حتى اضطر
تاش إلى مناهضتهما وكفاية ما أهم من أمرهما ومداواة ما
من شرهما واستفتح الخزائن عن ذخائر الأموال ونفائس الأسلحة
والأثقال وبرز من بخارا إلى آمل الشط فخيم على طرف الرمل

وتردد السفراء فيما بين الفريقين على حفظ نظام الالفة واستبقاء
جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق على ان يكون
نيسابور لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي علي وتفرق كل منهم
على رياش عمله وللخوارزمي في ابي علي وقد حصل بهراة
تمنا بالامير هراة اذ قد ❊ علا عن ان تمنا عن هراها ❊
وكيف تمنا الدنيا جميعا ❊ بناحية من الدنيا احتواها ❊
وانحدر ابو العباس تاش الى مرو وقد كان قبل فصوله من بخارا
توصل الى عزل المزني عن الوزارة بابي محمد عبد الرحمن الفارسي
المتولي كان لامور كدخدائيته لما تبينه من ميله الى ابي علي
وفائق وادهانه في امرهما فلما استقر هو بمرو صرف عبد الرحمن
بعبد الله بن عزير وهو المعروف بتعنت آل عتبة ومساحنتهم
ونصب العداوة لهم ولصنائعهم وحرق الارم كيادا عليهم
فبدا بصرف ابي العباس تاش عن قيادة الجيوش ونقلها الى
ابي الحسن بن سيمجور مضادة لابي الحسين العتبي في تدبيره وتداركا
بزعمه لما وهى من اصل تقديره وتقريره وامر بالكتاب

من

عن السلطان اليه في نقل العمل عنه وتعويضه كوزني نسا
وابيورد منه والايعاز اليه بالامتداد اليهما والاقتناع بهما و
حذف عنه خطاب الزعامة واقتصر به على ما كان موسوما
به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه احس بامارة الشر و
دلالة الخبل والختر وعلم ان ذلك فاتحة الخطب عليه والتشفي منه
والوضع من قدره والثلم في جاهه ومحله فاستحضر وجوه القواد
واعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دابه ودينه في
طاعة سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته والذب عن حوزته
والشكر لما وسعه قديما وحديثا من نعمته واقباله مدة مصاحبتهم
اياه عليهم بحسن رعايته ورفق زعامته وايالته نيابة عنهم في
تنجز اوطارهم وتزيين مساعيهم وآثارهم ومواساته لهم
بما اتسعت له يده من خاص ماله وحاصر ملكه وانه يومه ذلك
في نفسه ومهجته مقصود وعن باب مالكه وولي نعمته مردود
ولا منع من جهته لاحد منهم عن رايه واختياره في معاودة بخارا
او اللحاق باي جانب شاء فليختر كل منهم ما احب غير منازع في

قصده ولا مدافع عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون
من وراءهم من اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما
عندهم من الراي في المقام او الارتحال وتجمعوا بعد ذلك
دفعات متباعدين مرة في الاختيار ومتقاربين اخرى
الى ان اتفقت كلمتهم على موافقته وترك مفارقته والاذعان
لرياسته ومرافقته على ما يلقاهم الزمان به من
سلم وحرب وذلول وصعب وسهل وحزن وسرور و
حزن وكاتبوا الى بخارا سائلين رد الزعامة عليه
رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في تحقيق مسألتهم
استبقاء لوجوههم ماء طاعتهم فابى ابن عزير ان يقع
لهم نجاح او يستمر بين اولياء الدولة صلاح وكتب اليهم يمنيهم
الزور ويريهم الغرور سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم
وتنفيقا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا بصيرة
في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا باستبصار فيه

الاقامة

وخوف وامن

كسراب

ونجوعا

ونجوعا له في وجوه تكاليفه

ذكر انقلاد فخر الدولة الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من التكاتب والتعاون الى آخر عمره

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش الى بخارا ان قضى مؤيد
الدولة نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب التي كانت
بينهما ما دهاه الخبر بوفاة عضد الدولة اخيه فتماسك
عن اظهار المصاب اباة بالخطب امامه حتى يكفيه حفيظته
المرة ويقضيه بعزيمته المستمرة وتشاور اولياء تلك
الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد في الرياسة مسده
فاشار الصاحب اسمعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن
في ذلك البيت احق بالامارة واتم باعباء الرياسة
والسياسة سنا وكفاية منه فطير البريد اليه في البدار
الى ما اورثه الله من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا
لا منة لاحد عليه به ولا حق لانسان يختم لسانه بشكره و

والعقيلة من الابل عقيلة كل شيء اكرمه والدر عقيلة البحر

استخلفوا اخاه ابا العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة
على ضم المنتشر وتقويم المتاود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير
ما يليه ويتولى عنه تحرير ما ينشئه برايه ويمليه وبادر
فخر الدولة من نيسابور الى جرجان تطاير البرق بين جناحي
الافق فاستقبله العسكر خاضعين طائعين وعلى صدق
الممالاة والموالاة مبايعين وتبوأ مقعده من سرير الملك
وارثا ما اوصى به له ابوه وسائر ما كان يديره اخوه كذلك
يؤتي الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما
يريد ولقد احسن ابو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة
يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة

رزئت اخا لو خير المجد في اخ ۞ من الناس طرا ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا اليك كما ترى ۞ طفيلية قد جاوزت قبل ان تدعى
طبت بك عشقا وهي معشوقة الورى ۞ فقد اصبحت قيسا وعمدي بها ليلى
ولما رات حظا بما فركتهم ۞ فلم ترض الا زوجها الاول الاولى
ولم تتساهل في الكفي ولم تقل ۞ رضيت اذا ما لم يكن ابل معزى

ثم اشتمل يضرب في الاقتصاد على اليسير الرضي القليل اي لم تقل ما قاله امرؤ القيس وقد صيح في حجرات البلد احراد نهبا
لنا غنم نسوقها غزار كان قرون جلتها عصي اذا ما لم تكن ابل فمعزى

على انها كانت جفتك تدللا ۞ فخليتها حتى انت تطلب الرجعى

وانشدت لابي الفرج بن ميسرة ابياتا من قصيدة

ولو قبل الفداء لكان يفدي ۞ وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون ۞ تكر لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس ۞ برغمك دوننا ثوبي حداد
اذا قدمت خاتمة الرزايا ۞ فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب الى ابي العباس تاش يذكر ما اصاره الله اليه واعلقه بيده
وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف الى
اقسام ارادته وانه لم يرتح لاستجابة ايامه النافرة و
اعتاب دولته العاتبة ارتياحه لما يتمكن به من معاضدته
على مصالح احواله ومرافدته على مناهج آماله شكرا لما كان
مهده من مقامه قبله وقدمه من جهده في ايثار الخير به
وارتياد النجح له فاجابه عنه مهنيا بما اتاحه الله له من كريم
صنعه وزفه اليه من هدي ملكه وشاكرا له ما اوجبه
ورآه وشاكيا اليه ما رهقه ودهاه فكتب اليه بانه يسهمه

بما يليه وتسيمه على ما يجريه وان امره ممتثل في كل
ما يرومه وينتحيه فليبن امره على ما يقف عليه اقتراحه
منتظرا لما يقتضيه شركة المفاوضة من التسمح بالملك
والمال وتسريب الرجال في اعقاب الرجال وكان تاش قد اشخص
اباسعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل
فخر الدولة رسولا فصرفه في العاجل بقدر من المال وزهاء
الف فارس من شجعان العرب والاتراك فورد نيسابور و
انضم اليه ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق مواليا لابي العباس
تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد والتظافر
التكانف والترافد وانحدر تاش الى نيسابور فسبقه اليها
ابو الحسين وانحاز المقيمون بها انتظارا لوصوله في سواد حموله
ولحق بهم فصارت الايدي واحدة والقلوب على الاخلاص
متعاقدة وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيم بظاهره
وناوش ابا الحسن الحرب اياما عدة وهو متحصن بالبلد
دروبه ومحتجز بضيق مداخله وسدوده ولحق ابي العباس

تاش

تاش زهاء الفي رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم
ابو العباس فيروزان بن الحسن في كبار القواد ممن يعدمون
على الزبر ويدخلون ولو خرت الابر فلما احس ابو الحسن بن
سيمجور بانا خيهم علم قوتهم على حرب المضيق واعجازهم
باطراف الزانات والمزاريق فاتخذ الليل جملا وترك البلد هملا
وسار يريد قهستان سائرا عورة الانهزام بلباس الظلام وسمع
عسكر ابي العباس باجفالهم فشدوا على اثارهم واثقالهم
واصابوا منهم غنائم موفورة وانفالا غير محصورة ودخل
ابو العباس تاش نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها مما
يلي الجانب الشرقي في حميد الظفر رضي الاثر وانشدني ابو منصور
الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة . قل للذي بات في هواه حاشي
صاد الفواد بصدغه الجماش . صدغ يرى عند الرياح كانه
قلب ابن سيمجور احس بتاش **وله ايضا**
ان الشتاء مضى بقبح كاشي . واتى الربيع لنا بحسن رياش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله . واتانا تاش ابنا الكرام بتاش

عبد الملك بن محمد

ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة
والاستقالة والضمان لانف الطاعة وعرض النفس والملك
بلسان الضراعة فلججت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة
دون مغايظته ومعاداته ومعاندته وطفق ينفق على الامير
الرضى والدته التي كانت كافلة بالملك ان تاش معتصم
بالديلم وقاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من
عنانه فيما يستدعيه وجب التعزي عنها والتكبير عليها
حتى ظننا ان الامر كما زعم فوكلا التدبير اليه وحبلا رباط
الخير والشر بيديه وتذكرت اذ ذاك قول صديق لي في تلك الايام
بيتين لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال ان الاثنين بحكم الوقت والحال شيئان في وزنهما
وصياغتهما الحسين بن علي المرو الروذي وهما

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما * رأي النساء وامرة الصبيان

ذو الرياسة

الامرة الامارة ديوان

اما

اما النساء فميلهن الى الهوى * واخو الصبى يجري بغير عنان

فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان
ويسجل بصحته الامتحان وابى الله ان يكون ظئر في
شفقة الام وخال بمنزلة العم وعسيف بمثابة الصاحب
ووزير بمحل الملك الغالب المستبد برأيه الصائب وفكره
الثاقب واهمل ابو العباس تاش ما اهمه من امر ابي الحسن
بن سيمجور وقصده مداراة لولاة التدبير ببخارا واستمالة
لهم واستثناء واستبداء بهم وامساكا للوحشة من الازدياد
وصيانة للفتق من الامداد وهم فيما بينهما يتسلون فرصة الرخاء
ويغتنمون فسحة الامهال والامهاء ويقبلون على مواصلة
الاحتشاد والاستعداد ومدا ومد الاستمداد والاستنجاد
وكتب ابو الحسن بن سيمجور الى ابي الفوارس بن عضد الدولة
بفارس فامده بالفى فارس من نخب الاعراب انضم اليه
فائق في خواص غلمانه وسائر من اشتهاشهم من اطراف
خراسان وكروا باجمعهم على ابي العباس تاش في حيول لغص بها

عرض الجيوب وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب
فلما قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه
عليه ومساورته الحرب عن ظهر منعة واقتدار وحال
نجدة واستظهار فعارضهم ابو العباس تاش في مسيرهم
بعبد الله بن عبد الرزاق وابي سعيد الشبيبي وخواص
غلمانه وناوشهم الحرب من حيث متع النهار الى ان صار
كعين الاحول وظلت حملاته تخطفهم خطفا وتوسع اركانهم
هدا وهدما وكانت الجماعة ما بين سرخس الى مقامهم ذلك
قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم واقنع بالاجفال
جمهورهم ايثارا لفسحة المضطرب والخلاص عن ضيق المعترك
وحمل ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدرها خاتمة القتال
وآخرة النزال فتلقاها ابو الحسن وابو علي ابنه بشكائم
قوية وعزائم في الثبات صرتية وردوا مطلقات الاعنة
بمشرعات الاسنة ومسرعات الزحوف بمرهفات السيوف
فلما انقلب الى مقامه وقد تفرق في تلك الحملة عنه سواد

خيوله وحفظة راياته شدوا الحملة عليه دفعة واحدة
واضطروه الى الانهزام واسلام المقام وتداركت الحملات
على عسكر الديلم من جانب فايق حتى ترعزعت صفوفهم
واضطربت جموعهم فتداعوا الامان من قراع السيوف خلا
من انجته صهوات الخيول فجمعوا في بيت الاسار على حال
الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا على الجمال والجوالق آية
ونكالا وتشفيا ممن سار بهم الى خراسان ارسالا فاستقبلهم
المخانيث بالدفوف والمغازل بدلا عن السيوف والعوامل
وامر بهم على محابس القهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين حمام
ونجاة

ذكر انتقال حسام الدولة ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش

وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان فنفصل عنها فخر الدولة
متوجها نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك دار الامارة

محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والأهب الوافرة
حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية والأواني الذهبية
والفضية وتقدم بأن تسلم اليه خزانة كان قد اعدها
للحمل اليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين الف دينار و
الفي الف درهم وخمسمائة تخت من الوان الثياب
الى غيرها من عتاق الأفراس وجياد المراكب والدواب واعداد
الأسلحة والوقايات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن
وترسة وزانات اكثرها مغشى الظهور والنصب بحلي الذهب
والفضة وسوغ له دخل جرجان ودهستان واسكون
واستراباد الأقدار كان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق
مستحفظيها من الخواص فأمر ابو العباس تاش بتفرقة تلك
المبار والأموال فيمن صحبه من القواد وطبقات الأجناد
حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل لهم الاقامات والأطماع
حتى ارتاشت احوالهم واخصبت رحالهم فصاروا ابجا
احسن منهم بخراسان حالا وارغد عيشة وانعم بالا وجعل

فخر الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في تأثيل
احواله واستبقاء لنظم جنوده ورجاله فعل من لا ينفس
على اخيه بنفائس ما يحويه ولا يضن على صديقه بجليل
ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب اسمعيل بن عباد يستسرف
ما يوجبه له من الاحسان والمواساة ومواصلة الصلات
والكرامات ومن قبل ما نصح له في استعراض خراسان
برجاله مخالفة لسلفه فيما اختاروه من مسالمتها واغتنام
السلامة منها فقال له ذات يوم ان حقوق ابي العباس على حقوق
لو نزلت معها عن جميع ما افاء الله علي من ثمرات هذا الملك
حتى احل له عروة هذا القميص لوجدتني في ادنى درجات
المكافاة وايسر مراتب المواجب واشار الى واحدة تكفيه
امارة على ما اوجبه له ايام مقامه قبله اشفاقا على
مهجته وحرصا على محبته وذبا عنه في حال غربته وهي
ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلاه اليه ليسترده
انه على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان

اَوَّلًا وَلِدُ ثَانِيًا مَشْفُوعَةً بِمَجْلُوبَاتِ العِرَاقِ مِنْ وَشْيِ
الثِّيَابِ وَفُرْهِ العِتَاقِ وَاَغْلَيَا فِي الاِسْتِيَامِ وَالتَّطْمِيعِ حَتَّى لَمْ
يَبْقَ لِلرَّدِّ مَجَالٌ وَلَا لِلِسَانِ العُذْرِ مَقَالٌ وَاَتَانِي خَبَرُ الرِّسَالَةِ
فَاسْتَظْلَمْتُ ضَوْءَ النَّهَارِ وَاسْتَخْشَنْتُ جَانِبَ القَرَارِ وَ
بِتُّ مِنَ الحَيْرَةِ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ اِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الهَرَبِ مَطْمَعٌ
وَلَا فِي قَوْسِ الرَّجَاءِ مَنْزَعٌ وَبِتُّ بِلَيْلَةٍ اَنْقَدُ اَرَى اَلسَّدَّ
كَاَنْ قَدْ اَلَى اَصْبَحْتُ وَقُوَايَ مُتَخَاذِلَةٌ وَاَرْكَانِي مُتَهَافِتَةٌ
خَوْفَ الاِذْنِ بِالدَّاءِ العَيَاءِ وَالدَّاهِيَةِ الدَّهْيَاءِ فَاَتَانِي
حَاجِبُهُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الاِذْنِ دَاعِيًا وَآدِبًا فَلَمْ اَدْرِ اَ
اَدَاعٍ هُوَ اَمْ نَاعٍ وَآدِبٌ هُوَ اَمْ نَادِبٌ وَطَالِعُ ضِيَافَةٍ اَمْ
طَارِقُ آفَةٍ وَخَمَّنْتُ فِي القِرَى كِنَايَةً عَنِ المَحْذُورِ وَتَوْرِيَةً
دُونَ القَدَرِ المَقْدُورِ فَوَلَّيْتُ اِلَيْهِ وَسَيْرُ عِنَانِي اَخْصَفُ
مَرَّةً مِنْ بَنَانِي عَلَيْهِ اِلَى اَنْ حَصَلْتُ فِي مَجْلِسِهِ فَصَادَفْتُ مِنْ
حُسْنِ القِيَامِ وَالاِلْتِزَامِ وَفَرْطِ الاِكْرَامِ وَالاِعْظَامِ وَفَضْلِ
البِرِّ وَالاِينَاسِ وَنُصْرَةِ الرَّجَاءِ عَلَى اليَاسِ مَا لَمْ اَكُنْ عَهِدْتُهُ

بِيمَا مَضَى مِنْ مَجَالِسِهِ وَمَآنِسِهِ وَمَا زَالَ يَرْقِينِي بِبِشْرِهِ وَيُسَحِّرُنِي
بِلُطْفِهِ وَبِرِّهِ اِلَى اَنْ ثَابَتْ نَفْسِي اِلَيَّ وَانْحَلَّتْ عُقْدَةُ الخَوْفِ
وَضِيَاعًا عَلَيَّ وَتَطَايَرَ الهَمُّ عَنِّي شَعَاعًا وَذَهَبَ سُوءُ الظَّنِّ جُفَاءً
ثُمَّ نَاوَلَنِي الرِّقَاعَ الوَارِدَةَ عَلَيْهِ فَنَشَرْتُ مِمَّا عَنْ اَنْيَابِ الاَرَاقِمِ
وَاَقْدَاحِ العَلَاقِمِ وَحُمَاةِ العَقَارِبِ عَلَى الرَّسْمِ المُعْتَادِ مِنْ كَيْدِ
الاَقَارِبِ ثُمَّ اَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ قَدْ كُنْتَ عَلَى اَنْ اَكْتُمَ الاَمِيرَ صُورَةَ
مَا وَرَدَ صِيَانَةً لِقَلْبِهِ عَنْ نَوَازِعِ الظُّنُونِ وَالاَوْهَامِ وَلَكِنِّي
فَكَّرْتُ فِي حُكْمِ الحَالِ الَّتِي تَجْمَعُنِي وَاِيَّاهُ فَرَاَيْتُ المُلَاعَةَ طَلْعَ
مَا كُتِبَ وَالاِفْضَاءَ اِلَيْهِ بِحَقِيقَةِ مَا طُلِبَ اَمْلَكَ لِسُكُونِهِ وَ
اَوْقَعَ لِطَائِرِهِ وَاَنْفَى لِخَلَاجِ الشَّكِّ عَنْ خَاطِرِهِ وَاُقْسِمُ بِجَمِيعِ
مَا يُغَلَّظُ بِهِ اَيْمَانُ البَيْعَةِ اَنَّهُ لَا يَعْدِلُ خَرَاجَ العِرَاقِ بِاَسْرِهِ
عَلَى نَفَاسَةِ قَدْرِهِ بِشَعْرَةٍ مِنْ بَدَنِهِ وَلَا بِنَبِيرٍ مِنْ بَرِيَّتِهِ
وَاَنَّ جَمِيعَ مَا اَمْلِكُهُ مِنْ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ وَقَاعِدٍ وَقَائِمٍ حَتَّى
نَصَّ هَذَا الخَاتَمِ وَزِرَّ هَذَا القُرْطُقِ وِقَايَةٌ لِمُهْجَتِهِ وَوَقْفٌ
عَلَى مَصْلَحَتِهِ وَمُعَدٌّ لِدَرْءِ الحَوَادِثِ عَنْ سَاحَتِهِ وَمُبْتَذَلٌ فِي الاِنْتِقَامِ

له ممن نافسه في ملكه ونازعه حق ارثه حتى باذن الله
له في رده الى بيته قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم
ماضي الحكم على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة
طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة ولا ميل الى نيل ولا
تطلع الى وجد مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده
ويتجاهل دون ما يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة
وحق ركن الدولة لاعرف الناس بنسياني هذا الحق العظيم
وقد استسهلت طرق المكافاة واصبت عون الله على حسن المجازاة
على ان الفضل له بسبقه الى البر وان جهدت في المقابلة
وشددت الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون من هذا
الكلام والكرم الذي عز سماع مثله في سالف الايام واحتشد
الصاحب من بعد لمصالح ابي العباس تاش مناصحة لصاحبه
وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه ويقيد شرف الوفاء له
وبقي ابو العباس تاش بجرجان ثلث سنين نابي الجنب عن
القرار جافي الجفن دون الغرار شوقا الى خدمة سلطانه و

حرصا

حرصا على عرفان حق اصطناعه واحسانه واشفاقا
من تاويل حساده في انتباذه عن خراسان انكاره حق الولاء
ونزعه عن رقبته طوق الطاعة والوفاء وجل همه
معاودة بخارا لاستيناف الخدمة والسلامة من المذمة
وارسل ابا سعيد الشيبي الى فخر الدولة في الاستعانة
على معاودة خراسان فجهز اليه اسفار بن كردويه
وعدة من اعيان القواد في زهاء الفي رجل من خلص الديلم
وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو بقومس بصلة
جناحهم والزعامة عليهم في ايرادهم واصدارهم والصدر
في ذلك كله عن راي حسام الدولة ومثاله والتصرف
بتصاريفه في حالتي حله وترحاله وتارتي سلمه وقتاله
وحمل في صحبته من المال لاقامات اهل عسكره ضعف
ما كان خلفه عليه عند قفوله من جرجان فسار ابو سعيد
الى قومس فانتدب نصر لقراه وقرى القواد في صحبته كما
قرى تميم ضيفها وجارها ابن الحضرمي حذو النعل بالنعل

وذلك انه امر به في صحن داره فاخذته السيوف
يمنة ويسرة حتى برد وعمد الى آخرين فحبسهم في سرب
واوقد الفحم عليهم وسد منافذ السرب دونهم حتى
اختنقوا بين حر المحبس وعدم المتنفس وافتات بتلك
الاموال المحمولة والدواب المقودة راضيا بسمة الغدر
وقاضيا على نفسه بالخزي يد الدهر وانفل الباقون نحو
الري كالسائمة عدمت الراعي لا يلوي واحد منهم على آخر
الى ان وردوها فقرروا الصورة وقرأوا الصحيفة المنشورة
فورد من ذلك على فخر الدولة ما اطار واقعه وهاج وادعه
وعلى حسام الدولة ابي العباس تاش ما اقلقه واكمده و
اضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة
بذكر ما وراءه من تجهيز الجيوش اليه يستحده الى استراباد
ليصير المقصود محصورا بين العسكرين ومضغوطا من كلى
الجانبين الى ان ياذن الله فيه بالبوار والانتباذ الى غيرها
من الديار فانحدر ابو العباس تاش الى استراباد وخيم بهزارجان

فاخذ نصرا ما قدم وحدث وما مر وخبث وراى الحين
قد فغر فاه والسيوف تطلب وجهه وقفاه فلاذ بالاستسلام
وفزع الى الضراعة والاسترحام وطفق يكتب في الاعتذار
الى الجانبين بانه كالعارك حياء مما ارتكبه وخجلا من
عوار ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستعفاء
واستقالة ما تخبط فيه بسوء الاختيار حتى كتب في ابده بما
نفس من خناقه وتكرم فخر الدولة بقبول انابته رعاية لحق
شيبته وقرابته وعاد ابو العباس تاش الى جرجان على ان
يستانف تدبير خراسان وكان فخر الدولة قد استوحش
من ابن اخيه بهاء الدولة لاحوال اخل فيها بحقه وترخص
معها في المفروض من اجلال قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه
مزاحما له في اعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في
جنود الاكراد اولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها
مدلا بالقوة السابغة والنجدة الوافرة وانهض ابا العباس
فيروزان بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها واستصنا فيها

الى اخوانها فلما عبر بهر موسى استجاش المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة اهل البصرة عليه فعمد منهم خلق عظيم الى المسالك بينه وبينهم فبثقوا سكور الاهواز عليها حتى عميت الطرق واعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن معه في مخاضات ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار وطمست دونهم معالم الاقبال والادبار ووافتهم اقبال خيول من الموصل على عوادل الطرق لمظاهرة المقيمين بالبصرة فلما اخذتهم ابصار ابي العباس فيروزان بن الحسن وراوا فيهم شوكة ووفورا ولوا على اعقابهم نفورا وكان بدر بن حسنويه قريبا منهم فلما راى الكشفة جاء ممانعا وثبت بنفسه مدافعا فاعياه سد ما اختل ورد من اخل فاستمرت الهزيمة بهم الى فخر الدولة وهو بسوق الاهواز فشكوا اليه ضيق الحال وتجمعوا على راسهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر في الاول من عجزهم وخورهم وما انتشر في الثاني من سوء فعلهم واثرهم فانكفا بهم راجعا الى همذان على ظاهر هدنة وقع التغاضي

عليها

عليهما ومنها الى الري وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء بارض جرجان خارج عن الحد في هذه السنة فهلك من اصحاب ابي العباس ناس ووجوه قواده واعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وسائر حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت له باخرة علة صعبة ختمتهم به فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان اصحابه اوغروا قلوب اهل جرجان برسوم ذميمة ابدعوها ومعاملات قبيحة اخترعوها واجعال عنيفة ارتفعوها فلما فنا اكابر وثابه صاروا يدا واحدة على اصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت كل مدر وحجر وجعلوا القتل حفلى وانتظم الكبير والصغير والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل والابادة والتمثيل وشغل وجوه عسكره دهاء المصيبة عن الفراغ لقمعهم وردهم واخماد جمرتهم واستكفاء معرتهم واقتضتهم صورة الحال البروز الى ضاحي البلد لضبط الامر وضم النشر واتقان التدبير في اختيار من يصلح للتامير

فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على ابي احمد بن اخت له فقدموه
وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم مما وجد في خزانة الماضي
مضافا الى ما امكن تمحّله واحتياله عشر نبتة واحدة حتى
هدأت ثورتهم وسكنت سورتهم وتوالى النفير من البلد
بمد اهله ايديهم الى عورات النساء الخراسانية بغيا و
كيادا فحركتهم الانفة للانتقام من اولئك الرعاع والاغتام
وركبوا على سمت بكراباذ لمجاهدتهم وثار اليهم اولئك الاشقياء
متهافتين في الدمار تهافت الفراش في النار فلم ينشبوا ان حمل
اهل العسكر عليهم حملة واحدة كشفتهم عن رؤوس بلا غلاصم
وايد بلا معاصم ونفوس بلا عواصم وفرشوا ارض ذلك الفضاء
بجثث القتلى متشحطين في الدماء وضربت الدور والحوانيت
بالنفاطات وبسطت عليهم الايدي بالغارات تجري عليهم ما لم
يجر بعد يزيد بن المهلب قبله نكاية رادعة وعقوبة وازعة
قامعة وعندها ارسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان
ويناشدون الله والايمان فكفوا عن القتال وانكفوا الى الرحال

فسكن

فسكن نابض تلك الفتنة ووقع طاير الهيج واللوثة و
اختلف العسكر في الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة
الى خراسان واستحب الدارية الانقطاع الى فخر الدولة و
الاختصاص بخدمته وكتب الصاحب اليهم اجمعين بالتوقف
ريثما يلحق بهم الاستاذ ابو علي فيطلق اموالهم ويحقق
في الولايات وزيادة الاقامات امالهم فحفزهم حب خراسان
عن التوقف واعجلهم طول العهد بالاوطان دون التثبت
فساروا على سمت الروعد معاودين نيسابور للاتصال بابي
علي بن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه واقام
الباقون من الدارية الى ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم
واثبت اساميهم واطلق اموالهم وسيرهم الى الري فامر
فخر الدولة بنقلهم الى الدار وتوجيههم على الرسم في امثالهم
بمزيد الاكرام والايثار رعاية منه لحق ابي العباس تاش من جانب
واستظهارا بهم من آخر وقد كانت جرجان تموج بالغاغة
وذوي العيث والخرابة ممن قتلوا اهل خراسان ومثلوا بهم

فوضع الأستاذ أبو علي الأرصاد لهم وبث العيون عليهم
وقتل ممن حمل منهم يوما واحدا حديدة زيادة على ثلثة آلاف
رجل صلبا وصبرا وغيلة ومكرا فتمت بذلك سياسته
واستفاضت هيبته واستقامت أموره وصفت جرجان
في أيامه ممن يتعوق في فساد أو يحكم بغير استقامة وسداد

ذكر أبي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش إلى أن قضى نحبه وانتقال الأمر إلى ابنه أبي علي

فاستقامت بولايته وقراره بنيسابور وانحدار أبي العباس
تاش إلى جرجان أمور خراسان وانصرف عسكر أبي الفوارس
إلى كرمان وعاد فائق إلى بلخ واستقر أبو علي بهراة
وكان ابن عزير يستحث أبا الحسن على قصد جرجان و
يؤنبه على التقاعد عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته
في استشعار الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا
من عثرة قدم يفضي إلى ندم كالتي عرضت لأبي العباس
تاش بجرجان من الكشفة التي جلبت على الدولة من الوصمة

ما سار

ما سار في البلاد خبره إلى أن أقيم أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني
للوزارة وذلك في جمادى الآخرة من سنة سبع وسبعين
وثلثمائة ونفي ابن عزير إلى خوارزم فجهد أبو علي في تسديد
الأعمال وحفظها على الاعتدال فأعياه ما أراد لانسداد
الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة
الأتراك وتسحبهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب
خلعا للجام المراقبة وأمنا من السياسة وصدق المؤاخذة
فصرف بأبي نصر بن أبي زيد وهو الشهم الذي يصيب المحز
في أقواله ويطبق المفصل في أفعاله ويبذ الكفاة بغنائه
ومضائه وصواب تدبيره وآرائه ثم بدا لهم في أمر أبي علي فرد
ثانيا إلى مكانه من صدر ديوانه فاتفقت لأبي الحسن بن سيمجور
بين هذه الأحوال نهضة إلى خرمك بعض متنزهاته بنواحي
من حظاياه فخانته نفسه خلال الرفث إليها وخر إلى الأرض
عن صدرها ميتا وأخفي خبر وفاته إلى أن رد إلى داره
واستعد لإظهاره وورث أبو علي رياسة بنيه وأخوته

وجيشه نسد الثلمة الحادثة بابيه برفق سياسته
وحسن رعايته وخفي ايالته وولايته وحسنت طاعة
ابي القاسم اخيه وسائر اخوته له وعم رضاهم به وبلغ
ابا علي ان هراة سميت لفائق فقصدها ابو علي وكتب
اليه يعاتبه على ما استجازه من الخطبة على خطبته ثم اتفقا
على ان تكون هراة لفائق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي علي
ورتب كل منهم اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من بخارا
على الرسم لولاة الجيوش وابو علي ظن انه هو المقصود بها
والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول منتصف الطريق
عدل الى فائق بما صحبه فعلم انه مكر مكروه وغدر اسروه
وانه هو المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فائقا
شخص عن هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والسهام
المرصد حتى انقض عليه فيما بين هراة وفوشنج فعل من اتخذ
الجد خدنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا وعلم انه
متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة و

عرف جبنه وخوره لم يرتفع له ولا لاهل بيته راية
ولا يعرف لانتقاض الامور عليهم وانسياب المحذور اليهم
من كل وجه غاية فصدق قتاله آخذا بفرط الجد والتشمير
ودق عسكره ∴ دق المضبب اسناه المسامير
فولوا منهزمين الى مرو الروذ وارادهم ابو علي بعدة من
قواده للتشريد بهم في مهربهم فوافقوه بقنطرة مرو الروذ
مستعدا للمدافعة فقارعهم حتى اسر منهم عدة وحملهم الى
بخارا وسار ابو علي الى مرو خاطبا عمل ابيه ومدلا بسابق
حرماته ومساعيه ومتكثرا باخوته وذويه فحقق الرضي
سؤله وجرد اليه فيما استدعاه رسوله وقرر قيادة
الجيوش عليه وناط مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية
نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفأ
الى نيسابور وقد نال ما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال
والرجال واخذ امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوة
واستعلاء الى ان تلقب بامير الامراء والمؤيد من السماء

وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة وهي

ان الالى خلف الخدور ۝ هم في الضماير والصدور

رفع الغبار عليهم ۝ فغدا يتيه على العبير

لماشين على الثرى ۝ تاه المغار على المغير

تغدو في حال الاسير ۝ ورحت في حال الحسير

وكذاك من عشق النجوم ۝ ورام صيدا للبدور

يا سائلي عما في البرا ۝ قع والهوادج والستور

بينما الرضاع من ۝ السنة والفطام من السرور

وسالت من زوج المنا ۝ بر حين يخطب في السرير

فهو الامير ابن الامير ۝ ابن الامير ابن الامير

المشتري المدح القليل ۝ بماله الجم الغفير

من سيفه كسر الجبير ۝ وسيبه جبر الكسير

والناظم المعنى الطويل ۝ بلفظه النزر القصير

يرمي اعاديه بسهم ۝ من سعادته طرير

حتى لو افترشوا الحرير ۝ لساءهم مس الحرير

ويونث البهم الذكور ۝ ربتلكم البيض الذكور

وسهامه نوب الخطوب ۝ وقوسه عقب الدهور

ورماحه حشو العدى ۝ وعداته حشو القبور

استغفر الرحمن بل ۝ حشو الجوامع والنسور

وبصوم صارمه فيفطر ۝ بالجماجم والنحور

واذا اتاه سائله ۝ رب الشويهة والبعير

ابصرته بفنائه ۝ رب الخورنق والسدير

احمد بن محمد ۝ هذا التماد من البحور

لو كانت الدنيا تدو ۝ ر على الحقائق والامور

ما صيغ تاج محمد ۝ الا من القمر المنير

واتاه البديع ابو الفضل الهمداني وهو يمر ويمتدحه

بالقصيدة التي اولها ۝

على ان لا اريح العيس والقتبا ۝ والبس البيد والظلماء واليلبا

واترك الخود معسولا مقبلها ۝ واهجر الكاس تغدو سرها طربا

حسبي الفلاة مجلسا واليوم مطربة ۝ والسير سكري من مسه تعبا

وطفلة كقضيب البان منعطفا ۝ اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من اجفانها حببا ۝ دوني وتنظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني ۝ والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا دردر المعالي لا يزال لها ۝ برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشربا باللوى عذبا موارده ۝ بيناه مبتسم الارجاء اذ نضبا
طلعت لي قمرا اسعدا منازله ۝ حتى اذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة ابهى ما دجت دجت ۝ وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا
استودع الله عينا تنتحي دعا ۝ حتى تؤوب وقلبا يرتمي لهبا
وطاعنا اخذت منه النوى وطرا ۝ من قبل يقضي الهوى من حلمه اربا
غضي عليك ثناء الصبر ان لنا ۝ اليك اوبة مشتاق ومنقلبا
ابى المقام بدار الذل لي كرم ۝ وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة ۝ دون الامير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الامراء الغر فاملك ۝ الا تمناك مولا واشتهاك ابا
اذا دعتك المعالي عز وهامها ۝ لم ترض كسرى لا امر قبله ذنبا
اين الذين اعدوا المال من ملك ۝ يرى الذخيرة ما اعطى وما وهبا

ما الليث

ما الليث مختطما والسيل مرتطما ۝ والبحر ملتطما والليل مقتربا
امضى شبا منك ادهى منك صاعقة ۝ اجرى يمينا وادنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا ۝ لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت ۝ والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من تراه ملوك الارض فوقهم ۝ كما يرون على ابراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول اصدقه ۝ ولا تهابن في امثالها العربا
ما السموأل عهدا والخليل قرى ۝ ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا
من الامير عشا ان اذا اقتسموا ۝ مآثر المجد فيما اسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان بعثرني ۝ والمازني ولا القيسي منتدبا
هذا الركبته وذا الرهبته ۝ وذا الرغبته وذا اذا طربا

نعم واستوى على بلاد خراسان وارتفاعاتها فجبيت له عن آخرها وكتب الرضي اليه يستنزله عن بعضها لاطماع حشمه وعوارض مؤنه فاعتل عليه باستغراق غطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يتحملها التتمة لطامعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء ويسر حسوا في ارتغاء

وَنصب ابا علي النسفي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان باسرها فلم يبق بها ذو درٍّ الا ادمى خلفه والصق بظهره بطنه ثم طالبه بما رفع اليه وامر بدق يديه على رجليه الى ان اعفى ببعض المال و مات باخرة على شر حال وصار بكاتب الملك الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هارون بن ايلك بغراخان وهو بلاد الترك سرًّا على ان يتشاطرا خراسان وما وراء النهر متى ملك على الرضى بخارا فكان مثله كما قيل : بمحمد سلوا سيوف محمد : رضحوا بها هامات آل محمد : وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا بن عمه للتقية او نحدًا الى الرعية وقد كان طائفة من دهاقين ما وراء النهر قد امكنتهم ايام تلك الدولة فقرمت نفوسهم الى الاستبداد والاغماض به عن خلة الالفة والاعتياد فواصلوا بغراخان بكتبهم في تورد ذلك الحريم شاحذين عزمه في المضاء والتصميم فصار يتطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالبازي يحل نصاح اجفانه

52

على التدريج تانيسا له من الوحشة وتسكينا من الروعة و تضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا اينانج الحاجب في طلبه ورده على عقبه فالتقيا على حرب اشابت الذوائب واناردت الكواكب ثم انجلت عن اسر اينانج في الكبار من القواد والكثير من الافراد واستحكم لذلك طمعه في تورد سائر البلاد والله بالمرصاد

ذكر الفائق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

واقام فائق بناحية مرو الروذ على رم الرث وجبر الكسر واسو ما فشا في عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم نشره سار يريد بخارا من غير استيمار واستطلاع راي فما رناب الرضي به فلما قاربها برز الرضي الى فضاء السهلة ببابه ورماه بايتاخ وبكتوزون الحاجبين وسائر مواليه وموالي ابيه فلما رهقه الكفاح وعضه السلاح اجفل اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر والتذليل ووافى الشط منهزما فوجد السفن مغيبة فركب الخطر

وذلك يوم الاحد لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة

واحتال حتى عبر وسار الى بلخ على ان يتناش فيها ويرتاش
واقام بها اياما ثم عبر الى ترمذ وواصل بغراخان بكتبه
يبعثه على الانحدار ويحثه على البدار وخوطب من بخارا
والى الجوزجان ابو الحارث احمد بن محمد الفريغوني بقصده
وحصده فجمع جيشا عظيما وساق من ارض الجوزجان بريما
فانتدب لهم احد غلمانه وكان يعرف بارسلان آخر سالار
زهاء خمسمائة من الترك والعرب فانقضوا عليهم انقضاض
الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا وجعلوهم طرائق
قددا وفرشوا الفضاء بجثث القتلى وغنموا مالا لا يعد ولا
يحصى وعادوا الى بلخ ظافرين وقد كان طاهر بن الفضل ملك
الصغانيان على ابي المظفر محمد بن احمد وهو واحد خراسان
حالا له قدر ونباهة ذكر ومتانة راي وحجر ورصانة نظم
ونثر فانقطع ابو المظفر الى جانب فايق صارخا فزعا فاحسن اصراخه
وامده بمن يرده وراءه فاغتنم طاهر بن الفضل خفة اصحاب
فايق ببلخ فلفت لفته اليها طامعا في الاستيلاء عليها فزحف

المقيمون بها المدافعة ونهدوا المناجزة وتناوشوا القتال و
صدقوا المصاع والصيال وثقف بعض العرب مكان طاهر بن الفضل
فقصد قصده بطعنة اذرته عن مركبه وبادر اليه فاحتز
راسه عن مركبه وثار الصياح بقتله فولى اصحابه على الادبار
هاربين بين سمع الارض وبصرها وهائمين اثناء حجرها و
مدرها ولما جرى في امر ابن الحاجب ما جرى ونقل الى بلاد الترك
في زمرة الاسرى انتقضت مرائر الاعمال بما وراء النهر ووهت
قواها وتداعت قواعدها وبناها فاشفق الامير الرضي واركان
دولته من ان يتفاقم الامر ويتراكم الشر ويعضل حادث الداء
وينضب باقي الماء فخوطب فايق في الاستمالة وقوبل عثرته
بالاقالة واستنهض الى بخارا للاستظهار به على سد الخلل
وتعديل الميل وسرب عنها بعد حسن القبول والاقبال
وازاحة العلة بالاموال الى سمرقند فلم يرعه الا خبر بغراخان
وهو الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استعار اليه
قوادم الطير ركضا لم ينل فيه جماما ولا غمضا فولى فايق

المقيمون

من بين يديه هزيما ولم يلو على تعرف الحال مقيما وجعل
من كان معه من اصحاب السلطان عرضة للسيوف وفريسة
لانياب الحتوف وتوافقت الشهادات على ان انهزامه كان
عن مواطاة منه لبغراخان على آل سامان نعل من لا وفاء
يزعه ولا حياء يردعه ولا نعمة تحفه ولا حرمة تكفه
وسار كما هو حتى اتى بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية
الدهياء والخطة النكراء والقضاء المبرم من السماء
حتى اضطر الى مفارقة الدار والبياد بذمة الاستتار

ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد قفول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فايق مختصا به ومنخرطا
في سلكه ومكثرا لسواده وملقيا اليه لين قياده كانهما
كانا على ميعاد وتلاقيا عن سابق صحبة واتحاد ولما استقرت
الدار به قرارها استاذنه فايق في النهوض الى بلخ لاستصفائها
الى ولايته واثارة اموالها لخزانته فاذن له فيه وسار الى الترمذ

دلول

وبعث بعثا الى بلخ فاحتاط عليها ونصب بها من يحيي الاموال
ويدبر الاعمال واهتبل الامير الرضي فرصة البروز مستترا
في بزة النكرة حتى عبر النهر الى آمويه وقد كان هاجر اليها
امامه عدة من خواصه وحجابه وغلمان داره حايرين عابرين
فاعتدوا بمقدمه عيدا وظنوا انهم انشئوا خلقا جديدا
وتلاحق بهم ابناء الهجرة فتموا عدة وعديدا واعتمد الامير الرضي
ابا علي البلعمي للوزارة وضبط اطراف ذلك القدر من الامارة
فعجز عن التدبير لضيق الحال والمجال وانسداد وجوه الاموال
وتزايد عدد المهاجرين من الرجال وقد كان نفي عبد الله بن عزير
الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضي بالكتاب اليه في
استحضاره لاستيناف الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه
المهم منه وفيه فبادر اليه مغتنما خدمته في تلك الحال متوصلا
الى ترضيه بوجوه الاحتيال وقد كان الرضي من لدن نجوم الشر
واستطارة شرره باعالي ما وراء النهر من جهة الترك يكاتب ابا علي
محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد

لحياطة الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار والاستمداد
ويتلطف له في التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوي
البغي والفساد بعد ان سامحه باموال خراسان واغضى له العناد
عن ارتفاعاتها ترضيا له واحمالا لامنه واستبقاء
للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع بشانه والاستظهار
بمكانه فيعده الاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز
حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور
الى سرخس ومنها الى مرو وفي مثلها من المدة يتربص اثناء ذلك
زحفة القوم وتغلبهم فيشاطرهم الملك عن حاجز النهر
فيكون ما دونه له ولهم ما وراءه وكان قد اتصل به و
بخدمته طايفة يزينون له هذا الراي ويحلونه في عينيه
ويجلونه في معرض التصويب عليه تقربا اليه ويوحون اليه
انها دولة قد تمت اياما وحان ان ينوح عليها اصداؤها
وهامها لاستمرار العثرات عن الاطراف بها وانثيال الفتوق
من كل الوجوه عليها وان المعني بنصرتها مخذول لخذلانها

ومحكوم

ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها وهي قواعدها و
اركانها فلما استشعر الرضي بامويه كتب اليه بان الخفاء قد
برح والبلاء قد ترح وانه آن له ان يستاثر بعز الاحدوثة
في مظاهرته والاقتداء بسلفه الذين هم صنايع دولته و
دولة آبائه في طاعته ونصرة دعوته وكف الاذى عن وجهه
ورده الى دار قراره ومعشش اوليائه وانصاره فقد قطع طمعه
الامن جهته وييس الامن معونته ومعوثته واستشعر الياس
الامن لدنه وقبل هجوم بغراخان على بخارا ما واصله بكتبه
في الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطف الى التضرع
في الاستنفار والاستجاشة فمن تلك الكتب **فصل حفظته**
عن انشاء الوزير ابي علي الدامغاني وهو انما تحتاج الدولة
الى عمادها اذا قصدها من يزعزع عن راسيات اوتادها فالله
الله في هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة اياك لايذة بك
وكان تاثيره فيه تاثير الرخاء في الصخرة الصماء لا خدش ولا حك
ولا شق ولا شك وفرش خلال ذلك بساط الدالة والاقتراح

يستزيد رتبته في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره
من اصحاب الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع
له بين التلقيب والتكنية على العنوان منسوب الولاء
الى امير المؤمنين وانما ولاءه لآل سامان فقابل الرضي
جميع ذلك بالايجاب ووفاه ما اشتهاه من شريف الخطاب
وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم للرضي ورد عليه
رسولا ويعرف بارسطاطاليس ايام مقامه بآمويه زيادة
على المبذول له يجري مجرى الشطط والمحال فقال ايها الامير
ان ذلك السلطان اليوم يجيبك لو اقترحت عليه خطابك بالتاميـ[ـر]
لفعل ولكن وراء اليوم غدا فاختر لنفسك ما هو اجمل
بك وازكى في الاحدوثة عنك فكادت عند ذلك العيون
ان تصوب والقلوب ان تذوب واستمرت القسوة به فلم
يزد الا على غد مطال وتسويف ومطال لاجرم ان الله تعالى
كفى الرضي شغل ما دهاه ونصره وآواه واعاده الى خطته
ومثواه وختم بالخير عقباه واسلم الغادر بما كسبت يداه وما الله

بظلام

بظلام للعبيد

ذكر انصراف الرضي الى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها

واتفق ان مست بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا
فانزعج عنها عائدا وراءه ومعاودا اهواءه وعمد اهل بخارا
الى نفاضات عسكره فطحروهم طحرا ودحروهم دون حوليها
دحرا وبادر الاتراك الغزية على اثره سلا وطردا ووخزا و
طحنا ولم ينفك يمضي على الاحجام والانهزام على ما به من الم
السقام حتى ذاق كاس الحمام وحين احس الرضي باجفاله على
حاله ابتدر العبور الى بخارا فيمن تضام اليه من حاشيته
ورجاله فتباشر الناس بما اتاحه الله له من عوده الى دار
ملكه وقرارة عزه تباشر الصيام بهلال الفطر وذوي المحول
والاعدام باستهلال القطر وصفت له بخارا وسمرقند
وما صاقبهما من ولايته وسائر مملكته ولما راى ابو علي ما
استقام له من الامر وانضم من النشر وسقط من ناجم الشر
وخمد من نائرة الفتنة التي قدرها صماء لا تسمع ودهياء

لا تنقطع وانضاف الى ذلك ان بغراخان لما القى عصى القرار
بنجارا كاتبه على الرسم الذى كان ولاة خراسان يكاتبون
اصحاب جيوشهم به غير واف بالشريطة التى كانا تعاقدا
عليها وتواصيا بها من النزول على رتبة التماثل واقتسام
جانبى الملك على حكم التناصف والتعادل سقط فى يده
وفت فى عضده وذهب عليه امره واظلم عليه رايه
لاسفار الاختيار عن خلاف تقديره وانكشاف العواقب
عن ضد ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحاءه
فيما دهاه واستقدح آراءهم فيما عراه فاشاروا عليه
بمعاودة التقرب واستيناف التلطف واحتيال ما يزيل
عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويسد خلل التقصير
الواقع فى الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا ما
رام ترضيه به واستمالة قلبه عليه واستلانة جانبه
بمكانه وسنح لفايق بعد احساسه بعود الرضى الى قرارة
ملكه ان ينهد الى بابه متغلبا عليه ومتحكما على رسمه فيه

وكان الرضى قد دهاه من جهته مثل ما كان دهاه من جهة
ابى على تصامما عن ندائه وتقاعدا عن فنائه وتعامسا
فى فرض طاعته وولائه فضرب الرضى وجهه بوجوه حجابه
ورجال بابه وناوشهم الحرب بغلمانه وكافة اعوانه
حتى استلحمت العدد الجم من الفريقين وفرشت الفضاء
بالقتلى من الجانبين ثم انفل عنهم هزيما وحث مركب النجاء
حرصا على النجاة الى الشط هشيما فعبر الى بعض الاطراف
وتلاحق به من اخطأتهم ظباة السيوف وحلق الاسار
من اصحابه فانحدر بهم الى ابى على منفتلا فى حبله و
منخرطا فى سلكه ولائذا بذمته ومستذريا بظل طاعته
ووافى ابو على منه منيته التى كان يخطبها على الدهر
باقتراحه ويعدها على الحادثات اخذ سلاحه واستقبله
باهل عسكره على اتم اجلال واعظام واعم اكبار واكرام
واحسن ترتيب وترحيب وبشر ريق وبر خصيب و
وتسنم بمكانه روح الغنى عن الرضى وصرف اليه ما كان

أعدّه له من الهدايا مفصحًا بالجفاء والخلاف ومصرّحًا
بالتمرّد والانحراف وتحالفا على الوفاء والصفاء والتظاهر
على الأعداء ونهضا إلى نيسابور للاستعداد وتخمير الرأي
في هيج الفساد ولمّا يئس الرضيّ من صلاحهما له دبّر في
الاستعداء عليهما والانتصاف منهما بمن يشتدّ بأسه و
يجدّ في اللقاء مراسه فوقف به التدبير على الأمير أبي منصور
سبكتكين لما توسّمه فيه من أمارة الخير باعتكافه على غزو
الهند احتسابًا لثواب الله واكتسابًا لكريم القربة إلى الله فأرسل
إليه أبا نصر أحمد بن محمد الفارسيّ النائب عنه ببابه وكتب
على يده بذكر ما أعياه من أدواء بمكان موليَيه أبي عليّ وفائق
وخطبهما على دولته وقصدهما إيّاه في نفسه ومملكته و
استيثارهما عليه بارتفاعات حوزته غير راجعين إلى
حشمة ولا راعيين لحقّ نعمة ولا متمسّكين من الحياء
بعصمة وأنّ الذي تدهمه من أمرهما قد سدّ عليه
وجه الخلاص وطرق الانتصاف إلّا من جهته وما يرجوه من

معونته

معونته والطف القول في استدعائه وتطميعه في كمال
ما يتكلّف من نصرة أوليائه بفرط قوّته وغنائه فصادف
وصول الكتاب والرسول نفسًا منه مرتاحة لإجابته منشرحة
لطاعته توّاقة إلى مقام الجمال بارتهان رضاه وموافقته
وبادر بالعبور إلى ما وراء النهر للقاء الرضيّ ومشاورته
واستماع المقصود من رأيه وإشارته ونهض الرضيّ إلى
ناحية كشّ فخيّم بها على موعد ووصل إليه الأمير سبكتكين
فالتقيا هناك على أحسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب
وتعبية الخيول والكتائب وقد كان الأمير سبكتكين يستعفي
لشيبته عن متنزّل الخدمة وملتزم الأرض على رسم الطاعة
فأُعفي عنه اكتفاءً بصدق العناية والرعاية منه حتى
إذا اختلطت الخيول وامتدّت الصفوف وأصابت عيناه
صفحة وجه الرضيّ أزعجته روعة الملك وأبّهة العزّ
للنزول والتبرّع بما كان يستعفي منه قبل الوصول فتلقّاه
الرضيّ بأتمّ الإكرام والإعظام ورعاية الحقّ والذمام وجرى

في أرباب العباد

وادخارا

خطبهما

جميل

ومشاهدته

مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة وتباشر الخاصة والعامة
وامر الرضي باقامة ما وجب اقامته من صنوف الانزال
واتباع ذلك بما يصلح اتباعه به من طبقات الرجال و
سائله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه ويصرف الى قصد
ابي علي وفايق وكفاية شرهما غزوه فضمن له حسن الطاعة
وبذل الوسع والاستطاعة واستاذنه في الانكفاء الى وطنه
ريثما يجمع متفرق الاهبة وينظم منتشر العدة ثم يواجه
الخطب بجد جديد وباس شديد ورجال يموجون في بحر
من حديد فاذن له وصرفه وامر له من الخلع الفاخرة و
الاحبية الباهرة والمبار الوافرة بما ضاهى جلالة قدره
واكد الثقة بصادق وعده ورجع كل منهما الى مكانه
واقبل على استصلاح شانه ومحادثة سيفه وسنانه
وورد على ابي علي من ذلك ما اهمه عليه وجه التدبير وسد
عليه باب التقديم والتاخير وجعل الراي شورى بين اصحابه
فيما كشر له الامر عن نابه فكانت زبدة مخضهم مكاتبة

فخر الدولة ومعاقدته ومواداته ومعاهدته وتاثيل
حال في جانبه ترجى ليوم العثار ونائبات الليل والنهار
فارسل اليه ابا جعفر بن ذي القرنين بما اعرض من تحف
خراسان وافرد الصاحب اسمعيل بن عباد بمثل ذلك طمعا
في حصول الغرض المقصود من الايجاد على يديه وبحسن سفارته
ووساطته **قال** وحدثني ابو جعفر انه دخل على
الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له مخاطبا عن
صاحبه مثلنا في حمل هذا التافه الطفيف الى الصاحب الجليل
مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد ينقل التمر
من مدينة الرسول عليه السلام الى هجر لا للحاجة اليه ولكن
للتبرك به وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد اسباب
الوصال حتى تمت الالفة واشتبكت العصمة ودرت المكاتبة
واستحكمت الصداقة وقد كان مامون بن محمد صاحب
الجرجانية وابو عبد الله خوارزمشاه قد احسنا التقرب
الى الرضي ايام انحيازه الى آموية بما ساعدهما الوقت عليه

من مال ورجال فعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما
عما خدماه به وقدماه من قدم الطاعة له فجعل نسا برسم
مامون بن محمد وابيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما
على عمله فانهض كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله وتدبير
ما اضيف به فافرج ابو علي لمامون عن نسا بحكم حال في المودة
بينهما قديمة واسباب في الاتحاد وكيدة ودفع ابا عبد الله
خوارزمشاه عن ابيورد اعتلالا باتمام ولاية اخيه ابي ابرهيم
وانه لا يسعه النزول عنها الا بعوض له منها وامر بطرد
اصحابه عنها وتسليم دونها فاسر ذلك خوارزمشاه في نفسه
الى ان تمكن من الفرصة في امره فاستشفى منه على ما سنشرحه
عند الانتهاء الى ذكره **وطلعت** خلال ذلك رايات الامير
سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعده وقد جمع
واحتشد واستمد واستنجد وقام في الاحتياط والاستظهار
وقعد وساق امامه الفيول التي كان ملكها على ملوك الهند
في غزواته ومقاماته وعبر الرضي الى الجوزجان والتقى مع الامير

ابي الحارث الفريغوني واليها واقام الى ان وصل اليه
الامير سبكتكين ولحق به الشار ملك غور ومن جرى مجراه
من زعماء البلاد في طبقات الاجناد واجتمع سواد شرقت
بهم المسالك والمذاهب واجدبت عليهم المراتع والمسارب
ونهض ابو علي وفايق من نيسابور الى هراة وبها ايل منكو
غلامه وصاحب جيشه فخيم بها مدافعا عنها ومراميا دونها
وضوى اليه من كان مقيما من جهته بمرو الرود وباذغيس
وغيرهما اخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة وسار الرضي
مع الامير سبكتكين حتى اناخ بناحية بغ وارسل عند ذلك
ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت بينه و
بين ابيه من المواتاة الممهدة والحرمات الوكيدة وما استمر
عليه بعده من سيرته في الاتحاد والوداد والاشتراك
والاشتباك ويساله ان يتوسط الامر بينه وبين الرضي
على ما يجلو حزازة قلبه ويطفي حرارة غيظه ويسترد
شارد اناته ويمسح جانب مرضاته محتكما عليه بما يستصوبه

في حسم الداء وحقن الدماء وتسكين الدهماء وتأليف الأهواء
فأحسن الأمير سبكتكين الإصغاء إلى ما سأل وشدّ
النطاق لما التمس ومال جهده إلى الاستصلاح ووضع
السلاح على عادته في كراهة الفتن وإماتة الأحقاد
والإحن وسأل الرضى في مجالس عدّة شفاهاً ورسالةً أن
يأخذ بأدب الله تعالى في العفو والغفران وإقالة العثرة بفضل
البرّ والإحسان إيثاراً للذي هو أقرب للتقوى وأحمد في
البدء والعقبى ولم يزل به على اتصال تفرقته واستعطاف
جنبته حتى سمح بالإجابة وأسمح بالعفو والإقالة على أن
يفتدي من أرش عصيانه بخمسة عشر ألف ألف درهم
يؤدّيها في ثلاثة أنجم على رسم المواقفات وكتب إليه الأمير
سبكتكين بذكر ما استتمّ من الصلح على يديه وانتظم من عقد
الصلاح بسعيه وجهده وتشاور أصحاب أبي علي ووجوه
قوّاده في اقتسام هذا المال بينهم معونةً له على ما لزمه من
الغرامة واغتناماً لما يرجون عليه من السلامة فصادف ذلك

جدّة

اشارة الى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين

جدّةً من شبابهم وترقاً من أحداثهم وذهاباً منهم بأنفسهم
عن الإذعان للمكافّة والرضى بالصلح الجامع لمصلحة الكافّة
وثار من ذؤبان الأتراك وسرعان الصعاليك طائفة
إلى معسكر الأمير سبكتكين فاختلسوا منه غلاماً له كان
يلي أمر فيلته وقتلوه في عدّة ممن أصابوا غرّتهم وانضاف
إلى ذلك أنّ رسول الأمير سبكتكين لما كرّ وراءه بجواب
ما تحمّله وافق أبا الفضل الزيادي أحد أنياب أبي علي
موكّلاً ببعض تلك الثنايا والمخارم وقال له هيهات إنّ
سعيك لفي ضلال وإنّ صاحبك ما ينطق إلا في محال ما نحن
بأحلاس الصلح وأبنائه ما دامت هذه العيون حافظة سوادها
والعواتق حاملة نجادها يعني به قول القائل **شعر**
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم
فلمّا نمت هذه الأخبار إلى الأمير سبكتكين استشاط غضباً
وقضى من إدبار القوم عجباً وعزم على المناجزة واستخار الله
في صدق المجاهدة وأرسل إلى أبي علي أن خذ في زهاف سيفك

المناوشة

وسنانك فقد جئتك بما لا يغنيك منه سوى حدة
الحسام وثبات المقام وزحف الى الفضاء الرحب بغزونة
يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث و
ثمانين وثلثمائة فرتب الخيول مقانب ومناسر وعبى
الجيوش ميامن ومياسر وشحن الصفوف بغيلة المحففة
كأنما شواهق اعلام او طوارق غمام ووقف الرضي به
وبالامير محمود ولده في القلب مشحونا بحماة الرجال و
محفوفا بحماة الابطال كما قيل: من كل اروع ترتاع المنون له
اذا تجرد لا نكس ولا جحد: يكاد حين يلاقي القرن من حنق
قبل السنان على حوبائه يرد: وسار فخيلت الارض سائرة
والجبال مائرة والنجوم منكدرة والسماء منفطرة وثار
من وقع السنابك نقع اوهم كسوف النهار الشامس او عود
ظلام الليل الدامس وقد كان رتب ابو علي جيوشه اسوة
الامير سبكتكين فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القسم
بن سيمجور وايلمنكو في الميسرة وثبت في القلب مع حماته

وذوي

وذوي الوفاء والحفيظة من ثقاته فكانوا على الحقيقة
جيش الطواويس من وبيص الحديد ولمعان الحمر والبيض
واشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق وتلألأت
الآفاق حتى اذا تدانت الخطى بين الفريقين حملت الفايقية
اولا على ميسرة الرضي فبددوا نظامهم وزعزعوا عن المقام
اقدامهم وثنى ابو القسم بن سيمجور بمثلها على من قابله وصنع
صنيع الآخرين وحمل دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير
من قلب ابي علي فظنوه يسعى لشرف المقام او رعاية حق
الذمام والانعام حتى اذا بلغ بين الصفين وقى ظهره بترسه
واقبل على موقف الرضي بوجهه فاستأمن اليه ووقف
للقتال بين يديه فانخزل اصحاب ابي علي لما اخفره من
الذمة وقطعه من العصمة اشفاقا من مواطأة اصحابه اياه
على مثل صنيعه وعندها حمل الامير محمود بن سبكتكين على
قلب ابي علي في سواد فدح بثقله كاهل الارض وسد بقسطله
مناكب الافق فلم يثبت احد من اصحاب ابي علي لكفاح او مدافعة

ببلاج بل انفضوا من موقفهم انفضاض العقد خانه النظام
وانسل منه الفذ والتوام وجعلوها هزيمة انكست بها
الاعلام وغصت بجموعهم الاباطح والاعلام وركب الامير
محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا وتسقي النفوس
سماما ذعافا فلم يفته الا سرعان تلك الجموع ومن خفف عن
ظهره ثقل الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر اموالا كالواقد
بعضها على الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها ووضعت الحرب
تلك الاوزار عن ابنائها وسار ابو علي بالفل من اشياعه
الى نيسابور فاقبل بها على جبر الكسر وريش التحسير استعدادا
للانحياز عنها قبل رهق اللحاق ومؤتنف اللداق وخيم
الرضي والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما انجمت
ركائبهم وتوفرت على الاولياء رغائبهم ولقب الامير الرضي
الامير سبكتكين بناصر الدين ووارث ملكه السلطان محمودا
بسيف الدولة وقلد قيادة الجيوش سادا مكان ابي علي به و
سار الى نيسابور في هيبة اشعرت النفوس مهابة وملات قلوب

العداة

63

العداة كآبة ورجال كالقروم المصاعب وافيال كالاسود
الغوالب مخطومة بالاساود ففي ذلك يقول ابو الفتح البستي

بسيف الدولة اتسقت امور ❊ رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام ❊ فليس كمثله سام وحام

وستجري ذكره آنفا بسيف الدولة الى ان افاء الله الملك
منه الى مظنة الاستحقاق وشهره بلقب اليمين في كور الآفاق
ثم ارتحلوا على جد نيسابور ولما تسامع ابو علي بنبا مسيرهم
فارقها منحدرا الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على
فخر الدولة في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الجأتهما
وكتب اليه بالحاجة التي الجاته الى قصد ولايته والانقطاع
الى جانب مملكته وارسل ابا نصر الحاجب اليه في تقرير حاله
واستدعاء معونته بذاته وماله واستنابت الصاحب في تنجز
ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله ويعده لها
من ثمرة وداده فامر بمال يقام مياومة لوكيله وبالفي الف

درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره واقام هو و
فائق حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء وقد كان
الرضي انحرف عند انحدار الامير سبكتكين والامير
سيف الدولة الى نيسابور بعبد الله بن عزيز الى طوس
التحافا عليه بما صوره له من ارصادهما اياه بالمكروه
على ما دعته النصيحة اليه من مناقشتهما في بعض الاعمال
والاموال فنهض الامير سيف الدولة محمود على اثره اظهارا
للبراءة واستشعارا للطاعة واستتماما للخدمة وازاحة
لعارض الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي
الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا على نفسه من عادية
التضريب بفعل المتهم المريب وتلقى الرضي مورد سيف الدولة
باتم اقبال واسبال وصرفه وراءه على احسن حال وانعم
بال وارتحل بعقبه الى مرو لاحقا بوزيره ثم منها الى بخارا
حتى استقر بها على سريره وقد كان الامير سبكتكين وسيف الدولة
لما وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل ورفعا عماد الامن

وتتبعا رسوما كانت جائفة من قبل فنسخاها ببث الرافة
وحسم المخافة وازدياد مصلحة الكافة فانشرحت الصدور
واستقامت الامور وامنت الطرق واتصلت القوافل والرفق
ثم سنح للامير ناصر الدين سبكتكين ان ينقلب الى هراة لمطالعة
ما كان برسمه فسار واقام سيف الدولة بنيسابور على قيادة
الجيوش وزعامة الجمهور وقد كان ابو علي طمح الى زيادة من
المال تحمل اليه معونة له على اقامات اهل عسكره من الري
فكتب اليه ابو نصر الحاجب باني عرضت الكتاب وقررت المراد
وكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الانهار العظام
تصطفق مياهها وتزخر شعابها فيرى الناس ملتقى عبابها و
مصطفق امواجها ويغفلون عن عدد الجداول التي تغترف منها
والسواقي التي تتشعب عنها ولو انا قدرنا على مؤن خراسان لاستضفناها
الى ما نليه من سرة الارض وواسطة الاقاليم لكنا قد سمحنا
بما يتيسر والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش ابو علي من جوابه
واستشار فائقا ووجوه قواده في تدبير الامر بصوابه واتيانه

من بابه فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة
ورويتهم في استشفاف العواقب المستورة فاشار بعضهم
بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضي بها
والكتاب اليه بالطاعة وضمان الاتاوة اذ كانت تلك ولاية
قد اعيت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها
بهم العساكر وطلابهم اياها بسمر الرماح وبيض البواتر و
اذ التهم عليها مصونات الرغائب وتعزيرهم فيها بكريمات
النفوس الحرائب وقد حصلت له عفوا صفوا وانفتحت عليه
سهوا رهوا وبيع العين بالضمار محال واقالة النقد بالنسيء
ضلال واشار فايق بمناهدة الامير سيف الدولة ومناهضته
لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه وانخذال آبه سبكتكين
ولمخالفة هواء جرجان طباع عسكرهم ونكايته فيهم قدرما
يتنكر لهم الفصل ويحتدم عليهم الجو فوافق هذا الراي جمهور
العسكر لحرصهم على الوطن ونزاعهم الى الاهل والسكن فاتفقوا
على هذا الراي وتطابقوا على الانكفاء واضطروا ابا علي الى مساعدتهم

واتباع

واتباع اراداتهم وعند ذلك ورد الخبر بمضي الصاحب
اسمعيل بن عباد لسبيله وكان معنيا بمصالح ابي علي وتحسين
آثاره والاشارة على فخر الدولة باغتنام جواره ومعاونته
على ثاره وكرته الى ابي علي نعيد فضل المقام واغراه بتعجيل
الانتقال ولما استاثر الله بالصاحب اكثر شعراء العصر في
مرثيته فمنها قول ابي محمد بن الخازن من قصيدة

يا كافي الملك ما وفيت حقك من مدح وان طال تمديح وتابين
فت الصفات فما يرثيك من احد الا وتزيينه اياك تهجين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
ما مت وحدك لابل كل من ولدت حواء طرا بل الدنيا بل الدين
قام السعاة وكان الخوف اقعدهم واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول ابي سعيد الرستمي الاصفهاني

ابعد ابن عباد يهش الى العلى اخو امل او يستماح جواد

ابى الله الا ان نموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معاد

ومنها قول ابى عيسى المنجم

والله والله لا افلحتم ابدا ... بعد الوزير بن عباد بن عباس

ان كان منكم وزير فاقطعوا ورى ... او كان منكم رئيس فاقطعوا ادى

ومنها قول ابى العباس الضبى وقد اشار ببابه

ايها الباب لم علاك اكتئاب ... اين ذاك الحجاب والحجاب

قل بلا رقبة وغير احتشام ... مات مولاى فاعترانى اكتئاب

مات من كان يفزع الدهر منه ... فهو الان فى التراب تراب

ومنها قول ابى الفتح البستى الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده ... كريم يروى الارض فيض غمامه

فقدناه لما تم واعتم بالعلى ... كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابى منصور الثعالبى

الا يا غرة العليا الا يا نكتة الدنيا ... وشمس الارض فرد الدهر عين السودد

اما استحيى ابو يحيى لقبض العالم الكبرى ... لئن خفت بك الدنيا لقد تحت بك

ورحل ابو على من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول

سنة

66

سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمة فائق على طريق اسفراين

حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به و

وساكاسيين المستعدين للحرب المجدين فى الطعن والضرب

وبلغ سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين بانبائهما

وبرز الى ظاهر البلد فى خف من العدد وخيم به على انتظار

المدد فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول الامداد

فاضطر عليهما نارها وباشر بنفسه وخاصته اوارها من

من حيث ترحل رائد الضحى الى ان القت ذكاء يمينها فى كافر

فتعصفرت ارض الوغى بدماء القتلى واضحت مناسم الفيول

رجالا كانوا اركانا للصفوف عند اشتجار الزحوف و

واختلاط الاسنة والسيوف وهم اصحاب ابى على بالانحراف

جبنا عن النزال ثم تداعوا بالمناص طلبا للخلاص فكانت

حملة وافقها القدر وانحاز سيف الدولة بمعظم حشمه

الى مناخ ابيه الامير سبكتكين فى امان من لباس الظلام

ارصادا للخصوم بيوم الكرور وعلى الثار واستلامهم لقدار

الامداد

وتخلف عنه ما اعياه استصحابه من اثقال وفيلة ثقال
وعجز عن خدمة ركابه طائفة من رجال الهنود وسائر
ابناء الجنود فذكرت عند ذلك شغله لابي علي اطمعت في
استقلاله وعوده الى المعهود من حاله لكن الله قضاها
سببا لاختناكه واستيصاله واستير عليه عند المامه
بنيسابور ان يتبع اثر الاميرين ناصر الدين وسيف الدولة
متعجلا لهما عن عدة الارتياش والانتعاش وقوة الاستنجاد
والاستمداد فازلته بها فعل من كلت بصيرته وانحلت
مريرته وعمي عليه قصده ونعى اليه جده واخذ يعتل
بصفورة يده وخلو خزائنه واشفاقه من خذلان عسكره
اياه ان دعاهم الى البراح وسامهم خطة الكفاح واخذ
يكتب الى بخارا معتذرا عن جنايته ومتنصلا من بادرته
ومستقيلا عارض عثرته ومستميحا قبول عذرته وارسل
الى الامير سبكتكين رسالة الواهي جلده المتناهي كمده
المتخاذل لسانه ويده بجميل الكشفة التي استمرت للامير

سيف

سيف الدولة على نابي وسائر اهل عسكره لاكراههم اياه
على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه لو وجد
الى مراده سبيلا او في ذرى اختياره وهواه مقيلا لما
التفت لفت خراسان ما عاش تفاديا عن وخيمه وتحرزا
من كراهته ويسئله ان يهب له ثاره ويستوهب الرضى
خطاءه وعثاره فلم تزده رسالته الا زيادة على التطبيع في
اغتياله والتنبيه على انخزاله والتضرية على اقتناصه والامان
من فوته وخلاصه وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق
عنه في ديار مملكته واطراف ولايته من قواده واجناده
في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى مضربه وانهض الوزير
ابا نصر بن ابي زيد الى الامير خلف بن احمد والي سجستان يحتثه
اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان ابي الحارث الفريغوني يستمده
وطالع حضرة الرضى باستعداده وانتظار ما يرد عليه من
مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه واسالة
الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو

تتابعت

راموا الجو لاستنزلوا طيارته او وردوا البحر لابدوا قرارته
وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت به
مذانبه وقد كان فايق عدل الى طوس بكاتب الامير سبكتكين
مداهنا ويطمعه في الانحياز اليه مهما دنا فتلقى وجهه
بمثاله وتكيل عليه ملء مكياله وتكيفا اميرك الطوسي احد
الامراء التارودية لابي علي بين الطاعة والمناعة والموافقة
والمنافقة يقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى للقعود فارسل
ابو علي ابا القسم الفقيه اليهما للاستمالة وتحذيرهما قدم
الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب اليه
يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي وتلقاه فايق واميرك
الطوسي بناحية طابران فاتفقت كلمتهم على التظاهر والتضافر
وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واختاروا معسكرا
بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القسم اخو ابي علي قد
عتب عليه لعدوله بولاية هراة وثمرات اعمالها عنه الى
ايلمنكو غلامه وتقصيره به بما كان يخطبه ويقترحه عليه

من

من امثالها على وفائه له وولائه اياه والزامه حكم المشاركة
له في كل ما نابه وعراه فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور
اعتلالا عليه ببقية من اشغاله حتى اذا تنفست مدة ارتحاله
آيسه من وصوله ووصاله احوج ما كان الى عونه ونصرته له
فزاد ذلك في انخزاله وكسوف باله وحث الامير سبكتكين
تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ بطوس مقابلا لمعسكره
وذلك لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين
وثلثمائة فثار فتيان الخيول وشبان الجنود الى التطارد
والتجالد فبقوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل مسافة
ابصارهم عادوا الى مضاربهم وشاور ابو علي وجوه قواده
في مغاداة الحرب فاشار عليه اميرك الطوسي وذوو الحصافة
منهم بتلجي شعب الجبل والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة
ارجائه وغزارة مائه وسعة العلوفة من ورائه وممادة
الحرب على اغراء الرجالة الطوسية باطراف عسكره مبيتين
وخاربين ومغيرين وعائثين الى ان يدركه الملل ويلحقه

الفشل فيتفرق الحشر فعندها يناجزونه على بصيرة وقوة
مرية واستماحة خيرة فشغب من سمع هذا الرأي من
أحداث العسكر وقالوا ما لنا نطاول القوم وندافع الوقت
لا يعرف الناس أنا نميل عن المصاولة إلى المطاولة وعن
المساورة إلى المصابرة فها نحن نساقيهم المنية ونصبحهم
منها كاسًا روية فانتقض عليهم التدبير وصار المأمور هو
الأمير ووثب كلا العسكرين عند انفلاق الصبح إلى الاستعداد
للقاء والاحتشاد لحرة الهيجاء وأقبلوا على تسوية الصفوف
مشحونة بالألوف كآجام الليوث من ذبل القنا والسيوف
وحصن الأمير سبكتكين مواقف عسكره بنخب فيلة تحكت
تحت التجافيف أطوادًا فارعة وأمواجًا متدافعة ودنا
الفريقان بعضهم من بعض فلم يرع ميسرة أبي علي إلا رهج
ثار عليهم من وراء قرية فرضتهم ذات اليمين فإذا هم بالأمير
سيف الدولة في الطم والرم والليل المدلهم فتزلزلت أقدامهم
وضلت أحلامهم وأفهامهم ورأوا أن قلب أبي علي قد حمل على

الطم في الماء والرم في التراب تقول جاء بالطم والرم إذا جاء بالمال الكثير

قلب

قلب الأمير سبكتكين فساعدوهم على حملتهم تفاديًا عن إيقاع
الأمير سيف الدولة بهم فمزقوا مصفه ونفضوا عن الرجام
موقفه فوقف لهم الأمير سبكتكين فيمن احتف به و
التف عليه من خواص غلمانه ورد حملتهم في وجوههم فارتدوا
على أدبارهم وقد أطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا
محصورين بين العسكرين وأخذتهم السيوف من كلتي الجانبين
وثار قتام خلط البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على
بيض المفارق وحطم الدبابيس ما بين الطلى والعواتق وظلت
خراطيم الفيول تستلب الفرسان من صهوات الخيول وتلحق القاتل
بالمقتول وبلغ سيف الدولة من الإيقاع بهم والإثخان فيهم
والانتقام منهم وصب السيوف عليهم مبلغًا لو سمع به رستم
في زمانه لزهته خدمة عنانه وهذبته آداب سيفه
وسنانه وفات المحصورون ببقايا المهج تحت غواشي الرهج
وبردايا الأرواح من بين مشتجر الرماح فانجلت المعركة
عن قتلى مضرجين في الدماء وجرحى مطرحين على العراء

تستلب

واسرى آيسين من الفداء وركب سيف الدولة كتائف
الفل فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل وعمى
عليه وجوه تلك المغارات والمدخل وكان من جملة الماسورين
ابو علي بن نغر الحاجب وبكتكين الفرغاني وارسلانك
وابو علي بن نوشتكين واماسار بن سجان فور الجيلي
ولشكرستان بن ابي جعفر الديلمي وهؤلاء اعيان عسكر ابي علي
ورتوت قواده ووجوه اركانه واعضاده وسار ابو علي
وفايق بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال الى
ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تخفى الرياح بين نعافها
وتزل الابصار دون روابيها وشعافها فاضافهما بها اميرك
الطوسي الى ان ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق وجملة من
اجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد سرب الفيلة التي قبض
عليها بباب نيسابور الى كلات في جملة ضبينته فكتب ابو علي
بن نغر الحاجب وسائر الاسراء يذكرون ان الامير سبكتكين
استدعاهم ومناهم ووصلهم وحباهم ووعده الافراج

عنهم

عنهم متى ردت تلك الفيلة الى مرابط امثالها من مناخه
وسالوه ان تفعل ذلك تنفيسا عنهم وتخليصا لهم فتقدم
ابو علي الى اميرك بردها والافراج عنها ففعل ونهض هو و
فايق على سمت ابيورد مصحرين عن تلك المضايق فبعث
اميرك الطوسي تلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه
انه المتقرب بردها المتفرد بالخدمة فيها فاستعمر بذلك رتبته
واحبط على ابي علي قربته وفي ذكر هذه الوقعة يقول ابو الفتح
البستي الكاتب رحمه الله

الم تر ما اتاه ابو علي ... وكنت اراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه ... رجال يقلعون ابا قبيس
وصير طوس معقله فاضحى ... عليه طوس اشام من طويس

وسار ابو علي وفايق الى سواد ابيورد على ان يقصدا
كورة نسا فسنح لفايق ان يعدل الى سرخس لراي رآه
فخذل ابا علي على المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما
سمع ابو علي بنبأه ارسل اليه غير مفارقك على ايه حال

بانی

تصرفت بنا من اجداب واخصاب واحزان واسهال
وان ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا بادي الراي
من الصواب اذ قد بدا لك في التدبير فاني تابع لرايك وها
انا من ورائك فوقف له الى ان لحق به وسارا الى سرخس
ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما
عن سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف الدولة
على ما فوض اليه من اعمال نيسابور ضامنا عنده كفاية امرهما
نقضا او طارهما بمرو ثم اخترقا مفازة آمويه الى الشط متحرين
بجدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد المسالك و
وانسداد المناهل فالقيا بها عصا القرار وارسل ابو علي
ابا الحسين محمد بن كثير وابا عبد الرحمن بن احمد الفقيه
ورتبهما الى بخارا في استعتاب الرضى واسترضائه واستعفائه
الى رعاية حقوق مواليه واوليائه فاما ابو الحسين محمد بن كثير
فانه صرف ورآءه على وجه جميل وكتب الى ابي علي في تمنيته
وتاميله ورسم له ان ينحرف الى الجرجانية ليقيم بها الى ان يستانف الى

تدبير امره بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر باعتقاله
ووضع في الحبس على رسم امثاله وندب من بخارا بعض المسودة
بكتاب الى مامون بن محمد والي الجرجانية ليقدمه بتقرير حاله
وذكر ما اقتضى من الراي في بابه فامتعض فائق لما قوبل به
رسوله وعمد على ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجيا الى الملك
ومستصرخا اياه ومستغيثا به على ما دهاه واشار على علي
بان يساعده ويجمع اليه يده ويساعده فان الغرض المقصود
في طرحه الى الجرجانية تفريق ذات بينهما في المساعدة و
المرافدة والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة وان
الذي نمسا فيه ايديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا
كان او اختيارا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته والذهول
عن نفثات انيابه وحماته فاختار ابو علي مباعدته على
مساعدته ومجانبته على مقاربته سر الله تعالى فيما حكم
به من صدع شمله وقطع حبله ووضع رحله **شعر**
وليس لرحل حطه الله رافع ۔ وليس لامر شاءه الله دافع

وافترقا عن مناخهما فاما فايق فعبر النهر الى ما وراءه عادلا
الى ايلك مستجيرا اباه وواصلا عروته بعراه فانهض من
بخارا على اثره بكتوزون الحاجب فتصادما بحدود نسف
وولى كل واحد منهما صاحبه ظهره بعد ان ابلى في اللقاء
عذره فقبله ايلك احسن قبول وقراه احسن مقول ومفعول
وضمن له الوفاء بامله ورده الى ما استنزل عنه من عمله
واما ابو علي فاخطأ الطريق وحرم التوفيق فسار متقلدا بما
اخترحه من العصيان خجلا لما فاته من فرصة البر والاحسان
قد كحلته يد القدر بمرود الحيرة والسدر وعمت عليه
غياهب القضاء مذاهب الفضاء فهو يخبط خبط عشواء
مستبسلا للمقدور مستسلما لطوارق المحذور وانشدني
ابو حاتم الحنفي المذكر في مثل حاله لبعضهم

اذا اراد الله امرا بامرئ ۰ وكان ذا عقل وراي وبصر
وحيلة يعملها في كل ما ۰ ياتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه ۰ وسله من عقله سل الشعر

حتى

72

يا من لعبت به الشمول ما احسن هذه الشمائل ۰ عذاك واقذ لبلا ۰ الباب بعد كالعائل
من وصلك القليل مرضى ۰ الطل من الحبيب وابل

حتى اذا انفذ فيه حكمه ۰ رد اليه عقله ليعتبر

ثم ومر ابو علي قدما على سمت الجرجانية الى ان بلغ به المسير
الى هزارسف وهي قرية تقابل بلدة خوارزم من جانبها الغربي
فارسل اليه خوارزمشاه من اقام به نزلا وقدم اليه عذرا
ووعده العبور اليه غدا لمشاهدته وقضاء حق وفادته وقد
كمن له دهاء الفي رجل من افناء عسكره في خمر الغياض
والآجام لاغتياله جنح الظلام وحكى لي ابو علي الحسنامي
احد ثقات ابي علي وكان قد نهض فيما مضى من ايامه رسولا
من جهته الى خوارزمشاه انه انشده ابياتا لابن المعتز و
رسم له تبليغها الى ابي علي على معنى النصيحة

شعر
اذا امكنت فرصة في العدو ۰ فلا تبد شغلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا ۰ اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها ۰ وتاميل اخرى وانى بها

قال فرويتها له وذلك قبل استيحاش خوارزمشاه منه فقبلها
منه بمنة ثم ذهل عما كان لم يقرع بما سمعه ولم يستود

يوماً من الدهر ذرعه ولم يعلم انما كانت رمزاً من الايام له
بانتقاب النوائب وانتقاء العواقب ولم يدر ان لله فعال
والاعمال جزاء يحيق بأربابها وحيّاً او بطيّاً ومحسناً
او مسيئاً وغفل ليلته تلك من الاحتراس واقتدى بغفلته
سائر الناس حتى اذا انقل العيون كراها ونقد النجوم سراها
صحت الآفاق بخفق الطبول وغطغطة الخيول واحيط
بالقصر الذي نزله ابو علي على قتاله او نيل المراد من استنزاله
فثار من حف به من غلمانه للدفاع وثارت حجرات المصاع
وخف بنفسه الى زعيم القوم يسئله ما خطبك ولماذا حزبك
فقال له ان خوارزمشاه امرك فتقرب اليه بلطف الاذعان
دون عنف الضراب والطعان فهو للفتنة اطفى وللائحة
انفى ولباع الانتقام اقصر ثم انت بالراي ابصر فبادر
ابو علي الى النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر
نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان
سنة ست وثمانين وثلثمائة فامر به الى بعض القصور معتقلا

فيه وشد الطلب على اصحابه وقواده فاسر منهم الاعيان
والاركان وافلت ايلمنكو صاحب جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية
ونودي بين الافراد وخدم القواد من اقام يومه بهراد سفك
ابيح دمه فتفرقوا ايدي سبا في الاقطار كشوارد الامثال
والاشعار واعتقل الباقون على صغار وخسار الى ان
اذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية مامون بن محمد وذلك
انه لما سمع بنبأ ابي علي وما ارتكب منه خوارزمشاه اضطرب
قلقاً واضطرم حنقاً وبات يرعى النجوم ارقاً الى ان استتب
له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستحقون مثاقيل الاعمال
ويخوضون مشارع الاهوال وينفذون رواسي الجبال و
يستنزلون العصم من شعف القلال وسار فيهم ايلمنكو
في خواص ابي علي رجال قد اوغرتهم الحفائظ والاحن واحرجتهم
النوائب والمحن فهم يسعون الى الثار لنفي العار ودرك الاوتار
فعبروا الى كاث مدينة خوارزمشاه واحاطوا بها احاطة الاطواق
بالاعناق وناوشوه الحرب من كل اوب ودرب فظلت تلفح وجوه

رجاله بجمراتها حتى اجلتهم عنها مدحورين وحصلتهم
في ربقة الاسار مقهورين ودمروا على خوارزمشاه
في قرارة بيته فاعطاهم بيديه ووصل الى ابي علي
فحمل بقل قيده على رجليه وتبادلت حالاهما في دفعة
من اديم النهار فصار الاسير منهما اميرا والامير اسيرا
وكان ذلك على الله يسيرا وتحمل ابو علي نحو الجرجانية
في احسن حال وانعم سعار وحمل ابو عبد الله خوارزمشاه
على قتب عار بين خزي وعار فاستقبلهما مامون
بن محمد فقابل ابا علي بالاعظام والاجلال وعومل
ابو عبد الله خوارزمشاه من ضروب الاذلال بما يجل عن
المقال وانسلخ مامون بن محمد عن مجهوده في اكبار ابي علي
واجلاله ومشاطرته صنوف امواله واقام العطايا
لعامة رجاله حتى انتظمت احوالهم واخل بهم اختلالهم
وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا كانما عمل عليه
صناع صنعاء تزيينا وتحسينا وتنضيدا وتنجيدا فاخفى

عليه

عليه في الشرب اخفاء لطف ومسلة اذ كان قد هجر
الشراب وودعه منذ زمان فلما اخذت الكؤوس منهما
ماخذها اقترح احضار خوارزمشاه فاحضر يحجل في قيده
ولم يزد في جواب ما سئل عنه وعير به على الاطراق
وسمر الارض بالحداق وجملة امره انه امر به فاذريت
هامته عن منكبيه فتدحرجت الى الارض شيبته البيضاء
كذلك يفعل الله ما يشاء وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب
بها من اقام الخطبة برسمه وجبى اموالها على حكمه وتابع كتبه
الى الرضي متشفعا في امر ابي علي وسائلا تدبر امره بما يونس
وحشته ويجبر خلته فخوطب هو وابو علي في الملتمس
المتلمس رضا بما ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي
وامر ابو علي بالمسير الى خدمة السرير فلاحت له اماني
تعد بها جده واصلد عليها زنده فشخص نحو بخارا سائرا
الى دمه بقدمه وقد اغفلت الايام قلبه عن ذكر نغلاته
ولا بد ليلقى قدرا مقدورا وليقضي الله امرا كان مفعولا

ولما شارف بخارا استقبله الوزير عبد الله بن عزير والقواد
على طبقاتهم مهنئين ومتبركين ومضى فيهم الى السهلة ونزل
بها واخذ يلثم الارض الى ان بلغ السدة فرفع له الحجاب
وسار امامه الحجاب الى ان وصل الرضي فاستوفى ادب
الخدمة ولبس ذل كفران النعمة واستنزل بعقبه المنكو
في كبار اخوته وقواده حتى اذا نودي بدابته للخروج من الدار
عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والاخرون في القيود والاصفاد
والملق على الوقوف بالباب ايدي الاولياء والحشم فطبقوهم
بالسلب والنهب وسلخوهم بين كل مضيق ودرب وختمت
حال ابي علي بيومه ذلك يوم تطامن فيه صوره واستقام
صعره ونضج له ثمره واغيا على ورده صدره كذلك كفران
النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه وايساد الزمان عليه
بانيابه ونوائبه ورحم الله من قال فلقد احسن المقال
اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه
واعجبه العجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه

فدعه

فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه
وقد كان الامير سبكتكين منتخا بمرو فلما بلغه ايقاع
خوارزمشاه بابي علي عدل الى بلخ فعنى بها على جملته في الطاعة
وارتياد مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا واوعز
في بابه بما تقدم ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب الرضي عليه
بما يهم به ايلك من الانحدار عن الاعالي وحيازة ما في ايدي
عماله من اعمال تلك النواحي يسأله تجشم الحقوف في وجهه
والعبور لكفاية شغله تتميما للصنيعة عنده في استحياء دولته
واستبقاء ملكه وحوزته فاستشار في ذلك وجوه نصحائه
ووزرائه فترجحت الاجوبة بين تبعيد وتقريب وتخطئة
وتصويب فاخذته العزة بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء
فعدل عن مشورة النصحاء الى صريمة العزيمة والراي واقبل
على الاستعداد والاحتشاد وبث كتبه الى ولاة الاطراف
وزعماء البلاد بتعجيل الورود وتقديم الوفود وعجل هو الى
العبور قبل تلاحق الجهود ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم

بقرية تدعى نيازى الى ان وصل اليه ولاة الجوزجان
والختل والصغانيان وسائر اطراف خراسان وورد عليه
الامير سيف الدولة من نيسابور في هيئة راقت العيون
وهيبة راعت القلوب ورجال قد ربتهم الحروب في
حجورها وارضعتهم التجارب من شطورها فلم يسمع
بمعسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك واعيان القروم
وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم
للقائه فارسل الى الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه
يذكر انهما اخوان في ذات الله لاتفاقهما على نصرة الاسلام
وانقسامهما ديار الترك والهند بالغزو والانتقام وانهما
بحكم مساعيهما في اظهار دين الله وافلاج حجة الله احق
بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مستخلص نيته على مارد
نفسه وشهوات بدنه لا يشهد مقاما محمودا ولا يشهر
حساما مغمودا وان اجتماعهما على خطتهما اعود عليهما من
ركوب الخطر واجتلاب الضرر لحظ يخلص الى غيرهما وانه

لا

لا يستحل في دينه ان يعدل بالسيف عن اعداء الله الى
وجهه الا اذا اضطره اليه ابتداء وسامه الدفاع عن نفسه
اعتداء فليختر ايما الامرين راه من وفاق وافتراق و
ائتلاف واختلاف فيوسمهم بناره ويحذو على غراره فرجع
اليه ان اعتماد الرضى اياه بتأميله حين خذله ابناء دولته
وكفره انشاء نعمته يذمم اليه الاغماض دون حيف يجرى
عليه وملك يراد انتزاعه من يديه وان تعزيره بجميع ما
يحويه على استغراق ايام العمر فيه احب اليه من سمة
الخذلان واختيار الاساءة على الاحسان فليقطع طمعه
عن النزاع حول تلك الرباع او فليأذن بحرب تحطم فيها
متون الصفاح وتتقصد معها عوالي الرماح وترخص عندها
غوالي المهجات والارواح فلما علم ايلك جده وذاق بلبان
الاخبار ما عنده قرع للامير ظنبوبه وشد للحرب
حيزومه ورمى احياء الترك بقداح هي فيما بينهم علامات
الاستنفار فثار اليه الطم والرم جيوش تضل البلق في حجراتها

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر * وكتب الأمير سبكتكين الى
الرضي يستعجله اللحاق به ليتقدمهم هيبته في مناهضة
الخصم وفل حده وزحزحته عن صدر الملك الى ما وراء
حده واشفق ابن عزير على نفسه من حركته للهنات
التي كانت ألجأته الى الهرب واللياذ به من حر الطلب فنصح
الرضي بأن الأمير سبكتكين وعامة ولاة الأطراف عبروا
النهر في أحسن عدة وعتاد وأبلغ استظهار واحتشاد
أن المحن التي استمرت بك قد نفضتك عن تحمل مثلك
ورحلت بزينة الملك عن رحلك فقبيح بك أن تجاور
من حاله أخلى من حالك ورجالته أتم استظهارا من فرسان
رجالك والرأي لك أن تستعفيه عن مساعدتك بنفسك
على أن تحشر اليه وجوه القواد في جماهير الأجناد من أطراف
البلاد وتحكمه فيما يراه من مسالمة أو محاكمة ومكافحة
أو مصالحة ليكون فيصل الأمير بيديه على الوجه الذي هو
أخف عليه فكتب الرضي اليه فعلم أن ذلك من تسويل ابن عزير بذلك صح

وانفعاله

وانفعاله وتمويهه واحتياله وقصده أن يحبط عليه
سعيه الذي سعاه في العبور واستجاشة الجمهور وتحمل الأثقال
واستنفاق الأموال فسرب الأمير سيف الدولة وأخاه
بغراجق في قرابة عشرين ألف رجل الى بخارا لإزعاجه
عن مكانه وسير معهما أبا نصر أحمد بن محمد بن أبي زيد
ليتدارك أمر الديوان الذي كان برسمه فلما أحس ابن
عزير بإقبالهم رأى ليث الموت كاشرا عن نابيه وعقاب
العقاب ناشرا جناحيه للانقضاض عليه فابتغى نفقا
في الأرض أو سلما في السماء حتى اذا أعياه ما توخاه فزع
الى الانجحار ولاذ بالاستتار وولي الرضي أبا نصر بن أبي زيد
ما كان يليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب الذي هذبته
المناقب وأقام بكفايته عماده وقوم منآده وحذف
عنه ما كان قد آده ووصفه أبو الفتح البستي بأبيات
وفي الصدق بما حققه وهي

فديت أبا نصر المرتجى * لتفريج كل ظلام بطل

له قلم حدّه لا يكلّ ❊ اذا كان في الحرب سيف يكلّ
فيوجز لكنّه لا يخلّ ❊ ويطنب لكنّه لا يملّ
وكيف يملّ وتوفيق من ❊ افاد العقول عليه يملّ
تجود قريحته بالبديع ❊ عفوًا لجود القراح المغلّ
مدقّ مجلّ واولى الكفاة ❊ باعلى الصفات مدقّ مجلّ

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه

ابلغ مقالي كلّ عافٍ مجتدي ❊ ومؤمّلٍ في قصده ان يهتدي
عرّج على الشيخ الجليل المرتجى ❊ وزر الوزارة احمد بن محمّد
فرآه ملء العيون وحبّه ❊ ملء القلوب وسيبه ملء اليد
يفري امور الملك رايًا فيصلًا ❊ وعزيمة تزري بكلّ مهنّد
ويفيض نائله بسيلٍ زاعبٍ ❊ فيقول سائله غرقت بذي يدي
فاثن الرجاء الى علاه فانّه ❊ غوث الردي غيث الصدي بدر الندي
لا زال في يوم اغرّ مبشّر ❊ بسعادة غرّاء تطلع في غد
ليقيم كلّ مأوّدٍ ويُنيم كلّ ❊ مسهّدٍ ويضمّ كلّ مبدّد

وقد كان الامير سبكتكين احسّ بابقاء ابن عزيز على ابي

وجده

وجده في النضال عنه لما يقدره في الايام من التسلّح بدء عليه
فلوّح الرضي بميله الى ما يقع من نقله الى جنابه فاوجب
قبل وصول سيف الدولة اليه اسعافه به وحمل هو والمنكو
في عماريّة كانت خاتمة لعمره قاطعة لظهره وامر الامير
سبكتكين به فنقل الى جرديز في محمل لو راى من قبل مثله
في منامه لعاف برد الماء على زرقة جمامه واستعفى عن
طيب الحياة باقي ايامه نعم وانحدر فيما بين نهوض
سيف الدولة الى بخارا ايلك في قبائل الترك واستانف
مسئلة الصلح فاوجب الامير سبكتكين اجابته الى ملتمسه
لقعود الرضي عن مشاهدته وفتوره في امر نهضته واشترط
عليه ان يتزحزح عمّا دون قطوان ولا يطلق عليه عنانه
ولا يسرح اليه عمّاله واعوانه على ان يقرّر سمرقند على
فايق ايجابًا لشفاعته ورعاية لما سلف في بيت الرضي
من حقّ طاعته وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة
بمشهد الفقهاء والاعيان من الجانبين وانصرف كلّ منهما

عن وجد صاحبه وعاد الامير سبكتكين الى بلخ وسار
سيف الدولة نحو نيسابور وهدأ على الرضى ما كان متموجا
من امور الاعمال واقبل ابو نصر على مهمات الوزارة واكثرها
شغل الابادة لتقلص الولايات وقصور الارتفاعات
عن الوفاء بما كان مثبتا في القديم من وجوه الاطماع و
الاقامات وجعل يزجي بها يوما بيوم ويغسل دما بدم
الى ان ثار به بعض غلمانه فقتلوه وذلك على راس خمسة
اشهر من وزارته فضاق الرضى ذرعا بما دهاه لاشفاقه
من ظن الامير سبكتكين ان هناك قصدا في امره وترضا
للحادثة به واظهر الاكتئاب واستعظم المصاب وبرز
من الدار فصلى على جنازته وامر باقامة التنكيل والتمثيل
على الفتكة به وانشدني المضارب البوشنجي يرثيه

تلوت الناس آلمة سقاما ... ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن ... تركت بفقدك الدنيا يتيمه

وفيه لبعض اهل العصر يرثيه

لما ثوى صدر الوزارة احمد ... وخوت نجوم المجد في ملحوده
اذريت من فرط المصاب مدامعا ... كالغيث تعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد راى فرط الجوى ... والطرف يمزج دمعه بصديده
خفض عليك فقلت قولا زاجرا ... دعني ابكيه بنفحة جوده

والله ولي التوفيق للاعتبار بانتقاص الاعمار وتغير الاحوال

ذكر ابي القسم سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه

ولما انحاز ابو القسم عن اخيه اقام بجرجة الى ان ورد الامير
سبكتكين خاشتر من نيسابور فنهض اليه متعرضا للطاعة و
تمهيد حاله في موالاته وولائه فرعى حقه ورفع قدره وقوى
اسره وضمن له ما سره وخطب له الى الرضى ولاية قهستان
فاجابه اليها وامر له بالمنشور عليها وحبي الى ذلك بخلع غرته
يمنة الطاعة وكسته يمنة العز في الاختلاط بالجماعة فاوى
الى قهستان ساكن الجاش ظاهر الرياش اثيث الجناح مريع المسرح
والمراح الى ان سنح للامير سبكتكين عبور النهر لتدبير امر الترك

نكتب اليه يستنهضه الى مجمع اركان الدولة واعيانها
ليضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحادث وممانعة
الخصم المغالب لحملة تقوى العواقب واساءة الظن بالنوائب
وطراءة عهده بخبر اخيه فيما درع من لباس الهوان و
جرع من كاس الذل والامتهان على ترك المسير والادلاء
ببعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته سيورثه
عند فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق به
استقلالا فبادر الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها
وطابقه ابو نصر بن محمود الحاجب على فعله ورايه تظاهرا
على الاستظهار بجمع المال واثبات اصناف الرجال وحين سمع
الامير سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة
في الانحدار الى نيسابور وامده باخيه بغراجق والي هراة
لنقض ما امر من امرهما وحصد ما نجم من شرهما فسار
اليهما ولم يرض بهما حتى انحط على اثرهما من بلخ كالشهاب في
اثر العفاريت فلم يرع ابا القسم وابن محمود غير اظلال الجيوش

عليهما

عليهما فارتحلا مطايا الهرب وسارا الى استوا متقيين
حد القضب وركب الاميران اكتافهما يشلانهما شل النعم
حتى لفظتهما حدود خراسان الى تخوم جرجان وامتد الامير
سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى ان تطاير اليهما خبر اقباله
فزاد في حفزهما للانهزام واعجالهما دون المقام وعطف اليه
سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان
عنهما مجدد بن العميد به وقد كان فخر الدولة علي بن بويه
تدنى تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة
بجملة من المبار ومال من العين واللجين على سبيل النثار اقتناصا
لمحبته واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله الامير سبكتكين
باضعافه من الالطاف وزاده عليها ثلثة من الفيلة الخفاف
وارسل بها المعروف بعبد الله الكاتب احد ثقاته فنمي الخبر الى فخر الدولة
بتجسسه عليه عدد اجناده وغوامض الطرق المفضية الى
بلاده فكتب الى الامير سبكتكين يشير الى ان رسول المرء لسانه
وعنوان ضميره وترجمانه وان فلانا ورد يخالف باطن افعاله

ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه لو اراد لعلم ان سرير
الملك لم يستقر في سرة الارض الا بغلب غلب واسود
سود فحز هذا الكلام في صدره وخدش وجه الحال التي
كان خطبها فخر الدولة الى وده ثم اردف كتابه ذلك بابي القسم
الرسول احد وجوه بابه واصحبه رسالة مشافهة مشتملة
على ذكر الحال التي يروم عمارتها في مودته وتحصيل رضاه
وموافقته وان الرضي تبرع له بالرعاية الوافرة وبل الحال
ببلال المصاهرة لكنه يرى قوام ذلك ونظامه بما يوجبه
من مواصلته وعمارة حاله من ذات صدره وساله ان
ان يثق بالاخلاص له من قلبه والاسعاف بما تحت يدى
ملكه وملكه وان ينطوى له على مثل ما بذله من نفسه ليستحصد
المرائر ويتاكد الاواصر ويستمر به التحالف والتالف و
يرتفع التخالف والتجانف فاحسن الامير سبكتكين اجابته
الى ما طلبه وانكحه من ستره ما خطبه وصفت الحال بينهما
عن الشوائب وانتفت عن وجوه القادح والمعائب واستامن

ابو القاسم

ابو القاسم بن سيمجور الى فخر الدولة عند الياس من خراسان
فاستدناه الى الدامغان وقومس وجرجان وفرض له و
لمن اشتملت جريدته عليهم من حاشيته ورجاله ما لا يدر
عليهم وسناتي على بقية ذكره في موضعه وورد على الامير
سبكتكين مونس الخادم رسولا عن الرضي يستشيره فيمن
يرشح للوزارة لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمن يرعيها
ويستقل باعباء الكفاية فيها فوكل الاختيار الى رايه و
واظهر مظاهرة من كان من وزرائه فاختير ابو المظفر
محمد بن ابراهيم البرغشي لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها
فتكفل بالامير كفالة الندب الحدب وقام بالتدبير قيام المنقح
المشذب الى ان اختطف الرضي اجله وعثر بحياته امله و
عطف الامير سبكتكين بعد ذلك الى بلخ وعاد سيف الدولة
الى نيسابور وقد كان ابو الحسن الحسين بن ابي علي بن سيمجور
مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس فلما سمع بانكشاف عسكر
ابيه ركب المسافة نحو الري فآواه فخر الدولة واكرمه وخلع عليه

فضله وكرمه وامر له بخمسين الف درهم مشاهرة تدر
عليه عند ولاد كل شهر واضاف اليه من المبار والصلات
ووجوه الاحبية والكرامات ما تميز به عن اشكاله رعاية
لحق ابيه فيه وتبجحا بحصول مثله في جملة اوليائه وحملة
اياديه فاغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بالهرب من
مفترش الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية
ومرتفق السلامة والعافية حتى زج بنفسه في قحمة الثبور
من كورة نيسابور مطاوعة لهوى له كان زعم بما فطن ان
استتاره يطوي خبره ويخفي عينه واثره الى ان يقضي
من هواه وطره فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حوالي
مستتره فاحترشوه كما يحترش الضب من جحره وعجلوا
به الى الحبس من فوره وحمل بعد ذلك الى معتقل ابيه
الى ان نفذ محتوم القضاء فيه فيا له من اسر هذا اسره
وختم بطالع الشقاء عمره ورحم الله ام المؤمنين ام سلمة
حيث تقول

لو كان

لو كان معتصما من زلة احد كانت لعايشة الرتبى على الناس
قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذي يقضي على الراس

وكان اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة
فلما عن له عبور النهر لتدبر امر الترك راى الاحتياط
في الاستيثاق منه فالحق بابي علي وذويه الى ان حاق
بهم القضاء وحق عليهم الانقضاء كذلك يفعل الله ما
يشاء ولما استقر الامير سبكتكين ببلخ منصرفه من طوس
ورد الخبر بنفوذ قضاء الله في ابي علي ومن كان معه في
حلق الوثاق واستتبع خبره موت الملوك والعظماء باطراف
خراسان والعراق في مدة اتصلت كعوب ايامها وتناسقت
فرائد نظامها فكانهم كانوا على ميعاد وذلك انه تلا خبره
خبر مامون بن محمد والي الجرجانية في فتك طائفة من
اصحابه به في مادبة صنعها صاحب جيشه له واستحالة
المادبة صنعها صاحب جيشه له واستحالت المادبة مندبة
والدعوة مناحة والغناء عويلا والسرور حزنا طويلا وورد

خبر الرضى في مرضة لم تمتد فيها ايامه حتى الم به حمامه
وانتقل الى ترابه بماء شبابه وكانت وفاته يوم الجمعة
لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة
ولقبه كتاب بابه بالرضى فرحمة الله عليه رحمة تبرد ضريحه
وتروح روحه فقد كان طود الملك زال بزواله وزل عن
مراسيه بزلزاله وتتابعت المصائب على الامير سبكتكين
بعده بشقيقة له كانت اعز اهله عليه واولاد صغار و
غلمان دار وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وايس من
الانتعاش فتاق الى غزنة استرواحا الى طيب هوائها واستشفاء
بنسيم ارضها ومائها فاخذ المقدور عليه بالمرصد واخترمته
يد المنون دون المقصد فنقل في تابوته الى غزنة ومن العجب العجاب
اني حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في اقبالها وزوالها
فقال وهو يشير الى كاتبه ابي الفتح مثلنا انما الشيخ في اختطاف المنايا
ارواحنا مثل القطيع يعمد الجزار الى الضائنة منها فيطرحها
الى الارض ويوثق قوائمها للجز فلا تزال تقلق بخلاف العادة و

رجب

العجاب

تضطرب

وتضطرب خوف الابادة الى ان يقضي الجزاز منها وطره فيحل
وثاقها ويحسن اطلاقها فترتاح لما يتاح لها من النجاة ويعاد
اليها من روح الحياة حتى اذا كانت من قابل عاد الجزاز لعادته
فطفقت لها بين امل وياس ونفرة واستيناس تظن الامر كما
عهدت تارة وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان يقع الافراج
عنها فتطفر فرحى بالنجاة وتعود مرحى في النبات فما هي الا الثالثة
حتى يسلمها الجزاز الى الجزار فيمر الشفرة على ودجيها اوثق ما
كانت بالعادة وابعدها من المخافة وآمنها من الآفة كذلك نحن
فيما يتعاقب علينا من الامراض ويستمر بنا من الاوصاب بينا نحن
نحسن الظن بما يطرق منها اذ قامت الواعية وسادت بها الناعية
فكان بين هذا التمثيل وبين ان قضى نحبه قدر عفار النخل
اياما سواء فقضينا العجب بعده لما املاه المقدور في شانه
على لسانه وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار المعروفة
بسهلاباد وانفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها حتى خذله
الرجاء وحق له القضاء واعتافها ولده من بعده فاهملوا

امرها حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل ينشد وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة

عليك سلام الله من منزل قفر ۔ فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك مذ شهر جديدا ولم اخل ۔ صروف الردى تبلي مغانيك في شهر

فلحا الله دنيانا من صبة تاكل اولادها عقوقا وجافية لا ترعى لاضيافها ذمة وحقوقا والى الله المشتكى من صرف الزمان وريب الحدثان ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين ۔ والدولة حياه ربه بالكرامة
وتداعت جموعه بافتراق ۔ هكذا هكذا تقوم القيامة

وقوله ايضا

توكل على الله في كل ما ۔ تحاوله واتخذه وكيلا
ولا تخدعنك شرب صفا ۔ فانمى قليلا واروي غليلا
بان الزمان يذل العزيز ۔ ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله ۔ وكان المهيب العظيم الجليلا
اعد الفيول وقاد الخيول ۔ وصير كل عزيز ذليلا

وحف الملوك به خاضعين ۔ وزفوا اليه رعيلا رعيلا
ولما تمكن من امره ۔ وصار له الشرق الا قليلا
واوهمه العز ان الزمان ۔ اذا رامه ارتد عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة ۔ وسلت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال ۔ ولم يجد فيل عليه فتيلا
كذلك نفعل بالشامتين ۔ ونفنيهم الدهر جيلا فجيلا

ولبعض كتاب اهل العصر فيه

مضى الامير نصير الدين متشحا ۔ في قبره بمساع اشبهت علما
قد كان مدة ما قد عاش منتصبا ۔ لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا ان حمى وهمى ۔ والنجم والرجم شكلا ان سما ورمى
يا من اسال رقاب الكاشحين دما ۔ من فقدك الان ابكيت العيون دما
لئن اناخ صروف الدهر ساحته ۔ فانظر الى الملك والاسلام لا جرما
فالدين منثلم والملك منهدم ۔ وظل حبل العلى والمجد منصرما

وردف الحادثة به النعي لفخر الدولة علي بن بويه وكانت وفاتهما في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب

انقراضه انه فزع القلعة التي استحدثها على جبل طبرك
مرتاحاً للانس فاشتهى طرائح من لحم البقر فنحرت بين يديه
واحدة وطفق اصحابه يضهبون له من اطايبها وهو ينال
منها واتبعها يعنا قيد كرم ودارت عليه الكؤوس بينها ملأى
ولاء فلم ينشب ان لوى عليه جوفه واتصل على الالم صوته
الى ان جثم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها : حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي : فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني : اخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا : ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوماً : لقال لها عتواً افّ منك
ولو زهر النجوم ابت رضاه : تأبّى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعد ما فرع البرايا : اسير القبر في ضيق وضنك
اقدّر انه لو عاد يوماً : الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس فكرك في ملوك : مضوا بل لانقراضك ويك فابكي

فلا

فلا يغني هلاك الليث شيئاً : عن الظبي السليب قميص مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد : يسمّ وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا : يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
الا يا قومنا انتبهوا فانا : نحاسب في القيامة غير شك

واما مامون بن محمد والي خوارزم فان ابنه علياً ولي الامر
من بعده وتسارع الناس الى بيعته وعاد الملك به الى بهائه
ودوعته واما الرضي فقد كان عهد بملكه الى ابنه الامير ابي
الحارث منصور بن نوح فلما استعزّ به ومضى لسبيله تناصر
على بيعته الاولياء والحشم وفرق بقايا الاموال وخبايا
الذخائر والاعلاق في اعطياتهم وتحقيق اطماعهم حتى
استوسقت امور الجماعة واتسقت الكلمة في الطاعة
وبقي ابو المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي على الوزارة
واما الامير ناصر الدين سبكتكين فقد كان عهد الى ولده
اسمعيل واستخلفه على اعماله واوصى اليه بامور اولاده
وعياله وجمع وجوه حجابه وقواده على طاعته ومبايعته

والرضا بولايته وايالته فلما طرق الناعي به تبادروا
الى عقد البيعة له وامضاء الوصية فيه واستقر اسمعيل
بعد قضاء المأتم على سرير الامارة وامر بفض الختوم عن
بدر الخزانة وصب الاموال حتى ارضى الرجال واما فخر الدولة
فان عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الامير مجد الدولة ابي
طالب رستم بن ابي على ففوضوا الامر اليه وحفظوا
نظام الملك عليه ولقبه السلطان بمجد الدولة وكهف الملة
وسيأتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الاثر و

عبد الملك بن محمد

انشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في عجائب هذه السنة
وتبدل احوالها وتفاني امرائها قصيدة

الم تر مذ عامان املاك عصرنا ۰ يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى ۰ على حسرات ضمنتها الجوانح
ويابوس منصور وفي يوم سرخس ۰ تمزق عنه ملكه وهو طائح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى ۰ اسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ۰ ووالي الجبال قد علته الصفائح

وصاحب جرجانية في ندامه ۰ ترصده طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا ۰ كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزم شاه شاه وجه نعيمه ۰ وعن له يوم من النحس كالح
وكان علا في الارض يخبطها ابو ۰ علي الى ان طوحته المطاوح
تعارضه ناب من الشر اعصل ۰ وعن له طير من الشؤم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي ۰ براثنه للمشرقين مفاتح
اناخ به من صدمة الدهر كلكل ۰ فلم يغن عنه والمقدر سائح
خيول كامثال السيول سوابح ۰ فيول كامثال الجبال سوارح
جيوش اذا اربت على عدد الحصى ۰ يغص بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه ۰ دوائر سوء نبلهن قوادح
وقد جاز والي الجوزجان قناطر الـ ۰ ـحيوة فوافته المنايا الطوائح
وفائق المحبوب تدرجت عمره ۰ ففاظ ولم ينديه في الارض نائح
مضوا في مدى عامين واختطفتهم ۰ عقاب اذا طارت تخر الجوارح
وكان بنو سامان اطواد عزة ۰ فاضحت لصرف الدهر وهي اباطح
اما لك فيهم عبرة مستفادة ۰ بلى ان نهج الاعتبار لواضح

تسلَّ عن الدنيا ولا تخطبنّها ۞ ولا تخطبنّ قتّالةً من تناكح
فليس يفي مرجوّها بمخوفها ۞ ومكروهها إمّا تدبّرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا ۞ وعندي لها وصفٌ لعمري صالح
سلافٌ قصاراه ذعافٌ ومركبٌ ۞ شهيٌّ إذا استلذذته فهو جامح
وشخصٌ جميلٌ يونس الناس حسنه ۞ ولكن له أسرارُ سوءٍ قبائح

ولمّا أفضى أمر الإمارة إلى الأمير أبي الحارث منصور بن نوح وهو في حدّقة البلوغ وينع الشباب وعند مشتعل الحركة ومستصبح النجابة ومستوضح الأصالة والإصابة أقام أبا المظفّر محمّد بن ابرهيم وزيرًا وفوّض الملك إلى فايق كفالةً وتدبيرًا وكان عبد الله بن عزير اتّقى شوكة الأمير سيف الدولة عند قصده إلى بخارا بالإصعاد إلى الأعالي فلمّا انقرضت حيوة الرضيّ أطمع أبا منصور محمّد بن الحسين الإسبيجانيّ في صحابة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار به إلى بخارا مستعينًا بايلك الخان على نيل الأرب المنشود وإصابة الغرض المقصود فنهض ايلك بمصاحبتهما وسار إلى

باب

باب سمرقند بهما حتّى إذا أناخ بمرج على ظاهرها أتاه أبو منصور في خفٍّ من غلمانه زائرًا فاحتبسه بعلّة الطعام وأصحابه بين التخييم والاستجمام فأمر به وبابن عزير فشدّا في حلق الوثاق وقرنا في قرن الاعتقال وأرسل إلى فايق فلمّا أتاه أجلّه ورفع محلّه وخفّ عن مكانه إجلالًا وضمّ إليه ثلاثة آلاف رجلٍ وأمره بالمسير إلى بخارا على مقدّمته فسار على ما رسمه له فلمّا بلغ أبا الحارث خبر إقدامه ارتجّ عليه وجه الصواب وصرّ عليه رجل الغراب وأعجلته نطاعة الخبر عن التدبير فبادر إلى العبور بمن معه من صغيرٍ وكبيرٍ ودخل فايق بخارا فبادر إلى التراب فلثم خدّ الأرض وجلس مجلس الحجّاب وأظهر القلق والالتياع لإخلال أبي الحارث بدار عزّه وشرفه ومقرّ الماضين من سلفه وجشّم مشايخ بخارا إليه في مسألته تقديم الإياب وتعجيل الانقلاب فوثق إذ ذاك به وأمر بالكتاب إليه في إحماده على طاعته وتقريبه وكان مفتتح ما خوطب به من جعل المخالصة وليك الله

زماما يمده والمناصحة اماما يهديه ويرشده فمسعود
حيث وقفته هذه ومحمود تصرفه حيث صرفته تلك وازتاح
ابو الحارث للانصراف حين امن جانب الخلاف وصير
قبل صريمة الراي بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة
على بابه الى نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة
ثم عبر النهر عائدا ورآءه فتلقاه فايق مقيما رسم العبودة
ومؤديا فرض الطاعة المحمودة وانكفا به الى بخارا فاستقام
له الامر وحمد ذلك المجز وقد كان بين فايق وبكتوزون
سخيمة واحنة في صدر كل واحد منهما قديمة فاستحلفه
ابو الحارث على الاغماض له فيهما والاغضاء عنهما والعفو
عما جز في صدره منهما استثباتا لاقدامهما في الطاعة و
استجماعا لاهوائهما في المتابعة فاظهر الانقياد وحلف
بما اراد واستقرت امور السالارية على بكتوزون فجبى
اموال خراسان لابي الحارث من غير منازع ولا مدافع الى
ان طارت النعرة في راسه فارتقى من قصد سلطانه وولي نعمته

الى ما عرض به الملك للهلك والدولة للعولة وارخ الدهر
بعار لا يرحض عنه وضره ولا يدفع عن وجهه قترة

ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسمعيل اخيه بعد انتصابه في الامارة منصب ابيه

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل
طمح اهل العسكر الى مال البيعة فامر به فاطلق لهم استحقاقهم
من العين استصلاحا لذات البين ثم احس القوم خورا في
عوده ورخاوة في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه
ولاشفاقه على نفسه من جانب اخيه وقصده وانتزاعه
الامر من يده فاستوطاوا امركب الطمع واستسهلوا جانب
التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على الرواتب لهم حتى استغرق
ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلت الخزائن مما يسع
الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان يفرع فيما ينوبه
آنفا من مؤن اطماعهم الى العدة التي كانت مذخورة له بغزنة
فلو بقوا على جملتهم في التسحب عليه لاسرع بمزق شمل الاموال

بلغ

وتفرق جمع الاولياء والرجال فلما ورد على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى ايام المصيبة فيه بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في التعزية على عارض الرزية واتبعه بابي الحسين الحمولي في اذكاره بحق الكبر وما يجب له بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين الباصرة او اعز واليد الباطشة او امنّ وانه سيبلغ في امره كل ما يرضاه ويهواه ويتعلق به مناه وان الامير سبكتكين انما افرده بالوصية لاعجال المنية اياه عن وضعها منه موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف الشقة وان الراي فيما يتنزله من توفيته حكم الرياسة ومشاطرته الارث من ذخائر الامارة وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحامّته ومعشش خاصته وعامته على ان يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما كان يدبره من اعمالها ونواحيها فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه راي العين ويدرس عليه

كتاب

البرهان فلم يزده الا على الاباء والالتواء وتعريض تلك الاموال للاتواء وتوسط والي الجوزجان ابو الحارث الفريغوني بينهما على ان يسكن نابض الخلاف ويقف بهما على نقطة العدل والانصاف واراد كلا منهما على التلاقي قبله ليشافه كل منهما اخاه بما يقترحه من مراد ويستقدحه من زناد اذ كانت لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر البعاد وفي حال التحيز والانفراد فاما الامير سيف الدولة فانه راى ذلك صوابا واوجب من نفسه اسعافا واما اسمعيل فانه تدعن الاجابة ولحظ الامر بعين الاسترابة وراى التسمح بما يقترح عليه من مال الارث وان كان فادحا كله اهون عليه من ذلك مراما وايسر احتمالا والتزاما ذعرا تمكن من نفسه ورعبا سرى في صميم قلبه وخيفة سالت به في اودية الظنون ونفرته عن ضم القوادم للسكون وانشدته ذات يوم ابياتا لسيف الدولة في اخيه ناصر الدولة الحمداني معرضا بالالفة التي هي اوطا مهادا واخصب مرتعا ومرادا وهي

وان كنت

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها ۞ وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
ولم يك بي عنها نكول وانما ۞ تجافيت عن حقي فتم لك الحق
ولا بد لي من ان اكون مصليا ۞ اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فرجعت عن مقاصدها من ذرعه وطاشت سهامها دون
الغرض لها من سمعه وبعل الامير سيف الدولة بتدبير ما
عراه لاستحبابه الرفق على الخرق وايثاره الرفو على الخرق
وميله للمداراة على الملاحاة والمواتاة على المناوات واختياره
البر على الجفاء وادخاره الكي لآخر الداء حتى اذا غار نجم
الهوادة ورق جلباب الحشمة استعد لاتيان الامر من بابه
ورد المنتزع منه الى نصابه وخاطب الامير ابا الحارث بما
عن له من المهم الذي لا يسعه غير تلافيه ونثل كنانة
الوسع والطاقة فيه وسار في خواص غلمانه ورجاله و
قواده المندوبين لاتباع مثاله الى هراة واستانف بها
اسمعيل بين وعد ووعيد وتمنية وتهديد وترجيح بين
الياس والامل وتنبيه على موقف الندامة والخجل فلم تغن

ذلك

ذلك عنه فتيلا ولم ينقض من قوى عقده سحيلا وتراجعت
المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام واشتد لفح الخصام
واعيى فيصل الامر الا بحد الحسام ودعا الامير سيف الدولة
عمه بغراجق الى مساعدته ومرافقته واتباع مصلحة البيت
بمتابعته فتسارع الى طاعته واقر بالحق عليه في متابعته
واتباع رايته وخف معه الى بست وبها الامير ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين فصادف الامير سيف الدولة
منه وليا مطيعا وصفيا الى الانقياد سريعا هوى منه لم يرض
بزمام وخطام ومحبة لم يذلل باسراج والجام فتبرع بالانقياد
وتسرع الى المراد وجرى في حلبة الطاعة طلق الجواد ولما
سمع اسمعيل برحيل الامير سيف الدولة على جانب غزنة
سبقه اليها من جانب بلخ متجردا للممانعة محتشدا للمقارعة
والمدافعة وسار الامير سيف الدولة في عمه واخيه وسائر
اوليائه ومواليه حتى اناخ بظاهر غزنة وقد تطاير اليه من
قبل كتب الاعيان من قواد اسمعيل في ممالاته عليه لما عرفوه

من وهى امره فى الرياسة وضعف يده عن حق السياسة
وتردد السفراء بينهما فى الاستصلاح وكف عادية الكفاح
فابى الله الا ما كان مقدورا وجعل الحق مشهورا والمحق
منصورا وانتدب الامير سيف الدولة للحرب يعبى المواكب
ويرتب الجيوش كواكب ودلف الى القتال فى رجال كالرماح
او كالنهال القماح يهشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع
ويرتاحون للكفاح ارتياح الهيم للماء القراح

سفع الدروب وجوههم فكانهم ❊ وابوهم سام ابوهم حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا ❊ سكانها الارواح والاجسام
آساد موت مخدرات ما لها ❊ الا الصوارم والقنا آجام
مسترسلين الى الحتوف كانما ❊ بين الحتوف وبينهم ارحام

وبرز اسمعيل بمن شايعه من مواليه وتابعه من رجال
ابيه وقد حصن الصفوف بفيلته العظام كانما اركان
يذبل او هضاب شمام ودنا الفريقان بعض من بعض ضربا
بالسيوف البواتك وطعنا بالرماح الفواتك ورضا للهام

من

من تحت الترائك وظلت رحا الحرب تعركهم بثفالها وتدور
باثقالها الى ان رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالامان
من سبق وعده وطلع بالاقبال سعده وعندها حمل الامير
سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف وتخالطت الصفوف
وخطبت على منابر الرقاب السيوف وثارت عجاجة اخذت
العيون عن الاشباح واذهلت النفوس عن الارواح ونثرت
الاعناق بايدى الصفاح واقعصت الكماة من وقع السلاح
وظلت سنابك الخيول تردى على جثث القتلى وتلعب باكر الرووس

تجرى الجياد من القتلى على جبل ❊ ومن دمائهم يدحضن فى وحل
ومن جماجمهم يصعدن فى نشز ❊ ومن ذوائبهم يقمصن فى شكل

فلم ينشب ان اسفر قتامها عن مساقط ابدان تحت ابدان واجسام
فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يمسحون طول الارض خوفا
من حر العقاب ومر الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة
متحصنا بما فى العاجل من مس الطلب الى ان تلطف له الامير
سيف الدولة فاستنزله على امان وحسن ضمان وجاوزه بمعروف

ذكر ما جرى بين ابي القسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان ابو القسم بن سيمجور انتقل الى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على طاعة ولده مجد الدولة فضوى اليه من شذ عنه من عسكر اخيه وموالي ابيه واتصل به طوائف من ابطال الاعراب والاكراد فاستدت بهم مناكبه واحتدت انيابه ومخالبه وكانت الحسيكة التي ينطوي عليها فايق لبكتوزون ترصده بالحبائل وترميه باغوال الغوائل فارسل الى ابي القسم يحرشه عليه ويغريه به ويعده ما يليه من قيادة الجيوش متى اجلاه عن مكانه وجلاه في معرض العجز على سلطانه حتى اخمصه عن جرجان تاركا للعين بالضمار وعارضا للملك على خطر القمار فكان مثله كما قيل

وانى وتركي ندى الاكرمين ... وقدحي بكفي زندا شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض اخرى جناحا

ففصل عنها قاصدا قصد نيسابور في جماهير اصحابه ممن ضرستهم وقائع الحروب وتخذتهم قوارع الخطوب كوتهم صروف الايام

بمناسمها

92

بمناسمها وداستهم احداث الليالي بمناسمها وافرط ابا علي بن ابي القسم المعروف بالفقيه على مقدمته الى اسفراين وبها بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب وتداركت الامداد على ابي علي لقرب الخطى بينه وبين صاحبه فجفل عنه اصحاب بكتوزون منهزمين الى نيسابور وقد اقتسموا بين جرح وكسر وقتل واسر وسار ابو القسم سير السحاب يحثه ريح الجنوب حتى اناخ بظاهر نيسابور مستطيلا بشوكة رجاله وشكة ابطاله فارسل اليه بكتوزون يعلمه ان الحروب سجال وحسن الظن بعواقبها ضلال وان في قرع باب البغي تعرضا للبلاء واستبدادا على سوء القضاء وانما يصر على الكفاح من لم يجد وجها على الصلح والصلاح فاما من كان في فسحة من الراي وندحة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها في مباشرة القتال ومساورة الابطال ومغامسة الاهوال وان الراي له ان يعدل الى قهستان لينجز له من الامير ابي الحارث ولاية هراة معها رعاية لحق

بكتوزون

خدمته وقدمته وسابق مواته واذمته فضربه ابو القسم
باذن مستكّة عن الانتصاح منسدّة عن الصلاح وحمله
الادلال بجاله ورجاله على التحكّم والتسحّب والتمنّع والتعصّب
واهاب بعسكره الى الحرب فاصطلحوا على مساقاة الطعان
والضراب ومعاناة الحرب ببيض الصفاح وزرق الحراب
ذاهلين عن مصرع الغدر واثقين بمطلع النجح والظفر وعبّا
بكتوزون رجاله الفتاك واشباله الاتراك في سائر من اظلّتهم
رايته من قوّاد الامير ابي الحارث وانصاره والمعتصمين بذمّة
سعاره فالتقوا قبالة قرية تدعى بتنجة بظاهر نيسابور
واجتلى ابو القسم منهم رجوما ونجوما ولاقت بكاريته الحقاق
قروما واشتبكت الحرب بينهم نفحا بالمناصل وضربا بالمعاول
ووخزا باطراف العوامل واشتعل اصحاب ابي القسم فيهم كالنار
في دقاق العوسج او بيبيس العرفج ضربا هبرا وطعنا نترا و
رميا سعرا وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا وقهرا و
قسرا حتى اذا ظنوا ان قوادم الهزيمة قد افرجت لهم عن خوافي الغنيمة

صلك

صلك بكتوزون قلب ابي القسم بجملة ازلقتهم عن المقام واعجلتهم
للانهزام فانصاعوا مخذولين مفلولين يقودهم الخجل ويسوقهم
الخوف والوجل وقبض في منهزميهم على علي بن ابي القسم الفقيه
وهو احد اركان ابي علي في ايامه بمشهور رايه ودهائه و
مذكور غنائه ومضائه وعلى عدة من قوّاده ووجوه سوّاده
وفرّ ابو القسم في شذاذ عسكره هائما على وجهه حتى امتدّ
به الوجيف الى قهستان وذلك في ربيع الآخر سنة ثمان و
ثمانين وثلثمائة وكتب بكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما يسّره الله
من عسير النجح فسرّ الجمهور واثلج الصدور ما خلا فائقا فانه
اغتمّ واهتمّ وكاد ان يعقد المأتم لما تمّ وسار ابو القسم
بعد ارتياشه وانتعاشه الى بوشنج متحكّما في اعمالها واموالها
وناهضه بكتوزون لانتزاعها من يده وتوسّط السفراء بينهم
على وصلة انعقدت بينهما ورهنه ابو القسم ابنه المعروف بابي سهل
فارتفع من بينهما الخلاف وحصل الاتفاق والايتلاف وعاد
ابو القسم الى قهستان وكرّ بكتوزون الى نيسابور في رجب هذه السنة

وجرت بين فايق وابي المظفر محمد بن ابرهيم البرغشي ملاحاة
في تدبير الاعمال والاموال فارصده لها بالسوء وقصده
بالمكروه من اكثر الوجوه فلاذ بابي الحارث من قصده و
استامنه على نفسه فآواه داره وادر عليه مباره واتاه فايق
لسؤاله تمكينه منه وايثاره به فجبهه بالرد واغلظ له في القول
فخرج من مجلسه على حد منكب يتحدث بالانقطاع الى الترك
والاخلال بكفاية الملك حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فافتاوا
فايقا عن رايه واستماحوا الامير ابا الحارث حسن عفوه و
اغضائه وسير ابو المظفر الى ناحية الجوزجان وسد مكانه
بابي القسم البرمكي فصدقت فيه فراسة المعروف بالمضراب
البوسنجي حيث يقول

وكنا زمانا نذم الزمان ❊ ونثني الوزارة بالبلعمي
فاخرنا العمر حتى انتهت ❊ من البلعمي الى البرغشي
وسوف تؤول على ما اراه ❊ منه قريبا الى البرمكي

وكان ابو القسم هذا موسوما بالفضل الا ان اغلب الصفات عليه

صفة البخل وحين ولي الوزارة ناقش اولياء ذلك الباب
في اعطياتهم الواجبة وجراياتهم الراتبة وعارض اطماعهم
في خاصتهم بزند شحاح ووجه على الرد وقاح فلم يرعه
الا دبابيس الاتراك تهشم قذاله وترض عظامه واوصاله

ولقد احسن من قال البيت لابي سعيد المخزومي

يقول لي دعبل في ثوبه خبل ❊ ولو تمس ثيابي دعبلا خبلا
لا والذي سبك الصهباء من ذهب ❊ والكاس ياقوتة ما ساد من بخلا

واستنزل الامير سيف الدولة اخاه اسمعيل من قلعة غزنة
على امان بذله وضمان اجمله وتسلم منه مفاتيح الخزائن و
احاط بزوايا الاعلاق والدفائن وجبر له كسر حاله واعاد
اليه رونق مائه وجماله وشحن غزنة بثقاته والكفاة من
حماته وانحدر الى بلخ في عامة اوليائه وانصاره وقد
انتظم له ما انتشر بعد ابيه واستقر عليه ما سعى في تلافيه
فغصت شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله وعلامات
الاعلام من اقياله وكتب الى الامير ابي الحارث بذكر اقباله و

من جهة اخيه

وحذفه فضل الشغل كان باخيه عن باله وانه قائم مقام
ابيه في المحاماة على الدولة والنضال عن الجملة والاقبال على
حقوق ما يعرفه من بركة اصطناع الرضي واصطفائه وتقديمه
على زعماء حشمه واوليائه فارسل اليه ابا الحسن العلوي الهمداني
في تهنيته بمقدمه واظهار تيمنه بموطئ قدمه وعقد له على بلخ
والترمذ وما والاهما وبادغيس وهراة وما تاخمهما وداناهما
وتلطف في الاعتذار اليه من امر نيسابور حرصا على ترضيه و
كراهة لصرف كتوزون الا بعلة تقتضيه فعلم الامير سيف الدولة
ان تلك المنافسة صادرة عن تمويه الحساد وتلبيس المناوين
والاضداد وان داء الحقد ليس له علاج وان صلاة النجح
بغير فاتحة البرطاج خداج فارسل الى الامير ابي الحارث ثقته
ابا الحسين الحمولي بهدايا تضن بمثلها سمح النفوس وتضيق عن
قدرها رحب الصدور ورسم له ان يحجب سمعه عن تضريب
المضربين وتثريب المثربين ويتلطف لاستخلاص سره له و
استصفاء محله قبله ليرتفع الحشمة ويتاكد العصمة و

يستحكم

يستحكم الثقة ويعرفه بان تخييمه بعرصات خراسان انما هو
من اجل موالاته وحراسة اقطاره وولاياته فلما ورد بخارا اعرض
عما وجه فيه وعرضت الوزارة عليه لموافقة موردها خلو صدرها
ممن يستقل بامرها ويقوم بحق الكفاية والكفالة فيها فكان مثله

كما قيل

خلت الديار فسدت غير مسود ۞ ومن الشقاء تفردي بالسودد

فاشتغل بالوزارة عن السفارة واقبل على الامر بوجه المجد
المستبد يريد سكر ما انبثق عليه النهر وكتمان ما نم عليه الجهر
ولن يصلح العطار ما افسد الدهر ۞ وانشدني المضراب لنفسه فيه

وكنا نذم الدهر من غير حنكة ۞ بيوسفه والبلعمي وغيره
الى ان رمانا بالعفاري بعدهم ۞ وعاندنا في عبده وعزيره
وما نددها بابن عيسى وجوره ۞ وفي ابن ابي يد السفيه وسيره
فلم يرض بالمعدود فيهم فامنا ۞ بجل كسير في الورى عويره

فلما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الاراء وتخاذل
التدابير والاهواء واشراف الملك على الضياع بمداهنة النصحاء و

وإغنائهم صلاح أنفسهم في وجوه المقاصد والانحياز عن
إلى نيسابور على ما كان يليه من جماهير أوليائه ومواليه وحين
سمع بكتوزون بإقباله تزحزح عن نيسابور تصيّنًا إبقاءً على عدّته
وعتاده وإشفاقًا على عدد رجاله وأجناده وكتب إلى الأمير
أبي الحارث بفصوله عن مكانه أخذًا بالوثيقة ومحاماة على
الحقيقة واحتراسًا من غِرّة اللقاء قبل إحماء العزيمة والرأي
فحملته سكرة الحداثة ونزقة الصبى والغرارة وقلة النظر
في العواقب وعدم الحظ من التجارب على الإغذاذ إلى خراسان فيمن
أنهضه الإمكان بالمساعدة من وجوه خاصته وسائر حاشيته
وسار إلى سرخس كالسهم صادرًا عن وتره والسيل سائلًا إلى منحدره
فعلم الأمير سيف الدولة أن قصده إياه من نتائج التغرير وفائل
الرأي والتدبير ومهانة الناصح والمشير إذ لم يكن في مُنّة
القوم مقاواته على شدة بأسه وملاقاته على قوة مراسه
إذ لو قذفهم ببعض رجومه لغادرهم رمادًا تذروه العواصف
وتقتسمه الشمائل والجنائب لكنه رأى أن يُغضي جفن الاحترام

ويحمي سَنَن الاحتشام ويرعى سابق الحق والذمام فخالف طريقه
إلى مرو الروذ مُفرِجًا له عن نيسابور إلى أن يتمكن من ارتجاعهما
ببيّنة تشترك في معرفتها القاصية والدانية وحجة على مناويه
ومخالفيه يتصوّرها الحاضرة والبادية وعطف إلى قنطرة زاغول
فخيّم بها مراعيًا لما يسفر عنه التدبير وينكشف عن حقيقة الضمير
وبادر بكتوزون إلى مُناخ الأمير أبي الحارث وهناك فائق في قضّه
وقضيضه ولفّه ولفيفه فلما وصل إليه أنكر محلّه لديه لتقصيره
في حق مقدمه فجاء عليه وشكا إلى فائق ما أنكره فشكا هو إليه
فوق ما ذكره وتداولا بينهما ذكر معايبه وتقاولا خشونة جانبه
وحزونة أخلاقه وضرائبه وأغريا أهل العسكر بخلعه والتماس
الراحة في الاستبدال به فانخرطوا معهما في جرير المساعدة
حرصًا على لذة الاستطراف وإغنامًا لنزهة الاستضعاف
فاستحضره بكتوزون بعلة اجتماع العسكر لمهم احتيج إلى نظره
فيه وإشارته بوجه الصواب في تلافيه حتى إذا حضر حصره
ووكّل به من سمل بصره غيرآوٍ لفجيعته بطليعتي حياته

احسن ما كان رداء جمال وعمود اعتدال وطلعة هلال و
روعة عزة وجلال ولقد اجهش اليه عند الاستسلام
في حاج له ثلاث خفاف المؤنة عليه منها صيانة من بامت
عنه عن ذل المناظرة على مال المصادرة وكاية بخلاف
حاجته ونقيض مسألته الهابا لنار الحسرة في صدره ومضا
لثقل المحنة على ظهره فعل الموتور بما لا شوى له ولا بقيا معه
وعمد هو وفايق الى اخيه عبد الملك بن نوح وهو اصغر منه
سنا واضعف ركنا فاقاماه مقامه وسدا به مكانه وماج
الناس بعضهم في بعض للفتنة الشاغرة والاحوال المتنافرة و
ونذر الناس بالامير سيف الدولة انه خيم بقنطرة زاغول
فكروا على ادراجهم كاليعافير الراعية راعتها الفوارس واحاطت
بها الكلاب النواهس حتى اخذوا قرارهم بمرو وارسل الامير
سيف الدولة الى الكافلين بالتذبير يهجن لهما ما ارتكباه
في ولي النعمة من اذالة الحشمة واضاعة الحق والحرمة غير
ناظرين للدين ولا متحرجين للاسلام والمسلمين ولا متهيبين

للاحدوثة

للاحدوثة الشنعاء على السنة الذاكرين مدى دهر الداهرين
وامتدت المراجعة بينهم في الحادث الكارث وهما يتجلدان
عن انتهاز الفرصة فيهما واهتبال العزة منهما تطميعا له عن صاحبهما
في جديد الرعاية ومزيد الولاية وكلما هم بالاحجام على وجه الاحترام
طالبته سعادة الجد بالاقدام وحرضته على الانتقام للدين
والاسلام ثم رأى ان يزحف عن مناخه الى ظاهر مرو ليكون
لطافة الصلح وجاها او سفاهة السيف شفاها ولما تسامع
القوم باقباله دبت الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهل
في تفاريق اعضائهم واستطار الخوف في مزاج دمائهم ولما
سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فابى الله الا ان ينتقم منهم لسيف
الدولة جزاء من فعلهم الفظيع وخطبهم الشنيع وسعيهم
المذموم عند الجميع فصبه عليهم صب غزالي الغيث بنوء المرزمين
غير انه غيث قطره عيث وغيم حشوه ضيم وسحاب حمله
عذاب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه

اليهم شديد وبرز فايق وبكتوزون وابو القسم بن سيمجور
بملواجهم عبد الملك بن نوح وساير اهل العسكر الى ظاهر مرو
مقابلين بعسكر الامير سيف الدولة يعلنان جلادة ويسران
بلادة ويقدمان ظاهر العيون ويحجمان خيفة الحرب
الزبون قد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فجيوب الاقطار
عليهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة وبوارح
الادبار وجوايح الدمار من كل اوب اليهم محشورة وظل القوم
على علم بانهم يذمرون على الدمار ويتهافتون تهافت الفراش
في النار ويقتلون الابصار بسيوف الابصار كما قال الله تعالى
يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا
اولي الابصار وتردد السفراء بينهم وبين الامير سيف الدولة
في مواضعته على سلم يسلمون معها في العاجل من شدة باسه
ويفتدون بها من مرارة كاسه فاحسن الامير سيف الدولة
اجابتهم الى مواضعتهم على علمه باستبطانهما للختل والحيلة
واستشعارهما للغدر والخديعة الزاما للحجة وطمسا على الشبهة

واعذاراً

واعذاراً الى الكافة وبراءة من خطة البغي في دفع المكافة
فما كان الا ان قوضت للرحيل خيامه ونشرت للقفول
اعلامه حتى ثاروا باش القوم على اثره لانتهاب عسكره
يظنون بانفسهم الظنون وانما يتعجلون المنون ويدوسون
اذناب الاراقم لو كانوا يشعرون ولما راى الامير سيف الدولة
ركوبهم مقطعة الضلال واقتحامهم مسبعة الآجال معلقين
خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع الكاذب لا يثنيهم علماؤهم
عن التسفه والتخبط ولا يحجبهم كبراؤهم عن التهور والتورط
علم ان ذلك امر براد وداء خلطه البغي والعناد وايقن ان
سرهم بالفساد مغمود وان السفيه اذا لم ينه مامور وامر
بالثائرين فجاش اليهم من حواشي الجيوش من طفقوهم بالهض
والرض واضجعوهم الا من شاء الله على صعيد من الارض
واستخار الله وحده في الكر على بغاة السوء محاكما اياهم
الى البيض القواطع ومدليا ببينات الرماح الشوارع ومستجلا
على الانتصاف منهم بشهادات النسور والخوامع واقبل فرتب

الجيوش قلبا كثهلان وميمنة كرضوى وميسرة كابان وحضن
المصاف بزهاء مائتين من فيلة كرعن الجبال او دكن السحاب
الثقال مغشاة بتجافيف لم يعور منها غير حدق النواظر و
حدائد الانياب الفواقر يهول ساستها عليها بزهفات كالبروق
الخواطف وصفارات كالرعود القواصف وقد نشرت عليها
التماثيل السود كانما الاساود والاسود يخيل اضطراب الرياح
بها انما تزحف للالتهام او تنفض لاختطاف الهام وتعالت
عليها اطراف العوامل فكانما آجام السواحل وبها شياطين
الانس فرسانا وعفاريت الترك والهند مردا وشبانا تبعق
عليهم سابغات داود كصفائح الماء يجلوها الشمس سافرة
وتزهاها الشمال سائرة قد جعلوا الدروع وقاية للاجسام
فظاهروا عليها بالقلوب حرصا على الانتقام ثم يانسون بمباشرة
القتال ومشاورة الاقتال واستثارة المنايا عن مرابض الآجال
وانس العيون باناسيها الباصرة والقلوب بامانيها الحاضرة
ووقف الامير سيف الدولة في القلب بنفسه واخويه نصر واسمعيل

ابني

ابني ناصر الدين سبكتكين وعمه بغراجق فكانما عناه ابو فراس

علونا دوسنا باشد منه ۔ واثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ۔ ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر ۔ تخاطبنا بافواه الرياح
واروع جيشه ليل بهيم ۔ وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته ولكن ۔ قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا ۔ وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيئة وافرة وهيبة حاضرة
فكادت الارض تمور والجبال تسور والنهار الباهر يحول الفلك
الدائر يزل او يزول ونذر القوم باقدامه واقبال الويته واعلامه
فقامت عليهم القيامة واستقامت فيهم الحسرة والندامة واقبل
بعضهم على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه من الامر الامر وخلفوه
من الصلح الاد وحفزهم حافز الضرورة عن المشورة ففزعوا
الى الاحتشاد وبعثوا بالركوب الى القواد والافراد وبرزوا من
خذلان المدينة في ثواب واضباع يوم الزينة وهم اكثر ما كانوا

قط في معركة لحشرهم من أطراف خراسان وما وراء النهر
كل فارس وراجل وحامل عضب أو عاسل سوى من استتبعتهم
تلك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل
وأقاموا الصفوف على الموازاة قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمندفع
السيل وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل وماج الفريقان
بعضهم في بعض كالجراد المنتشر ضربا يزيل الرؤوس عن العواتق
ويبين الزنود عن المرافق وطعنا يهتك ودائع الصدور
ويرد مشارع الغموم والسرور ورشقا يصيب سواكل الأبصار
ويطلب وراء الفقار مضجع القرار واشتدت الحرب حتى
تقلصت الشفاه وتغضنت الجباه وتقطعت الأنفاس وتحسرت
الفرسان والأفراس واغبرت الآفاق واحمرت الحمالق والأحداق
وخاض الأمير سيف الدولة غمرة الحرب يختطف بالأوهاق
مطالع الأعناق ويختطف بالأرماح ودائع الأرواح ويقيض
بالأسياف مجامع الأكتاف حتى رويت الأرض من نزال الحلوق
وغرقت الحوامي في نواعر العروق ودامت على حالها في الاحتدام

والاضطرام والافتراس بأنياب الحمام من حين انشقت الشمس
إكليله على الجبل إلى أن نفضت ورسا على الأصل فاضطرب
القوم ضجة من حز المناصل وضيقا بوخز العوالي العوامل
وتداعوا الحملة تكشف عنهم غمة القتال بفيصل الأدبار والأقبال
فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون وراء ذلك ظنونا
ويخطبون من بنات الأماني أبكارا وعونا وأبى الله إلا أن
يعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما أسسوه حين ركبوا
من ولي النعمة ما ركبوه إخفارا للذمة وإنكارا للحرمة و
إذالة لحشمته وإضاعة لحق نعمته وألهم الأمير سيف الدولة
أن يزحف إليهم بسواد موقفه فلم يكن إلا صدمة واحدة حتى زلت
الأقدام عن مقارها وتهاوت الرقاب عن مزارها وعلت سنابك
أشخاص الألوية والمطارد وتبرد النفوس عن ضرب السيوف
البوارد واستمرت الهزيمة بالظلمة عند اعتكار الظلام فطاروا
بين الأقطار كل مطار وسفت بهم سافية الدمار والإدبار فلم
يلق منهم بعدها اثنان عند تنازل الأقران وتناوب الضراب

والطعان ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين
وجفل عبد الملك بن نوح الى بخارا ومعه فايق في اتباعه
وانتبذ بكتوزون الى نيسابور في اشياعه وابو القسم بن سيمجور
الى قهستان وقد صاروا حزق مزق وعادوا اشذ مذر
واصبح سيف الدولة قد انجز الله له وعده ونصر جنده
واسعد على رغم الراغمين جده واعلى يده واورى زنده
وساق اليه هدى الملك على غير مهر سوى الشكر ولا صداق
سوى الاستحقاق وورث دولة آل سامان وملك ديار
خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى ان يعجل بكتوزون
وابا القسم السيمجوري عن التجمع ثانيا والتحدث بالالتقاء
آنفا فانحدر الى طوس في البحر الاخضر من رجاله وافياله
وطار بكتوزون بجناح الهرب الى حدود جرجان وقفى سيف
الدولة اثره بارسلان الجاذب فجعل يطرده طرد الشهب
اشخاص العفاريت حتى نفاه من تخوم جرجان وولاه السلطان
سيف الدولة ناحية طوس ورتبه فيمن ضم اليه من قواده و

سار الى هراة مطالعا لاعمالها ومجددا للعهد باحوالها فلم ينشب
بكتوزون حين سمع بانثناء عنانه عنهما ان كر الى نيسابور فملكها
ثانيا يرى انه يناضل عن دولة قد حم حمامها وانقضت ايامها
وناحت عليها اصداؤها وهامها فلم يزد الى ان جشم السلطان
كلفة الكر عليه قبل ان اطمأنت به تعديته او حقت على طرفه
لبدته فجفل بكتوزون عن نيسابور على سمت ابيورد وشد
السلطان عليه الطلب فركب المفازة الى مرو مستبقيا بالوحاء
على الحيوة ومستظهرا بالنجاء على النجاة وخلص الى مرو فيمن
اعانتهم فراهة المراكب وقوة الصبر على وعثاء تلك المهارب
ورام ان يملكها ويحتجز بها فمانعه اهلها موالاة للسلطان
وشكرا لما وسعهم من العدل والاحسان فشن عليهم غارة
شعواء وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب مفازة آموية
حتى عبر النهر الى بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون واصحابه
سرب السلطان ارسلان الجاذب والى طوس الى قهستان
لنفضها عن ابي القسم بن سيمجور اذ كان يظن الظنون في تدبيره

ويطمع في الارتياش عن تخسيره بواقعة بها وطرده الى
نواحي طبس عمينا وولى السلطان اخاه الامير نصر بن
ناصر الدين سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان ورتبه
بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور على قديم الزمان
وامتد الى بلخ مستقر ابيه ناصر الدين فاتخذها حضرة
الملك ودار السلام ولما انتهى السلطان الى بعض حدود
مرو الروذ عند منصرفه اليها ركب على رسم التصيد في
خف من العدد ومعه اخوه اسمعيل بن ناصر الدين و
قائد من قواد ابيه يعرف بنوشتكين كاج وقد وتره
احساسه مآل امره على يده لا غير اذ كان كاحد رفقائه
في الانبات والاطلاق والاحسان والارفاق فبينا السلطان
في هزة الاقتناص اذ حانت منه التفاتة فاذا به قابضا
على قبيعة سيفه يروم انتضاءه وقد رمى وجه اخيه
اسمعيل بطرفه يطلب ايماءه ولاح للسلطان انكار اسمعيل
عليه بدلائل رمزه وايماضه وشواهد ارتياعه وامتعاضه

ان

102

ان استشارته اياه فيما جناه قد فرشت له بساط التهمة
وجرحت منه جارحة الثقة وبادر السلطان الى مضربه
وقد امر بالاحتياط عليه في وقته وحكم فيه خواص غلمانه
فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه وتناثرت عليه اوصاله
واجزاؤه ثم دعا باسمعيل فادلى بعذره وجحد العلم بما انداه
الخائن الجائن من خائنة سره وعذره وجرت مفاوضات
ومراسلات اقتضاه آخرها ان يستوثق منه لنفسه وملكه اذ
كان لا يلتقي سيفان في غمد ولا يجتمع فحلان في شول وبلغني
ان السلطان بعد استنزاله اياه من القلعة بغزنة بسط
منه في بعض مجالس انسه وباحثه بلسان الاستدراج عند
حث السقاة عما كان وراء عزمه من معاملته اياه ان لو
ملك من امره ما ملكه هو منه فحملته سلامة صدره و
نشوة خمره على ان قال كان رائي فيك ان اوعزبك الى بعض
القلاع موسعا عليك فيما تقترحه من دار وغلة وجوار و
رزق على قدر الكفاية دار فلما ارتاب السلطان عند الحادثة

به عامله بعين ما نواه وقابله بجنس ما ابداه واستودعه والي
الجورجان ابا الحارث ممكنا ما يشتهيه ممتعا بمثل ما كان بنويه
فيه فلله هذا الفعال الذي طرز ديباجة الكرم وغبّر في وجه
مساعي ملوك الامم وقد يستغرب هذا الاسجاح من وجه و
ان كان لا يستبدع من آخر لان هناك عاطفة القربى والرحم
ولكن الشان في الاجانب الذين تعلّق رقابهم الاجرام الفادحة
والجنايات الفاحشة كيف يسلط فيهم رايه على هواه ويستبقي الجاني
بما جناه فلم يسمع باعفّ منه في الجنايات سيفا ولا احسن على
فورة الزلات صبرا واخبج لهذه الخصلة الفاضلة بان الملك
الحازم من يسلب الجاني في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه
او بمثله عند رضاه وجرح المال يوسي بالتعويض والاخلاف
فاما النفوس فليس لاتلافها من تلاف

ذكر الخلع التي افاضها القادر بالله امير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وامين الملة انار الله برهانه

اوجب القادر بالله امير المؤمنين خلعا لم يسمع بمثلها محمولة من

دار الخلافة ولقبه في كتابه بيمين الدولة وامين الملة وولي
امير المؤمنين لقبا كان مصونا في صدف الشرف لم ينله قط
ايدي الغاصة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في الالقاب
فتبوأ سرير الملك واجتاب خلعة المجد واذاع شعار الطاعة
لامير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وقام بين يديه
امراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة وملتزمين حكم
الهيبة واجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس وامر لكل
منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه اوليائه وحاشيته
سحابة يومه من روائع الخلع والصلات ونفائس الاخبية
والكرامات بما لم يتسع بمثله ملك ملك ولم يف ببعضه ضمير
امير واستجابت خراسان لامره وقرعت منابرها بذكره
واتسقت الامور عن آخرها في كنف ايالته واستوسقت
الاعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزوة
بالهند ينصر بها الدين ويقمع اعداء الله الملحدين وكتب الله
له اجره واحسن نصره كذلك قال الله تعالى في محكم كتابه يا ايها الذين

آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ۝

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح الى بخارا

ولما وصل عبد الملك بن نوح الى بخارا في الفل ومعه فاتق
وتلاحق به بكتوزون في اصحابه واولياء عبد الملك في مضامته
طمعوا آنفا في الاستقلال وتكمنوا لانفسهم بطالع الاقبال
وتحدثوا بالاحتشاد لانف القتال واخترم من بينهم فائق
في شعبان سنة تسع وثمانين وثلثمائة وهو وجه الرزمة
وطراز الحلة وعمدة الجملة والملقب بعميد الدولة تمكن الانخزال
في صدورهم وسرى الانخذال في امورهم وانحدر ايلك الخان
الى باب بخارا يظهر لعبد الملك وسائر اجناده وانجاده موالاة
خداع واحتيال ومما لاة استدراج واغتيال وهم يظنون
استظهارا به على ما عراهم واحتياطا لما يستدعيهم مغرورين
عن واجب الاستبصار والاحتراس عن حبائل الاوتار حتى
آنسهم بلطائف بره واقباله واطمعهم بزخارف اقواله و
افعاله وركب اليه بكتوزون وانال لتكين الفائقي وسائر قواد

عبد الملك صباح يوم فلما اطمأن بهم المجلس امر باعتقالهم
والقبض على اصحابهم ودوابهم واستلاب اسلحتهم واسبابهم
فلم ينج منهم الا الفارد الشارد والنادر المبادر وبلغ الخبر
عبد الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة فلم يجد غير
الاستخفاء حيلة ودخل ايلك بخارا يوم الثلاثاء العاشر من
ذي القعدة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار الامارة
وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرغب والرهب حتى ظفر به
فحمله الى اوزكند فمات بها وطفئت بقية الشعلة من دولة
آل سامان بما وراء النهر واطراف خراسان فصارت كان لم
تغن بالامس كداب الدول الماضية في القرون الخالية ان
في ذلك لآية لقوم يتفكرون

ذكر خروج ابي ابراهيم اسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين ايلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الامير ابي المظفر نصر ناصر الدين بخراسان

كان سبب خروجه انه لما تمكن ايلك الخان من بخارا قبض على

ابي الحارث المكحول وعبد الملك وابي ابرهيم المنتصر وابي يعقوب بني
نوح بن منصور الرضي وعلى اعمامهم ابي زكرياء وابي سليمان
وابي صالح الغازي وغيرهم من الارومة السامانية وامر
باعتقالهم ووسم افراد الاخوة منهم في حجرة على حدة
احتياطا لنفسه بتفريق ذات بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل
واختلاق الاراجيف وارتقاب الفرص واحتال المنتصر
ابو ابرهيم للتملص من معتقله في زي جارية كانت تتناوبهم
لمطالعة احوالهم ومراعاة اوقات اقواتهم فكانت حاله في
الخلاص موافقة لحال الكميت حين استشعر ثياب ظلّته
وانسل عن عمد الاعتقال بمهجته ثم انشا يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ❊ على الرغم من تلك النوابح والمشلي
على ثياب الغانيات وتحتها ❊ صريمة راي اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا
الى ان يئس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب
بل الشهاب الثاقب متجردا للانتصار مستعينا بالله تعالى على

استغنى

درك الثار وتلاحق به من ندّ وعار وانجد وغار من بقايا
القواد السامانية واجنادها في اطراف خراسان حتى اجتمع
شمله وكثف خيله ورجله وركض ارسلان بالو الحاجب
الى بخارا فبيّت الخانية بها تحت الملاحف والنمارق و
شغلهم بحقائب الشبوب البوارق عن مجاز الاحلام الطوارق
وقبض على جعفر تكين وعلى سبعة عشر نفسا من اعيان القواد
الخانية وحملهم في وثاق الاسر الى الجرجانية وافلت الباقون
بجريعة الاذقان نحو ايلك الخان فركب ارسلان بالو اكتافهم
يحثهم حث الشمال قزع الخريف وطرحهم الى سمرقند وما يليها
مقتفيا آثارهم وكاسعا ادبارهم ووافقه بقنطرة كوهك
تكين خان في عسكر جرار نائبا عن ايلك الخان في حراسة سمرقند
وما يليها فانتدب لمناجزته واستعان بالقل وسائر الاجناد
على مبارزته فنصب ارسلان له وجها وقفا واضرم عليه
الارض كفاحا فولاه ظهر الادبار واتقاه بعودة الفرار وغنم
ارسلان ومن معه اموالهم ودموا بتلك الانفال احوالهم

وعاد ابو ابراهيم المنتصر عند ذلك الى بخارا فاستبشر اهلها
بمعاده على مراده وبلغ ايلك خبره فجمع احابيش الترك و
صمد صمده في العدد الدثر فكر ارسلان بالو راجعا الى
المنتصر واقتضاه الاحتياط عند ذلك العبور الى امل الشط
فوافاها وجباها فضاقت به وبعسكره فركب المفازة
على سمت ابيورد فملكها وسار عنها قاصدا قصد نيسابور
وبها صاحب الجيش نصر بن ناصر الدين والتقيا على فضاء بين
بغاخي وبشجه قريتين على اربع فراسخ من نيسابور وذلك
يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاول سنة احدى
وتسعين وثلثمائة ودارت عليهم رحا الحرب يفصلون
بالبيض البوارق ما بين الطلى والعواتق ويضربون مفارق
الهام ضرب القدار نقيعة القدام ولما اشتدت وطاة
الحرب على صحبها ومرت كاسها على شربها وتكاثفت جموع
ابي ابرهيم المنتصر على اصحاب صاحب الجيش ابي المظفر اقتضاهم
الاحتياط ان يتحيزوا الى جانب هراة انتظارا للمدد واستشرافا

لمأمول

لمأمول صنع الله في الغد فحثوا ظهور الخيل بين ذيول الليل
حتى ثابت عليهم لمته بين حدود البوزجان وتمكن المنتصر
من نيسابور وانضم اليه من شذاذ العسكر الجمع الكثير والجم
الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره
فاستركب خيله من غير ان يتربص بنهاره ليله وسار
سير الخبب يطوي الارض كطي السجل للكتب حتى انقض
على نيسابور انقضاض بني الهواء على بنات الماء ولما تسامع
المنتصر باقباله انحدر الى اسفراين في عامة رجاله وبث
اصحابه في الرساتيق بجباية اموالها وازاحة اطماع حشمه
بها فازعجه الطلب للحاق بشمس المعالي قابوس بن وشمكير
مستصرخا اياه ومؤملا غوثه وجدواه فتلقاه بكل
ما تمناه ومهد له ذراه واعطاه حتى ارضاه وكان مما
امر بحمله اليه صفقة واحدة عشر دواب بمراكب الذهب
وثلثون بمراكب الفضة وثلثون من العتاق الجياد بالبراقع
والجلال وعشرون بغلة بمراكب الذهب والفضة وثلثون

بمراكب الخيل للدواب

اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة احمالا واثقالا من
البسط النادرة والفرش الفاخرة ومن حصر طبرستان و
سائر الطرائف المجموعة في الخزائن واضيف الى ذلك الف
الف درهم وثلثون الف دينار ومائة وخمسون تختا من
الديابيج التسترية والسقلاطونيات العضدية والحلل الفخرية
والخزوز الطاقية وسائر الثياب المصرية وامر لاهل عسكره
بعشرينيات معونة لهم على عوارض حاجاتهم واشار على المنتصر
بقصد الري اذ كانت معرضة لقصادها بتخاذل اهوائها و
تواكل اوليائها واستجار الفتن والاحن بين الزائدين عن
فنائها على ان يمده بولديه دارا ومنوجهر في جيوش الجبل
والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر باستخلاص تلك
الولاية وليكون ما ينويه من معاودة خراسان عن ظهر
الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة وسار حتى خيم
بظاهر الري فاحس اهلها منه بام الربيق على ادنى وقاحة
الري فلاذ كبدها فاناخوا قبالة المنتصر ودس الكفلاء بتلك

الدولة

الدولة الى ارسلان بالو وابي القسم بن سيمجور وغيرهما من اولياء
المنتصر من اطمعهم في مال يحمل اليهم سرا على ان يثنوا عنهم عنان
المنتصر بوجه من وجوه اللطائف والحيل فانخدعوا التسويلهم
وطمعوا في تأميلهم وتنصحوا للمنتصر بان قدر مثلك ممن يجله
ملوك الشرق على جلالة اقدارهم ونفاسة اخطارهم ليجل عن
مناواة قوم يدعون فيك قرابة ويفترضون لك طاعة ومهابة
موالاة لمن يجر النار الى قرصه بالتعويل عليك ومغزاه ان يحترش
الافعى بيديك فله الغنم ان قدرت وعليك الغرم ان عجزت
فلفتوا المنتصر عن رايه ورشوا له الملك بخراسان من ورائه فان صرفوا
من باب الري يريد دامغان وانفرد ولدا شمس المعالي عنه عائدين
الى جرجان فخنس نجم ذلك التدبير وانحل عقد ذلك التقدير
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
وامتد المنتصر طلقا الى نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر
فاشفق من زلة القدم كالتي حدثت قبل فاحتاط بالانحياز
الى بوزجان ودخل المنتصر نيسابور في اواخر شوال سنة احدى و

تسعين وثلثمائة وبث عماله في جباية الأموال ومطالبة
من ظفر من العمال واستمد صاحب الجيش السلطان يمين الدولة
وأمين الملة فرسم للحاجب الكبير ألتونتاش والي هراة البدار
إليه في معظم الجنود من شجعان الترك وسرعان الهنود حتى إذا
استظهر بذوي الغناء في حرة الهيجاء كر عائدًا إلى نيسابور
وتلقاهم المنتصر بأرسلان بالو وأبي نصر بن محمود وأبي القسم
بن سيمجور فالتقوا على حرب تحطمت فيها الصفاح المشهورة
وتقصدت الرماح المطرورة وعريت عندها الكواكب
المستورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على أدبارهم
نفورًا وكان أمر الله قدرًا مقدورًا ودخل صاحب الجيش أبو المظفر
نصر بن ناصر الدين نيسابور وقد زينت له كالهدي على زوجها
الكفي وأقيمت له النثارات كما تتهاوى النجوم السائرة و
تتهادى الثلوج المتطايرة وركب المنتصر سمت أبيورد والطلب
على أثره حتى وصل إلى جرجان ولما تسامع الأمير شمس المعالي
قابوس بن وشمكير بنبائه رماه بزهاء ألفين من أنجاد الأكراد

فالجاؤه

فالجاؤه إلى الارتحال وآيسوه من طلب المحال فكر على أدراجه تائهًا
في الغي وإنما ترك الرأي بظاهر الري وقد كان المنتصر يحقد على
أرسلان بالو لتسحبه عليه واستطالته في المطالب بين يديه
ومنازعته الرأي في ما ينحوه ومراجعته القول في كل ما يفوه به
فوه وانضاف إلى ذلك اتهامه إياه بالتخاذل في الحرب التي
انهزم فيها عن وجه صاحب الجيش أبي المظفر لنفاسته على
أبي القسم السيمجوري مكانته من اختصاصه وإيثاره وغيرته
على الشركة الواقعة به في محله ومقداره فحمله ما احتساه من
ماء الكرم على التشفي بإراقة دمه والاستراحة إلى انتهاك
روحه ففتك به فتكة أنست فتكات الإسلام وشفت نفسه
من الداء العقام وتجمع أهل عسكره لإنكار ما فعل وأتى لهم
وقد سبق السيف العذل وقام أبو القسم بن سيمجور مصانعًا
لهم عن المنتصر بلسان المعتذر حتى خمد التهابهم وسكن
هيجهم واضطرابهم وتوامروا بينهم على قصد سرخس لاستظهار
بزعيم أهلها المعروف كان أبوه بالفقيه إذ كان قد رغب المنتصر

في إرفاده وإنجاده وإيثاره بعدّته وعتاده فركبوا المسافة إليها على طريق أبيورد حتى وردوها وجبوا مالها وارتاشوا بما سمح لهم الزعيم بها وحين علم صاحب الجيش بنصر بإجماعهم على مضغ الأباطيل بينهم دلف إليهم في سراة الكماة لطردهم عن شريعة الطمع وإزعاجهم عن حضانة الأمل ووصل السير بالسرى حتى أشرف على سرخس في الهيئة المنشورة والهيبة الموفورة وبرز المنتصر إلى ظاهرها فخيّم بإزائه واستعدّ للقائه وتجايشا للقتال فاستكّ سمع الهواء من قرع الحديد بالحديد ورويت صدور المواضي من موارد الوريد وبلغ كلٌّ من الفريقين غاية الإمكان في منازلة الأقران ومناوشة الضراب والطعان محاجشة عن خيوط الرقاب وتفاديًا من سوء الذكر على تناسخ الأحقاب غير أن قضاء الله أغلب وأمره أنفذ ولله الحكم في تبديل الأبدال وتصريف الأحوال ونقل الأملاك من والٍ إلى والٍ وهبّت لصاحب الجيش أبي المظفر قبول الإقبال فتمزّق مصفّ المنتصر عن هزيمة عوابس الوجوه و

وجرحى بأنياب المكروه ولم ينشب صاحب الجيش أن أتاه بعض العرب بأبي القسم علي بن محمد في قلادة من الوهق على بقية من الرمق وأردف بتوزتاش الحاجب وانضمّت حبالة الأسر على معظم ذلك العسكر فحملوا إلى غزنة في الأصفاد مقرّنين وسار المنتصر سير المضطر لا يدري وزرًا غير اعتساف المسالك وارتكاب المهالك على جملة لا يتميّز فيها المملوك من المالك وقفل صاحب الجيش أبو المظفر وقد أعلى الله كعبه ورفع قدره وأطعمه نصره وأطار بين الخافقين ذكره وأنشدني أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي لنفسه فيه يذكر ما أتيح له في هذا الفتح الرائع منظره الشائع في الآفاق خبره

تبلّجت الأيام عن غرّة الدهر ۔ وحلّت بأهل البغي قاصمة الظهر
وولّى بنو الإدبار أدبارهم وقد ۔ تحكّم فيهم صاحب الجيش بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلًا ۔ إلى الملك المنصور سيّدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره ۔ ومن هو بالعلياء أولى أولي الأمر
فيا لك من فتح غدا زينة العلى ۔ وواسطة الدنيا وفائدة العصر

أبى الله الا نصر نصر ورفعه ∴ على قمة العيوق أو هامة البدر
وملكه صدر السريرين كأنه ∴ لنا فلك بالخير أو صدفة تجري
وحق له دون الملوك محاسنا ∴ تبرّ على الشمس المنيرة والقطر
إذا ذكرت فاح الندى بذكرها ∴ كما فاح أذكى الند في وهج الجمر
فتى السن كهل الحلم والرأي والحجى ∴ يعم بني الآمال بالنائل الغمر
له همة لما حسبت علوها ∴ حسبت الثريا في الثرى أبدا تسري
غدا راعيا للمسلمين وناصرا ∴ له الله راع قد تكفل بالنصر
ألا أيها الملك الذي ترك العدى ∴ عبابيد بين القتل والكسر والأسر
تقدمت قدوم الغيث أيمن مقدم ∴ فجليت وجه الدهر بالحسن والبشر
ألست ترى كتب الربيع ورسله ∴ يقولون هذاك الربيع على الإثر
نسيم نسيب للحياة بلطفه ∴ يجر فويق الأرض أذياله العطر
وترب بأنفاس الربيع معنبر ∴ فيا لك من طيب ويا لك من نشر
وغيم يحاكي راحتيك كأنه ∴ على المسك والكافور يهطل بالخمر
فروح بشرب الراح روحك إنما ∴ لفي تعب من وقعة البيض والسمر
ودم لاقتناء الملك في أكمل المنى ∴ وفي رفع العليا وفي طول العمر

وانشدني

115

وانشدني أبو سعد بن دوست لنفسه فيه
للأمير المظفر العالم العا ∴ دل فينا أبي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء ∴ في وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو رامها بختنصر ∴ يوم فخر أعيت على بختنصر
فبه نقطع الخطوب ونفري ∴ وبه ندفع الكروب ونفري

وانتبذ الركض بالمنتصر الى محال الأتراك الغزية ولهم صغو الى الدولة السامانية فأخذتهم المذمة من خذلانه وحركتهم الحمية لعونه على شانه وتذاكروا بينهم شرف آل سامان وما تعرفوه قديما من بركات ذلك البيت القديم والكرم العميم وسار مصعدا حتى لحق بايلك الخان وذلك في شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعندها دلف ايلك للانتصار من المنتصر في جيوش الترك يستعر في طلب الثار استعار النار حتى أناخ بجنود سمرقند وتنادر الغزية باقدامه وتوامروا بينهم على بياته فتجمعوا للركض عليه فحثو الخيل تحت الليل حثا كاد لا تنتقش الأرض بوطئ أقدامها ولا تشعر النجوم باشخاص

عبارة عن الرعة

ألويتها وأعلامها حتى أوقعوا به وانتهبوا أجل سواده وقبضوا
على جلة قواده وانقلبوا بما غنموه إلى أوطانهم عند حصول البغية
فاستأثروا على المنتصر بالأسرى طمعاً في الفدية ثم بلغ المنتصر
تنازعهم الأمر بينهم في موالاتهم أيلك عليه وإفراجهم عن الأسرى
تقرباً إليه فرابه ذلك من أمرهم ريبة لم تأخذه الأرض معها
بقرار ولم تكتحل عينه بغرار فاختار من جريدته قرابة سبع
مائة رجل ركباناً ورجالاً خفافاً وثقالاً وطاف على المعابر
فإذا النهر جامد وأمل الشط في البعد آمد ففرشوا النهر
بأثبان الأرز حتى أمكنهم العبور وتبعه الطلب فمنعهم خطر المعبر
من قصد المنتصر وأرسل هو عند قراره بآمل رسولاً إلى السلطان
يمين الدولة وأمين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واشتداد
الأمر في انثيال العداة إليه وأنه له بحيث يرتبه فيه
طاعة له وإخلاصاً في هواه وأظهر الانقطاع إلى كنف قبوله
وإسباله والافتقار إلى معونته بماله ورجاله وامتد من آمل
الشط إلى سواد مرو احترازاً من معرة الترك في العبور على الأطواف

والفلك

111

والفلك وأرسل إلى أبي جعفر المعروف بخواهرزاده وكان أبوه
رجلاً من جملة الرعاع رفعه الزمان في دولة آل سامان يستميحه
المعونة بما يفضل عن سعة يده من مال أو سلاح فرد الرسول
على غير وجه الحرية والارتياح بحكم الإنسانية ولم يرض بالرد
حتى خرج إليه مقاتلاً وبالجفاء مقابلاً فحمل أصحاب المنتصر عليه
حملة فرقت جمعه جملة وتسدى مسافة أبيورد حتى وافاها في
شهور سنة أربع وتسعين وثلثمائة وأوجب السلطان إكرام رسوله
وتحقيق مأموله وصلة بصدر من المال يجبر خلته وخاطب ابن
خواهرزاده بخدمته وتقمّن مرضاته وترك الانحراف عن مراده
فاضطره الأمر إلى طاعته حين ساغت سبة البخل عليه واستطارت
شادخة اللوم بخديه وقد كان أبو نصر بن أحمد الحاجب لما
تسامع بقدوم راية المنتصر مالأه على صاحبه وأظهر الانقطاع
إلى جانبه وأقام له الخطبة بنسا مظهراً طاعته ومستنفداً
في نصرته جهده واستطاعته ولما أحس أهل نسا برأي أبي نصر
في اتباع راية الخلاف أشفقوا على أنفسهم من عاقبة الإتمام بموالاته

أبو نصر

والاشتراك في جناياته فكاتبوا خوارزمشاه مستمدين عليه فانهض
ابو الفضل الحاجب احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره وكفاية امره ومال ابن محمود الى المنتصر فتضافرت العدة وتوافرت العدة وصدر الى خبوشان من رستاق استوا فناهضهم ابو الفضل في رجال خوارزمشاه فاتفق التقاؤهم في الحرب ليلا بمرأى من النجوم الشوابك حيث لا يدري الضارب مضروبه ولا يبصر الراكب مركوبه واختلط الفارس بالراجل والنابس باليابس وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل وتطاعنوا اسلكى ومخلوجة كرك لامين على نابل وتصدع شمل الفريقين قبل ان صافح الليل صباحه ونفض النجم على الغرب وشاحه فلم يشعر احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام حتى استفاض ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة ابي العباس تاش الى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد بين اقطار المهامه والبيد ووقع المنتصر الى سفراين فمانعه اهلها حذر المحنة وخيفة الهرج والفتنة فانثنى على ادراجه في شرذمة من اصحابه

يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود سرخس فاقام هناك ريثما تلاحق به الفل وسار حتى عبر النهر من ساحل قطنان وبرز شحنة بخارا في طلبه وسدوا عليه وجوه مهربه فركب عزيمة الرجال في بيات القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبابيس والحراب واغمادا للسيوف في قراب الرقاب فجد المنتصر في الامر واشتد وتجابر اسه ولم يكد وصار القوم الى دبوسية من السغد مستنجدين من بها من العمال وتفارق الرجال ووقع المنتصر الى ثغر النور من بخارا وركض عليهم منها ركضة اقتسمتهم بين اجتياح واحتناك واصطلام واجتثاث ومالاه المعروف بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند فاتاه في ثلاثة آلاف رجل وتقرب اليه مشايخ اهلها بثلثمائة غلمة على سبيل بر وخدمة ووصلوا بها كرامات تضاهيها وشارات تدل على اخلاصهم فيها وتوافى اليه الغزية فاشتعلت جذوته وتراجعت قوته ولما سمع ايلك الخان باحتداد شوكته واشتداد وطأته زحف اليه في اخلاس الذكور من ديارات الترك واشتبكت

الحرب بينهم بقرية بورنمذ من حدود سمرقند حتى نفدت
النبال وتكسرت النصال وتحطمت السمر الطوال وخان الخان
مقامه وانفض عنه أقوامه فاستقفاه الغزية في طلاب
الأسلاب حتى بردت أيديهم بالسبايا والنهاب والغنائم الرغاب
وذلك في شعبان سنة أربع وتسعين وثلثمائة وعاود الخان
أرض الترك فضم النشر ونادى فحشر ثم كر على ثاره وبث على
المنتصر شرر ناره ووافق إقباله تراجع الغزية إلى أوطانهم
بما نهبوه على عادتهم في كل ما غنموه واستأنف الحرب على فضاء
بين فرنبي دزك وخاوس من سروشنة فاستأمن المعروف
كان بأبي الحسن بن طاق إلى الخان في زهاء خمسة آلاف رجل من
رفقائه عند اتقاد جمرة المصاع واشتداد زفرات القراع
فاضطر المنتصر إلى الانهزام وحكم الخان في أهل عسكره سيوف
الانتقام حتى رويت الأرض من دمائهم وشبعت النسور من
أشلائهم وسار المنتصر إلى شط جيحون فعبر على الجمد لعدم السفائن
وخلو المعابر ومضى إلى أندخوذ من أرض الجوزجان محترسا من

ركضة

ركضة الخان وأمر باستياق الدواب الراعية بها واقتسامها
بين أهل جملته وركب المفازة إلى قنطرة زاغول ولما بلغ السلطان
يمين الدولة وأمين الملة خبره أسرع الانحدار إلى بلخ لإعجاله
عن تفاقم أمره واستفحاله وأتبعه بفريغون بن محمد في أربعين
قائدا من قواده لطرد سواده وحصد فساده فأعجزهم المنتصر
وسار إلى الجنابذ من قهستان ضرورة إذ كانت جيوب الآفاق
عليه مزرورة فحيث أم شهرت عليه السيوف وأنى أم أخذت
به الحتوف ودلف إليه صاحب الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين
في طغانجق وإلى سرخس وأرسلان الجاذب وإلى طوس يحثون
الظهور في الطلب وينتزفون علالتها بين الركض والخبب ففاتهم
إلى جومند ومنها إلى بسطام فرماه شمس المعالي قابوس بن وشمكير
بزهاء ألفين من الأكراد الشاهجانية فأزعجوه عنها إلى بيار راجعا
باللوم على من لقنه الانحدار ولما ضاقت عليه المذاهب وأحاطت
به المعاطب بادر إلى كورة نسا يبادر من لا يمكث بدار ولا يوطن
الأرض جنب قرار وتلقاه ابن سرخك الساماني بكتاب يزين له

الانتقال اليه لمضامته على ايلك الخان موازرة ومواراة
ومطابقة للخان عليه ومواطاة فنازعته نفسه تقديم
اجابته طمعا في وفائه وتأميلا لعونه على ذمامه فركب الاخطار
وسار حتى اذا بلغ بيرجماد من مفازة آمل سبقه خيله الى
الشط فوافق ذلك جنود جيحون فاغتنموا مفارقته خلاصا مما
منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار ووصل سهر
الليل بداب النهار وتشاوروا في العبور الى سليمان الحاجب وصاحبي
حاجبي ايلك الخان فعبروا اليهما وعرفوهما ان الساماني بالقرب
وان المحن قد طحطحته والحوادث قد طحنته فهو خلسة الخاطف
ونهزة الطالب وطعمة الانياب والمخالب فلم يشعر ابو ابراهيم
المنتصر الا بالخيل مطلة عليه وطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر
الفرار وقبض على اخويه وخاصتيهما برباط بشرى وحملوا الى
اوزكند اسرى واحل المنتصر هربه حلة ابن بهيج الاعرابي
من جملة العرب السيارة في تلك المفازة ليقضي الله امرا كان
مفعولا وكان المعروف بابي عبد الله ماه روى نبذارا من جهة

السلطان

السلطان يمين الدولة وامين الملة فيهم وقد اوصاهم بالقعود له
بكل مرصد واذكاء العيون عليه عند كل مورد فلما لبس الليل
جلدة الغبش وعرض على النجوم جيش الحبش وثب اهل تلك
الحلة على المنتصر جهلا وغباوة وقساوة وشقاوة فاخفروا
حق مقدمه واحلوا للارض حرام دمه فكانما عناه ابو تمام
حبيب بن اوس الطائي بقوله حيث يقول

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني ... رأيت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل فاكبه الى قرية ماميرغ من رود بارزم ودفن بها في شهر
ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ السلطان يمين الدولة
وامين الملة خبره فامر بالقبض على البنذار واذاقه حر الانكار

وشن الغارة على حلة ابن بهيج الاعرابي خاصة وعلى سائر
العرب السيارة عامة فصارت جمرة آل سامان رمادا
تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم من حيث نجمت دولتهم الى ان ورثها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان بما وراء النهر وسائر بلاد خراسان بما
ينضاف اليها في الوقت بعد الوقت من كور سجستان وكرمان
وجرجان وطبرستان والري الى حدود اصبهان مائة سنة
وستين وستة اشهر وعشرة ايام فاولهم ابو ابرهيم
اسمعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث بناحية
بلخ يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين
ومائتين وولي خراسان ثمان سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة
الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين و
مائتين منعوتا بالعدل والرافة موسوما بطاعة الخلافة وقام
بعده ابو نصر احمد بن اسمعيل فملك ست سنين وثلثة اشهر

وفتك به نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من
جمادى الآخرة وكان مقتديا بابيه في ايثار النصفة واختيار
الاحدوثة الحسنة اقتداء الابناء بالآباء في اختيار افضل
السنن واتباع احمد السير الى ان طوت الدنيا صحائف ايامهم
كعادتها في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وسد
مسده الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلثين سنة رفيع
النجاد قوي العماد وري الزناد زكي المراد وتلاه في ارث الملك
نوح بن نصر وهو الحميد فملك اثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر
وسبعة ايام وتوفي ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت
من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه
عبد الملك بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر
يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا
وذلك عشاء يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة
خمس وستين وثلثمائة وولي امره نوح بن منصور احدى و
عشرين سنة وتسعة اشهر وتوفي يوم الجمعة ببخارا الثالث عشرة ليلة

خلت من رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده ابو الحارث بن منصور بن نوح سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون برخش يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه عبد الملك بن نوح فما استقرت قدمه في الولاية حتى خرجت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعامته وشالت نعامته وطار الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع ولايته من يديه فكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما ثم اخوه المنتصر ابو ابرهيم اسمعيل بن نوح وذلك حديث ما ولي السلطان كور خراسان واقبل بعد ذلك جده يزداد في اسباب العلاء جدة وجده يتضاعف في رقاب الاعداء حدة فما يفتر له شهر الا عن ثغر مفتوح وصنع ممنوح وذكر على هامات الاعواد مرفوع وباب الى قضاء المنى والآمال مشروع

ذكر الاحوال التي جمعت الامير ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والي سجستان في خلاف مرة ووفاق اخرى وما

جرى

جرى بعد ذلك من الطوائل والتراث التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وامين الملة اليه وعطفت يده الى انتزاع الملك عن يديه وما جرى خلال ذلك من وقايعه في الهند الى ان استتب له ما اراد في امره بعون الله ونصرته

قد سبق في اول هذا الكتاب ذكر الامير خلف بن احمد فيما اراه السديد منصور بن نوح من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى ان تهاوت نجوم الفتن بخراسان ففرغ عن استعمال ولاتها بما دهاهم للاستجمام والادراع والاستظهار بما تخرجه له ارض سجستان من صنوف الارتفاع حتى اتسع نطاق همته لطلب الفضول والزيادات ومنازعة القروم والسادات ولما تصدى ناصر الدين لمواقعة ملك الهند حين تورد حدود الاسلام على ما نطق بشرحه صدر هذا الكتاب اغتنم خلف انتقاض بست عن الحفظة وخلوها عن الشحنة فاسرى اليها من افتراض بعضها واقتص عددها وحرف كلمة الدعوة عنها وغمس يده في اموالها وجباياتها جمعها فاغاعها

فلما افلج الله سبكتكين على الكافر اللعين عطف العنان الى بست
ممتعضا من غدره محتفظا من سوء حفاظه فانتقاه اصحاب
خلف بن احمد بظهور العار واعقاب الادبار والصغار وهم
سبكتكين لمناهضته واستخار الله في مناجزته فارسل اليه
خلف من يتاول عليه في ذلك البعث محافظته على حكم الموالاة
في حفظ ولايته ويتضمن تصحيح ما صار في جبايته ويتبرع
بزيادة تقوم مقام الارش عن جبايته تفاديا عن ثقل
وطاته على اعماله وتصونا عن عورة الافتضاح في قتاله
فتغابى ناصر الدين عن سر غدره كفا لليد الاقتدار واكتفاء منه
ببذل الاعتذار وكان مثله في ذلك كما قال ابو تمام

ليس الغبي بسيد في قومه ✿ لكن سيد قومه المتغابي ✿

ثم طالبه بتصحيح المال حتى اداه وارتهن به بعض رضاه
وكانت الحال بينهما من بعد قائمة على جملة المسالمة الى ان
حدث من امر ابي علي بن سيمجور في الجولة التي اتفقت له
بباب نيسابور ما سبق شرحه فاظهر تقربا الى ناصر الدين بمساعدته

على

على خصمه ومرافدته بنفسه وسائر اهل جملته امتنانا عليه
بظاهر المظاهرة واضمارا للتشفي من ابي علي بمعونته الحاضرة و
قوته الباهرة اذ كان ابو علي قد وتره بقصد حصاره وغزوه
في عقر داره وافتساره بسيوف انصاره وصحبه الى بوشنج
في جمهور اشياعه واتباعه ثم خلفه بها سبكتكين صيانة له
عن كلفة السفر وابقاء عليه من خطة الخطر وسار الى طوس
لمواقعة ابي علي وطلب الثار المنيم عنده حتى اذا طرده ونفض
عن شغل تلك الحرب يده رد الى خلف بن احمد اصحابه متقلين
بالنعم الباهرة موشحين بالخلع الفاخرة تقدمهم المراكب
والجنائب وترد فهم النجائب والرغائب ✿ فعادوا واثنوا
بالذي كان اهله ✿ ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب ✿
فصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة وتجلت عن
عارض المداجة والمداجاة الى ان عبر سبكتكين النهر الى
ما وراءه لمدافعته ايلك الخان عن ولاية الرضي برفق المناصحة
او خرق المكافحة ثم اقتضته صورة الحال مسامحته ببعض تلك البلاد

على ان يسلم له سائرها ويأمن من عيث العيث باديها وحاضرها
وترامت اليه اثناء ذلك مكاتبة خلف بن احمد الملك الخان
مرهقا من غربه ومغريا اياه بحربه طمعا في بست ونواحيها
وغزنة وما يليها وانضافت اليه بلاغات وقوارص برقت له
من جانبه في امر ابي علي واظهار الندامة على ما سبق من عونه
عليه والافصاح على رءوس الاشهاد معرضا بان اجتياح الملوك
شؤم واستباحة البيوتات لؤم وضعف في الراي معلوم فطار
الغضب بناصر الدين كل مطار وحدثته نخوة الاقتدار بالبدار
الى سجستان لاطفاء الغليل وشفاء الداء الدخيل فثناه كاتبه
ابو الفتح البستي عما نواه بالقول الرفيق والراي المؤيد بالتوفيق
ورش بماء التلطف على ذلك الحريق واراه ان بعض البلاغات
زور وان القائل كالقابل مأخوذ وموزور وان قلوب الرجال
وحوش نافرة وطيور في بحار الجو سابحة فما يستمكن منها
الا باعمال الحيل في نصب الحبائل وتمكين الجوارح ورمي البنادق
وبث الحبوب والمطاعم ثم لا شيء ايسر من افلاتها من حبالة القانص

وارسالها

وارسالها من شرك الصائد كذلك القلوب لا تصطاد
الا باشراك الصنائع والعواطف ولا تقتاد الا بازمة الايادي
والعوارف ولا تستنفد الا بابذال التوالد والطوارف ثم الكلمة
الجافية تهيج وادعها وتطير واقعها وتكدر عليها
مشارعها وتلا عليه قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين ثم فسرها له حتى نزل عن ظهر مركب التعجيل
الى ارض التمهيل وانشدني ابو الفتح في شرح ما دار بينه وبين سبكتكين

اذا شئت ان تصطاد حب اخي لب ✿ وتملك منه حوزة القلب والخلب
فاشركه في الخير الذي قد رزقته ✿ وادخله بالاحسان في شرك الحب
الم تر طير الجو تهوي مسفة ✿ لحب كقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الراي والحجى ✿ محبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك متنصلا عما عزي اليه ومتبريا
مما نقم منه فعفا ناصر الدين عما حك في صدره من امره واغمض
له عما امتاحه من قليب قلبه وغدير غدره وثبت باقي عمره

على مداراته وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فانتقل
الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين
الملة خلف حبوة الزمانة باظهار الشماتة فاستنشد قول القائل
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ✽ تجهز لاخرى مثلها فكان قد
ثم اسرها في نفسه مرتقبا لميقات الفرصة في الايقاع به
والاشتفاء منه الى ان ورث ملك خراسان ونقى الاطراف عن
غبرات الخلاف وسليم الآفاق عن غبرات الشقاق وقد كان خلف
بن احمد عند قيام السلطان باستصفاء المملكة قد بعث
ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم عن منها الى بوشنج فاستولى
عليها وكانت هراة وبوشنج برسم بغراجق اخي سبكتكين
فلما وضع الله عن السلطان اوزار تلك الملاحم اتاه عمه
يستاذنه في طرد المتغلب عن ولايته وفل ما حد من حد
نكايته فيه وسار حتى اذا شارف بوشنج تلقاه طاهر بن
خلف بمن والاه من العديد تحت الحديد فتناوشا الحرب
قدا للهام من خطوط المفارق وقطا للاجسام من خصور المناطق

واستقاء للاوداج بارشية الرماح واجتلاء للرؤوس بسيوف
كسيوف الرؤوس ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت الميامن بالمياسر
والمياسر بالميامن وانفل طاهر من بين يديه هزيما واتبعه
بغراجق يحث منه ظليما وقد كان قبل ان شمر للحرب اصاب
كؤوسا يستيقظ بها اعين الطعن والضرب فتعاون عليه ناران
من كاس وباس حتى غفل بهما عن وثيقة التحزم وذهل
معهما عن بصيرة التحفظ والتحرز فغرر بنفسه في اتباع خصمه
اغترارا بخيال سكره فلم يشعر الا بابن خلف قد كر عليه بضربة
اقعصته قتيلا ونزل للوقت اليه من قطف علاوة اخدعيه
واقتسمت الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب
ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فانه قفى آثار فله بمن
ردهم الى محله وورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد العم
ما ينال الوالد لعدم واحده والولد لافتقاد صنو والده و
استدل بما اتفق لابن خلف على احداق الشقاء به وباسه
واطباق البلاء عليه وعلى من يليه وحدث ان البقرة تبحث عن

بروقها والنملة يقضي عليها نبات جناحيها ولو عقل الفراش لما
عشا ما عاش الى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار
اسارت الفرس في اخبارها مثلا ولد عاجم في آبائها مثل
قالوا اذا جمل حانت منيته اطاف بالبير حتى يهلك الجمل
وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة الى خلف بن
احمد وهو متحجز بحصار اصبهبذ قلعة بينها وبين مجرى
النجوم قاب قوسين بل قيد سهمين تحور عن مراماتها الابصار
وتحادر دون مساماتها الاطيار تحاصره بها ممنوعا عن فسحة
الاختيار ممنوا ببلدة الاضطرار مفجوعا براحة القرار ولذة
الغرار حتى نخب الروع روعه وودع الروح روحه فاستشعر
الخضوع والطاعة واظهر الخشوع والضراعة وسأل سؤال المستكين
ان ينفس من خناقه ويمهي من حبل رهاقه على ان يفتدي
بمائة الف دينار وما يليق بها من خدمة ونثار وتحف ومبار
فاجابه السلطان الى ما استدعاه ووكل به من اقتضاء المال
حتى استوفاه وغادره كما هو في اسار الحصار وخناق الوثاق

دني

وفي نفسه قصد سجستان لكنه احب ان يجعل غزوة في الهند
مقدمة لما توخاه وصدقة بين يدي نجواه تبركا بما يجري
على يده من ارتفاع راية الدين واتساع ساحة اليقين وانارة
كلمة الصدق واغارة قوة الحق فتوغل بلاد الهند متوكلا
على الله الذي هداه بنوره وقضى له بالعز في مقدوره و
بالنجح في تصاريف اموره حتى انتهى الى مدينة برشور فخيم
بظاهرها وبلغه اجتراء عدو الله جيبال ملك الهند على القائه
واستعجاله الفناء بمجاورة فنائه فاستعرض الخيول من ابناء
جريدته وسائر الغزاة والمطوعة في جملته واختار للجهاد خمسة
عشر الف عنان من فحول الرجال وقروم الابطال وحظر
ان يختلط بهم من رذالة الاختيار وهرجة الانتقاد حتى اذا
خلص عددهم على الانتخاب واخلاصهم كجنان الصارم او اسود
الغاب دلف بهم الى قتال الهجين اللعين بقلوب كالهضاب ثابتة
وفروع صبر على دوح الاخلاص نابتة واقبل الكافر الفاجر في
اثني عشر الف فارس وثلثين الف راجل وثلثمائة فيل تئن

الأرض من وطئ أطرافها وتجف من ثقل أخفافها حتى أناخ
قبالة السلطان متبطاولا لا بعدده ومطاولا لا بقوة باعه ويده
ويظن كثرة الجموع تطوي كتاب الله طيا أو تغني من أمر الله
أو تغني من أمر الله شيئا ولو درس الجاهل كتاب الله تعالى
لقرأ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وأرتز
الكافر بمكانه جانحا إلى المطاولة ومتحرزا بالمدافعة
والمراوغة انتظارا لمن وراءه من أوشاب الجيوش وأوباش
القبائل والشعوب فأعجله السلطان عما حلم به من تقديم
المطاولة وتأخير المقاتلة وبسط عليه أيدي أولياء الله فأوسعوهم
حربا ونهبا ومشقا ورشقا وحزا ووخزا وحتا وسحتا حتى
اضطر إلى الدفاع وصلي نار القراع فاصطفت عند ذلك
الخيول وخفقت الطبول وزحفت الفيول وأقبل البعض على
بعض يصول وترامت النبال على الخضل ترامي ولدان الأصائل
بالخشل وتلألأت متون القواضب كما تلألأ برق الغيم جنح
الغياهب وفارت ينابيع الدماء كما فاضت مجاديح الأنواء

وتكاثر أولياء الله على جماهير المدابير يؤزونهم أزا ويحثونهم
ركضا وجمزا فلم ينتصف النهار إلا بانتصاف المسلمين من أعداء
الله المشركين وحكموا السيوف في ذهاء خمسة آلاف رجل فبسطوهم
على العراء وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهواء وجدل على
صعيد المعترك خمسة عشر فيلا معروزات العراقيب بأطراف
النشاشيب محزوزات الخراطيم بأسياف اللهاميم وأحيط
بعدو الله حيبال وبنيه وحفدته وبني أخيه وذوي الصيت
من رهطه وذويه فسيقوا بخزائم الأسر والقسر إلى موقف
السلطان كما يساق المجرمون إلى النيران ووجوه عليها غبرة الكفران
ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوف إلى الظهر قهرا ومسحوب
على الخد جرا ومضروب على الوريد صبرا وحل مقلد حيبال
عن نظيم مرصع بفرائد الدرر والجواهر الزهر واليواقيت الحمر
قوم مائتي ألف دينار وأصيب أضعافه في أعناق المقتسمين من
قرابته بين قتل وأسر والمطعمين شذاة ضبع ونسر و
نفل الله أولياء السلطان ما فات حد الإحصاء وحاز

عم

جهد الحصر والاستقصاء واغنمهم خمسمائة الف رأس من
رُوقة العبيد والاماء وآب السلطان بمن معه من الاولياء
الى المعسكر غانمين وافرين ظاهرين ظافرين شاكرين لله
رب العالمين وفتح الله على السلطان من ديار الهند ارضًا
تتضاءل بلاد خراسان في جنبها طولًا وعرضًا ووافقت هذه
الوقعة الباهر اثرها السائر في الآفاق خبرها يوم الخميس الثامن
من المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ولما وضعت
هذه الحرب اوزارها وحطت عن الظهور اثقالها احب السلطان
ان يصرف الجبت وراءه ليراه بنوه وذووه في شعار العار
واسار الخسار ويستطير هيبة الاسلام في ديار الكفار
فوافقه على خمسين رأسًا من خفاف الافيال وان تكون ابنا
وحافدًا له على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى
اذا استقر مكانه كاتب ابنه انندبال وشاهيته وراءه
سيحون يشكو اليه ما عراه من الفاقرة الكبرى والداهية
العظمى ويسأله سؤال ملحف محلف ان يؤدي عنه الضمان بما

عن وهان

عن وهان فساق اليه تلك الفيول وصرف الرسول وسيقت
جملتها الى السلطان فأمر بالافراج عن اولئك الرهائن
وكسع ادبارهم نحو تلك المدائن وحدثته نفسه انندبال
بان اباه قد لبس بردة الخزي وعض على جمرة الهرم وقد
طلع عليه نسر الاسر ودبران الادبار وعوته عواء الامتحان
وشالت به شولة الخذلان فقد حان ان يلقى حينه ويقاضي
عليه الزمان دينه ومن سنتهم المطاعة فيهم ان من حصل
منهم في ايدي النائبة وهم المسلمون اسيرًا لم ينعقد له من
بعد رياسة ولم يستتم له زعامة وسياسة ولما رأى حبال
حصوله بين قيد الهرم وقيد المذلة آثر النار على العار والمنية
على الدنية فبدأ بشعره فحلق ثم تحامل على النار حتى
احترق ولما استتب للسلطان ما اراد وانقاد له ما اقتاد
ارتاح لغزوة اخرى يطرز بها ديباجة مقامه ويعلم
بجمالها عذبات اعلامه فمال نحو ويهند فضرب عليها
بكلكل الاقتدار حتى افتتحها صغرًا واغتاض منها بعد العسر

نيرًا وبلغه لياذ طوائف من الهنود بشعاب تلك الاعلام و
استنادهم بخمر الغياض والآجام متحدثين بالتحزب للفساد
والتألب على العباد فاغزاهم جيشا يدوخ محالهم ويفرق
قبل الوصال اوصالهم فولغت فيهم السيوف حتى رويت من
رشاش دمائهم وصدئت من مخالطة احشائهم وتهارب
من سلم من ظباتها كالاوعال في ربود تلك الجبال يرون
الكواكب ظهرًا والمنايا سودًا وحمرًا وذاقوا وبال امرها وكان
عاقبة امرها خسرًا وانقلبت رايات السلطان الى غزنة خافقة
بالفتح الرائع والنجح الشائع والحول المتين والنصر المستبين قد
اشرق وجه الاسلام وابتسم ثغر الايمان وانشرح صدر
الملة وانقصم ظهر الشرك والبدعة وقد كان خلف بن احمد
عند انصراف راية السلطان عن وجهه عهد الى ولده طاهر
في اعمال سجستان واسند امرها اليه ايثارًا له على نفسه
واهدى كريمة الملك اليه قبل وقته تثبيتًا لها في ملكه قبل
استحقاقه اياها بارثه تعرضًا للسلطان باستعفائه عن

الملك

الملك واقباله على النسك واعتياضه تواضع العبادة عن
ترفع السيادة ليقطع بخروج الامر عن يده طمعه عن قصده
وحصده فلما تنفست المدة على ما ولاه نطقت شواهد
الجحود في اختياره وبدت نواجد العقوق من ثنى آثاره
فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى اغماه عما نواه فيه ثم مارض
في الحصار المذكور واستدعى ابنه لقبول الوصية وتسلم الودائع
الخفية تغفل عن سر التدبير وتدبر العقاب الكبير واقبل
اقبال طرفة بن العبد على خصلتي الضبع من ضرب الجيد او حز
الوريد وقد كان خلف بن احمد قد كمن له مقانب من جنته
فاحاطوا به احاطة خيل الزباء بجذيمة الوضاح الى ان حصل
في معتقله وحبس في مكمن اجله وبقي في السجن على حاله الى ان
اخرجت جنازته محالا عليه في قتل نفسه والجناية على روحه
ودمه ولما سمع طاهر بن زيد صاحب جيشه وسائر القواد بسجستان
ما جرى في امر طاهر دخلت في طاعته ضمائرهم ونغلت في
موالاته سرائرهم وانفضت خوف الاسوة فيه مرائرهم و

ضبطوا تلك المدينة على طاعة السلطان ومشايعته وارسلوا
اليه بما اوجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين
الجماعة وسالوا انماض من يتولى تسلم الناحية منهم ليتبدروا
الى بابه ويتعطروا بلثم ترابه ففعل السلطان ما سالوه و
جزاهم الخير على ما فعلوه واقيمت الدعوة فيها للسلطان
في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة ولما فتح الله رتاجها وتيسر
له انفراجها عزم على قصد خلف وحسم دائه وكفاية الخاصة
والعامة عوادي نكره ودهائه وهو يومئذ في حصار
الطاق ومن صفته انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران
منيعة البنيان وثيقة الاركان يحيط بها خندق بعيد القعر
فسيح العرض منيع المخاض لا يعبر الا من طريق في مضيق على
جسر يطرح عند الحاجة ويرفع وقت الاستغناء عنه
فعسكر السلطان حواليه محيطا به من جوانبه احاطة المحيط
بنقطة المركز وجعل يستفري بالراي وجه الحيلة في طم
ذلك الخندق وكبسه ليستذق على الفارس والراجل خوضه

وعبوره

وعبوره وكانت حوالي معسكره منابت اثل وطرفاء ذوات
اختفاف والتفاف ففرض على اهل عسكره خاصهم وعامتهم
راجلهم وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منها اضغاثا و
حزما تلقم عرض الخندق ليستتب ظهر المجال والمخترق و
بادر الناس اليه فلم يشرق شمس النهار على الكبس حتى اعرض
عرض المخاضة من جانب باب الحصار للركوب وثار اليه عند
ذلك الخيول وتبعها الفيول ومانع اصحاب خلف بن احمد
من شرفات الحصار بقذفات الاحجار واشتعلت الحرب بينهم
ترمي بشرر كالقصر وتنحى على القصرات بالفرس والقسر وزحف
الفيل العظيم الى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزخ به في الهواء
وانحط الى الارض من حالق وقتل من اصحاب خلف الجم الغفير
ولجأ الباقون على الحاجز الى السور الداخل ودمر عسكر السلطان
على الحصار وتماسك اصحاب خلف فوق شرفات السور الآخر
مناضلين منها باحجار المجانيق واطراف الحراب والمزاريق واطلع
خلف بن احمد عند استداد الخطب على ملتقى الفريقين فراي

هول المطلع من تموج الفضاء بعفاريت الانجاد على شياطين
الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وترامي الحراب كالعز الى السحاب
وفيح الدماء كسيح الماء وعاين الفيل قد اهوى الى بعض
اصحابه بخرطومه فرمى به في الهواء قاب رمحين ثم تلقاه
بنابيه واقبل على آخرين يدوسهم بمنسميه ثم انحى على البا
بمنكبيه فزعزعه بعضادتيه واقلعه بضبات الحديد
عليه فاستطار عند ذلك قلبه وجاش جاشه وارتاع
روعه واضطره هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب
الامان واستغاثة السلطان فكف عنه يد الاخترام و
وضع عنه سوط الانتقام كرما غذاه الله بدره واطربه
بنشوة خمره واقبل خلف بن احمد على بذله الجائزة حتى استوذن
له على السلطان فدخل واهوى الى الارض بشيبة البيضاء
متعززا بذل الخدمة وغشى البساط من سبح الجواهر والفرائد
بما كسف النهار وخطف الابصار نثارا ينوب عنه في شكر
ما اذاقه من برد العفو والرحمة وحماه من حريم الروح والمهجة

فتكرم السلطان بالرفع من قدره وضم يده عند التقريب الى
صدره تناسيا لما سبق من هناته وتغابيا عما تقدم من
ذحوله وتراته وحكمه في احتمال ما احب من زبد يساره
وذخائر حصاره وخيره في المقام حيث شاء من ديار ممالكه
وامصاره فاختار ارض الجوزجان استرواحا الى نسيم هوائها
واستعذابا لنمير نمائها واتساعا في مراتع الصيود حول ارجائها
وامر السلطان بتسييره اليها في هيئة ذوي الهيبة معافى
بلباس الصيانة عن عورة المهانة فاقام بها قرابة اربع سنين
في ظل الترفيه وساعدته القناعة بما هو فيه ثم انهى الى السلطان
مراطنة بينه وبين ايلك الخان بملطفات سيرها اليه ورسالات
اغراه بها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله الى جرديز ابقاء عليه
من تحقيق ما اضيف اليه واستتماما للصنيعة لديه واحتراسا
مما يلجأ اليه من ابطال ذلك الافضال وتكدير ذلك العذب
فبقي هناك على جملته الى ان حقت عليه القضية واخترمته
المنية وذلك في رجب سنة تسع وتسعين وثلثمائة وامر السلطان

بحفظ جميع ما تخلف عنه على ولده ابي حفص وتقريره في
يديه وتمكينه من خدمته وانشدني ابو منصور الثعالبي
لنفسه فيه حين وهي امره وصفرت عن الملك يده

من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته ... ولا تلين يد الايام صعدته
اما ترى خلفا شيخ الملوك غدا ... مملوك من فتح العذراء بلدته
وكان بالامس ملكا لا نظير له ... كاليوم في الاسر لا ينتاش اسرته

وكان خلف بن احمد مغشي الجناب من اطراف البلاد لسماحة
كفه وغزارة سيبه وافضاله على اهل العلم وحزبه وتمدح
على السنة الشعراء والعلماء بما هو سائر وذكره في الآفاق
طائر وكان قد جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله
تعالى لم يغادر فيه حرفا من اقاويل المفسرين وتأويل المتأولين
ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراآت وعلل النحو والتصريف
وعلامات التذكير والتانيث ووشحها بما رواه الثقات
الاثبات من الحديث وبلغني انه انفق عليهم مدة اشتغالهم
بمعونته على جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار ونسختها

بنيسابور

بنيسابور موجودة في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر
الكاتب وتستنفد صبر الناسخ الا ان يتقاسمها النساخ بالخطوط
المختلفة واخبرني ابو الفتح البستي رحمه الله قال قد كنت عملت
فيه ثلثة ابيات من غير قصد لتبليغها اياه لكنها سارت على
السنة الرواة اليه فلم اشعر الا ببصرة فيها ثلثمائة دينار
اتحفني بها على يد بعض ثقاته صلة لي على ما قلته والابيات هذه

خلف بن احمد احمد الاخلاف ... اربى بسودده على الاسلاف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد ... لكنه مرب على الآلاف
اضحى لآل الليث اعلام الورى ... مثل النبي لآل عبد مناف

فقلت له قريب من هذه الصورة حديث ابرهيم بن هلال
الصابي وذلك ان رسولا لسيف الدولة كان قدم بلد السلام
فطلب شيئا من شعره عن لسان صاحبه ليدافعه به الى ان
ازف ارتحاله واتاه عند الوداع ملحا عليه في تنجزه
فاعطاه بعجالة الوقت

ان كنت خنتك في المودة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا في العلى

وحمدته في فضله التوحيدا ❊ قسمًا لو انني حالف بغموسها

لغريم دين ما اراد مزيدا ❊ فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل

اليه صرة فيها ثلثمائة دينار موسومة باسمه وللشيخ ابي الفتح

البستي فيه ايضا يمدحه

من كان يبغي علو الذكر والشرفا ❊ ويرتجي عطف دهر قد نبا وجفا

او كان يأمل عند الله منزلة ❊ تنيله قرب الابرار والزلفا

او كان يطلب دينا يستقيم به ❊ ولا يرى عوجا فيه ولا حنفا

او كان ينشد مما فاته خلفا ❊ فليخدم الملك العدل الرضي خلفا

الوارث العدل والعلياء من سلف ❊ حثوا بعليا هم في وجه من سلفا

المؤثر القصد في نخاء سودده ❊ فان اراد عطاء آثر السرفا

اذا التوى عنق ولي حكومته ❊ سيفا اذا ما اقتضى حقا له انتصفا

والسيف ابلغ للاعناق موعظة ❊ كم من صليف حماه حده الصلفا

وان بدا كلف في وجه مكرمة ❊ جلى بلا كلف عن وجهه الكلفا

رضاه يصرف عمن يستجير به ❊ صرف الزمان اذا ما نابه صرفا

اذا اقشعر زمان من جدوبته ❊ اغنى الورى وكفى جوده وكفا

بسخطه

بسخطه يدع الافلاك خائفة ❊ والشمس حائرة والبدر منكسفا

يرى التوقف في يومي وغى وندى ❊ وصما فلان عن راي مشكل وقفا

لله نصل صقيل في انامله ❊ اعاد حظي سمينا بعد ما نحفا

يهين امواله كي يستفيد بها ❊ عزا يؤثل في اعقابه الشرفا

والمرء للوم في احواله هدف ❊ ان لم يكن ماله من دونه هدفا

لا يلحق الواصف المطري معانيه ❊ وان يكن سابقا في كل ما وصفا

وانشدني ابو الفضل الهمداني قصيدته التي يمدح بها خلف بن

احمد اولها

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل ❊ اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل

لك الله من قفر اجوب جيوبه ❊ كانّي في اجفان عين الردى كحل

وفيها يذكر اباه بهمدان واستقباله الحجيج للسوال عن خبره والبحث

عن وطنه ووطره

يذكرني قرب العراق ودعة ❊ لذي الله لا يسليه مال ولا اهل

اذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم ❊ بفوارتي دمع هما النجل والسجل

جنته النوى عني واضنته غيبتي ❊ وعهدي به كالليث خوّه عبل

يسائلهم كيف ابنه اين داره ۞ الى ما انتهى لم لم يعد هل له شغل
اضاقت به حال اطالت له يد ۞ أآخره نقص اقدمه فضل
يقولون وافى حضرة الملك الذي ۞ له الكنف المأمول والنائل الجزل
وفاضت عليه قطرة خلفية ۞ بها للغوادي عن ولا بها عزل
تقيد له طرف وحلت له حبى ۞ وخير له قصر ودر له نزل
يذكرهم بالله الا صدقتم ۞ لدي اجد ما تقولون ام هزل
طوينا للقياك الملوك وانما ۞ بمثلك عن امثالهم ابدا نسلو
ولما بلوناكم تلونا مديحكم ۞ فيا طيب ما نتلو ويا صدق ما نتلو
ويا ملكا ادنى مناقبه العلى ۞ وايسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخرا ۞ سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى ۞ وان نحن حدثنا بها دفع العقل
فقولا لوسام المكارم باسمه ۞ ليهنك ان لم تبق مكرمة غفل
فداك من ابناء دهرك من غدا ۞ ولا قوله علم ولا فعله عدل
وجاراك افراد الملوك الى الندى ۞ وحقا لقد اعجزتهم ولك الخصل
سما بك من عمرو ويعقوب محتد ۞ كذا الاصل مفخورا به وكذا النسل

وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين ذكر انهما مكتوبان على باب داره بسجستان

من سره ان يرى الفردوس عالية ۞ فلينظرن الى ابوان كيوان
او سره ان يرى الرضوان عن كثب ۞ بملء عينيه فلينظر الى البان

ونعم وصفت سجستان للسلطان فهدأت عيون الفتن وسقطت نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخلفية بها عن التعصب والتحزب وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب ورجع السلطان الى غزنة باهر الامر عالي الظفر والنصر قد صنع الله له فيما رامه وسدد نحو المراد سهامه وشهره بافتراع المدينة العذراء واستصفاء المملكة الغراء واطلاع ذروة الرجاء وادراع لامة العز والعلاء وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه قصيدة في فتح سجستان

سعدت بغرة وجهك الايام ۞ وتزينت ببقائك الاعوام
وتصرفت بك في المعالي همة ۞ تعيى بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت مهاد عدلك فاغتدت ۞ تتوارد الآساد والآرام
واقتض سيف علاك كل مدينة ۞ بكر عليها للدباس ختام

هذى درنج استغلقت وتمنعت * لكافتنا الا عليك حرام
نفتحها وافتحها ومنحتها * نفرا هم لفنائك الخدام
وقدمت والايام تنشد في الورى * بيتا يجيد نشيده الايام
قد جاء نصر الله والفتح الذى * تزهى بكتبة وصفها الاقلام
باجل احوال وايمن مقدم * واتم اقبال يليه دوام

ورحم الله البديع ابا الفضل الهمداني حيث يقول في السلطان تعالى الله ما شاء وزاد الله ايماني
افريدون في التاج ام الاسكندر الثاني * اما الرجعة قد عادت الينا بسليمان
اظلت شمس محمود على انجم سامان * وامسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان
اذا ما ركب الفيل لحرب ولميدان * رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان
فمن واسطة الهند الى ساحة جرجان * ومن قاصية السند الى اقصى خراسان
على مقتبل العمر وفي مفتتح الشان * فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان
فما يعزب بالمغرب عن طاعتك الثاني * لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان
ايا والي بغداد ويا صاحب غمدان * تأمل ما تري فيل على سبعة اركان
يقلبن اساطين ويلعبن بثعبان * عليهن تجافيف تشبهن بالوان
ويا جوج وما جوج من الجند بموجان

واستخلف

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد المحتشمين من قواد سبكتكين فحسنت في السياسة سيرته واشتدت في الرفق بالبرئ والعنف على المريب بصيرته ثم ان طوائف من نجوم الفتنة ورجوم الشر والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الامن وفسحة الحال وسعة المجال فتحدثوا بينهم بتقديم من نصبهم على العصيان وبوّئهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا بالشقاء واجتراء على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف واخترطوا نصل الشر من الغلاف فلما رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه وامنائه بادر اليها في عشرة آلاف رجل من نخب العسكر ومعه اخوه صاحب الجيش نصر والتونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي زعيم العرب وحصر المردة العتاة في حصار ارك ووكل خيول عسكره بجوانب الاسوار واقتسم بينهم محال ذلك الحصار ونشبت الحرب بعد العصر يوم الجمعة للنصف من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

وخاض السجزية غمرتها ساعة متوازرين على المدافعة
ومتظافرين على الممانعة والمقارعة حتى إذا أوهنهم
السلاح وأثخنتهم الجراح لاذوا بالانجحار والاعتصار
بسور الحصار وظهر أولياء السلطان على بعض جوانب السور
في ظلمة الديجور فتنادوا بشعار الملك المنصور فانهزم
الفجار وملك عليهم الحصار وبسطت أيدي القتل والضرب
على من نفضتهم الدور ولفظتهم المساكن والقصور فمن
رؤوس منبوذة وأعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة و
دماء على الأرض مصبوبة وهام الآخرون على وجوههم
يتساقطون من كسع الأدبار في الآبار ويلوذون من ضرب
الأخادع بالمخادع ويفزعون من شن الغارات إلى المغارات
والطلب يقطع دابرهم ويلحق بالأول آخرهم حتى خلت
سجستان من عيث شرارهم وسلمت من بث شرارهم
وفتح الله تلك المملكة على السلطان فتحا ثانيا وملكا ثالثا فلم
يسمع بمثله على الأيام فتحا في غلق الظلام واستفاضت

هيبته في أهل سجستان حتى نامت لياليهم عن دبيب العقارب
وصفير الجنادب ولبعض أهل العصر على تهنئة النصر

يا أيها الملك الذي زند المعالي تقتدح : لا زال ثغرك باسما من أجل ثغر تفتتح

وأنشدني أبو منصور الثعالبي له في هذا الفتح الشهير
والنجح الكبير يمدح السلطان يمين الدولة وأمين الملة

يا خاتم الملك ويا قاهر الأملاك بين الأخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للأرض مستول على النجح
راياته تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح
كم آية في الدين آثرته يقصر عنه أثر الصبح
وكم بنى للملك شيدتها تثني عليها ألسن المدح
فاسعد بأيامك واستغرق الأعداء بالكبح والذبح
ودم ربيعا خالي القدح ممتع الملك على القدح

ثم جعل السلطان سجستان طعمة لأخيه نصر مضافة إلى نيسابور
وناهيك بها ولاية في بلاد المشرق فنصب الخلافة عليها
أبا منصور نصر بن إسحق وزيره ووكل بها تدبيره ورضي لها

تقديمه وتاخيره فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية
واتقان السياسة وانعام الحراسة قيام من عدله الزمان
بثقافه وزينه الكمال باوصافه وعاد السلطان الى بلخ على
استيناف الجد في غزو الهند على ما سنذكره في موضعه ان شاء الله

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله الى ملكه بعون الله ونصرته بعد طول التقلب في التغرب

قد كان شمس المعالي اقام بخراسان ثماني عشرة سنة مصابرا
للدهر على وقعاته وتصرف حالاته لم تغمز يد الحادثات
قناته ولم تقرع صروف النائبات صفاته ولم تنقض دواير
الايام مروته ولم تنقض على اختلاف احوالها حبوته ولم
يبق من اصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم يضرب له
بسهم من نوافله ولم يرجع الى حظ من عطاياه وفواضله
ولم يخدمه احد من ذوي الحشمة بسلام الا حظي منه
بانعام واحسان واجنبة الوان وافراس مطهمة حسان
فعلى الاكتاف خلعه ولباسه وتحت الافخاذ مراكبه وافراسه

وحشو

وحشو البيوت بدره واكياسه وقد كان آل سامان يمتون
بردّه الى مملكته حيازة لقصبة السبق في اذالته على خصمه
واعادة ملكه الى يده فيقطعهم توالي الفتوق من كل وجه عليهم
عن اصابة اغراضهم في امره والهمة بصيرة التجارب مداراة
المحنة حتى ينتهي زمانها وينقضي على الاقبال بحرانها اذ كان
الاضطراب في المحن كالاضطراب في حبل الخناق ما يزداد صاحبه
على نفسه حركة الا ازداد اختناقا وهلكة ومما يضاف الى شعره

قوله في اقبال محنته

قل للذي بصروف الدهر عيرنا ۞ هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف ۞ ويستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا ۞ ومسنا من عوادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عدد ۞ وليس يكسف الا الشمس والقمر

ولما وطئ سبكتكين عراص خراسان ومكنه الظفر بابي علي بن
سيمجور من كورها ارتاح للقائه وما يتحفه من نصرته و
اعلائه ثم اتفق له من الانقلاب الى بلخ ما حال بينه وبين مراده

فغبر مدة على جملته الى ان انقرض امر ابي علي وخوى نجم
الشغل به وانحدر الى طوس لطلب اخيه ابي القسم السيمجوري
فجدد عند ذلك قابوس عهده ولاطف كل منهما صاحبه
بما لا يفي به بيان ولا يتسع له حساب وحسبان وجرى ذكر
فخر الدولة صاحب الري واستظهاره ببدر بن حسنويه صاحب
الاكراد والفوارس والانجاد فاراد سبكتكين ان يستظهر
عليهم بكماة الشرق ورماة الحدق من كتائب الاتراك الخانية
فارسل حاجبه الكبير التون تاش الى ايلك الخان يتنجزه
حكم الحال التي اتفقا عليه بما وراء النهر من الاتحاد في الوداد
والاشتراك في الاملاك بامداده بعشرة آلاف رجل من
من نخب رجاله وشهب ابطاله وصرف شمس المعالي وراءه
على ميعاد معاده ورجع سبكتكين الى بلخ مستعدا للامر
ومنتظرا لوصول العدد الدثر فاستأثر الله تعالى به قبل ان
عاد الرسول وتحقق المسئول فحبط عليه ما صنع وصح دونه
نبث ما ذرع وتوسط وجوه الناس بين السلطان يمين الدولة و

امين الملة وبين قابوس في اسعاده ورده الى معاده على ما
يقضي به حق غنائه ويضاهي به حسن بلائه في تحقيق رجائه
وتمحيق مكايد اعدائه فاظهر الوفاء به لغاية شهرين من قراره
بجرجان اذ كان يحيل بجل ما يلتزمه على ما يدر له من احلاء
ويحفل من اخلافها وانه يتحاشى بدء انتقال الملك اليه
خبط رعيته بالحيف والعسف والانحاء عليهم بمبرد الحرق
والنسف فانحل السلطان ما اهمه من ارث ابيه وشغل
الخاطر باخيه عن تقديم اظهاره وتعجيل الرد الى داره فا
ريثما يكفي ما امامه ويقضي الشغل بما رامه وسار الى غزنة حتى
يسر الله له افتتاحها وداوى على يده جراحها وكان ابو القسم
بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة انحاز الى جرجان
متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي قابوس في الامتداد اليها
ليقوم بتسليمها اليه وتقريرها في يديه فسار على سمت الروغد
حتى وافى جرجان وابو القسم بن سيمجور باسترابادو وقد حشر من
الري ابو العباس فيروزان بن الحسن في جماهير المشاهير من قواد

الديلم والاكراد وكان قد اطمع ابو القسم من بخارا في ولاية
قهستان وهراة وامر بمعاودة خراسان للاعتضاد به
والاستظهار بعدته وعديده فجرد عزمه للانصراف و
صرب تلك المواعيد بالاخلاف غير حافل بما يلحقه من المذمة
بخذلان من جشمه لنصرته واستقدمه على ما تحت يده
وقدرته وسار نحو اسفراين فانقلب شمس المعالي الى نيسابور
على حرة النمل استيناء بالوقت الى مقتطف الرجاء ومخترف
الامل وتربصا بما حوته رحم الليالي من جنين المقدور في
اداله المنسور ولما راى امور آل سامان مختلة النظام منحلة
العراقي والاوذام ولا تزداد على الرقع الا خرقا ولا على
الرتق الا فتقا محض الراي فيما يقيم له مائد امره ويحوس
عليه آبد ملكه فكانت زبدة محضه ان سرب الاصبهبد
شهريار بن شروين الى الجبل شهرياد لاستصفائه فسار نحوه
بمن تحت لوائه وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان خال
الامير مجد الدولة ابي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الري

فتنا هذا للقتال على رسمهم في الاحتراس بالتراس وادراع
لباس الباس وشد الاصبهبد عليهم شدة شردتهم بين
المهامه والدكادك واقحمتهم لهوات المعاطب والمهالك و
اصاب منهم غنيمة جسيمة بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة
واقام الخطبة بالجبل على قابوس وكان باني بن سعيد احد
اعيان الجيل وشجعانهم مقيما عند الاستندارية في طوائف
من اضرابه مشايعا لهم في ظاهر الامر وناظرا الى موالاة
قابوس من نقاب السر واتفق ان نصر بن الحسن بن فيروزان
لفظته الاضاقة بناحية الديلم الى حدود الاستندارية فطمع
في مغالبتهم عليها ومزاحمتهم فيها فقذف من جمرات ابنا بهما
بمن طرده عنها وقبض على خاله ابي الفضل اصبهبد كلار فسجن
حتى دفن وما بل بعد ذلك باني بن سعيد نصرا انتشا عدا
على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب في زهاء الفين من
عسكر الري فاجلياه عنها هزيما تقفوه الصفاح وهشيما
تذروه الرياح باني بن سعيد عند ذلك كتبه الى قابوس بذكر الفتح

الذي اتيح له على سعار موالاته واستشعار طاعته ومالاته
واظهار النصح باستطلاع راياته فتفصل عن نيسابور
سائرا نحو جرجان وتخيّر بابي بن سعيد عن مضامّته
نصر الى استراباد مجاهرا بشعار صاحبه وتجمع اليه
من ابناء الجبل من كان يسلك شعب هواه ويسلّم ركن
طاعته ورضاه وكتب قابوس الى الاصبهبذ بالانضمام
الى بابي بن سعيد وجمع اليد الى يده فيما تقدّم واخذ
الشد على عضده فيما اورد واصدر ففعل ما امر وتسامع
ابو العباس بن فيروزان بن الحسن بنبائهما وهو بجرجان
فنهد لكفاية امرهما واخماد ما التهب من جمرهما فوافاه
بباب استراباد وقعة اتت فيها حدود القواطع من حديد
المدارع وخوارق الزانات من مفارق الهامات وكادت
الهزيمة تستمر باصحاب بابي لولا انقلاب الاكراد والعرب
في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبى وزرق العوالي منادين بشعار
شمس المعالي فانهزم ابو العباس فيروزان بن الحسن فيمن معه

وركب الطلب اكتافهم فاسر هو وزهاء عشرين نفرا من
وجوه القواد في جملته واسرى بقية الفل نحو جرجان و
قد قدم اليها قابوس سالار بن خركاش احدا قاربه فوافق
انتهاء امرهم اليها املاكه عليها وتسامع الفل به فتجاورته
وعويلة وصلوا فلا يستطيعون سبيلا واضطروا الى
استئناف الهزيمة ترحا على فرح وملحا فوق جرح وخوطب
قابوس بخبر الفتح وما هيّاه الله له من عظيم النجح فسار
الى جرجان وقد شرح الله صدره وجلى عن الكسوف بدره
ولنسخ باليسر عسره وزاد على القدر قدره ودخلها في شعبان
سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ولبعض كتاب اهل العصر فيه

عند زفاف الملك اليه قصيدة اولها

الجدّ ما لم يعنه الجدّ غدّار ⁂ والحرّ ما لم يزنه الصبر خوّار
وللكريم اذا الايام زلن به ⁂ عن المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجنون المنجنون له ⁂ حيفا على حسك الّلاواء جرّار
وكم جريح قريح القلب ذي عبر ⁂ وكم قتيل وما للسيف آثار

وكم فقير بلا جرم وخائنة ∴ وكم غني وللايام اذواد

سير سريع ودور غير منصرم ∴ نصب العيون ودون الغيب اسداد

من كان يخبر حال الدهر دائرة ∴ لم يثنه عن عيان الحال اخبار

وانما حاصل الايام مختبرا ∴ حذر اصم عن التحقيق قرار

يحني الزمان على من لا اصطبار له ∴ ورقة للذي في العسر صبار

فاصبر هديت فان الصبر منجحة ∴ ومن وراء ظلام الليل اسفار

والدهر ذو غير احواله نوب ∴ عسر ويسر واحلاء وامرار

والبدر يدركه التمحيق منتقصا ∴ وبعده بضياء التم نوار

والنار في خلل العيدان كامنة ∴ وسقطها باقتداح الزند سعار

والجد يطبع كالقمصام تم له ∴ من صيقل الدهر جلاء وشهار

هذاك شمس المعالي في سيادته ∴ له مع الفلك الدوار اخبار

اعطاه من غرر الآمال ما قصرت ∴ عن نيل امثالها في الدهر اعمار

ملكا وعزا وعيشا رائقا وعلى ∴ ودولة ضمنها نصر واظهار

لما كساه دروع العز ضافية ∴ ولم يجد منه غير الشكر يختار

ابدى نشوزا عليه كي يجربه ∴ بالصبر والصبر للاحرار مسبار

نشزت المرأة على بعلها اذا لم توافقه

حتى اذا ما قضى من سبره وطرا ∴ وللامور نهايات واطوار

امسى يعاود ما ارضاه من خفر ∴ وخده بدم التشوير فوار

فالدهر خادمه والعز صارمه ∴ والراي رايته والخلق انصار

قرم يضيء العالمين به ∴ كانه الشمس والاعمار اقمار

راح الكرام الى اوكار نائله ∴ كانه الليل والاحرار اطيار

له المعالي سماء والندى شهب ∴ والمجد سارية والجود امطار

علاه كالليل والمصباح همته ∴ ونقله الجود والآمال سمار

تراه تنهزم الاموال عن يده ∴ مثل انهزام العدى عنه اذا ثاروا

ومجده الدهر قناص لهمته ∴ فالجود باز له والصيد احرار

حياؤه بوقاح السيف ممتزج ∴ وعدله في حزون الباس سيار

ندى يديه الى الفردوس منتسب ∴ ووقع سطوته في حره النار

يوم الهياج صفاح البيض ظلته ∴ والجو من لهب الطعنات صهار

يغامس الحرب والارواح راقية ∴ الى التراقي وطرف الموت نظار

يرش من دفع الاعناق تسطلها ∴ اذ نقعها بحوامي الخيل ثوار

تناذرت انجم الافلاك سطوته ∴ اذا الرماح من الارواح تمتار

فهن في ذمة الأضواء آمنة ، وهن من طخية الظلماء نفّار
للمشتري بينها في الخصر منطقة ، يبغي رضاه وللمريخ زنّار
كفته روعته أمراً بمصلحة ، فما يدور على المحظور دوّار
وقد أفاض على الظلماء هيبته ، فما يصرّ حذار البأس صرّار
إن السلامة أن لو ألهمت نطقت ، يا رب إنك لي من سيفه جار
يا أيها الملك الميمون طائره ، ومن نداه بفيض اليم زخّار
إن الزمان عروس ما لها أبداً ، سوى خصالك مشّاط وعطّار
البخل عندك في وجه الندى كلف ، نعم وفي غرّة الإقبال إدبار
ترمي العدى من نبات الكيد صائبة ، وإن رموا خانت المرمى أوتارهم
كأن ما قد رموا من لعن ظالمة ، وما رميت به وحي وأقدار
تحمى وتلتهب الأوتار رامية ، كأنما أحمت الأوتار أوتار
لا زال في نعم تفضي إلى نعم ، ما طاف حول فناء البيت عمّار
ممتعاً بسرور غير منقرض ، حتى تفوق نجود الأرض أغوار

ولأبي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي
من قصيدة يمدحهما وقت مقامه بنيسابور

قامت

قامت تودعني بالأدمع السجم ، والصمت بين يديها وبين فم
البين أخرسها والبين أنطقها ، وهذه حالة في الناس كلهم
وطالما انهزمت عنا السيوف فلا ، تحاربينا بجيش الورد والعنم
وقد خلعت لجام الإتباع فلا ، تلقي سوالفنا في ذمة اللجم
لم يبق في الأرض من شيء أهاب له ، فهل أهاب انكسار الجفن ذي السقم
أستغفر الله من قولي غلطت بلى ، أهاب شمس المعالي عمدة الأمم
كأن لحظك من سيف الأمير ومن ، ختم القضاء ومن عزمي ومن كلمي
قال الأمير لأخلاق الكرام قفي ، بحيث أنت فما زادت على نعم
وقال للعلم والآداب لا تردا ، إلا علي فما فاها بلا ولم
القائل القول لو فاه الزمان به ، صارت لياليه أياماً بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغراء لو مزجت ، بالنار لم تك للنيران من حمم
لا تحفلن بنضوب المال في يده ، فقد تجف ضروع العارض السجم
قد يجزر البحر بعد المد تغرقه ، وينزل الحدب وكر الأجدل القطم
ولا يغرنك أن الدهر جاربه ، قد يغدر السيف يوم الروع بالبهم
الآن إذ غدت الدنيا بحشمته ، وقابلته صباحاً أوجه النعم

تَرنو اليه فتخفي شخص منقبض ؛ لراحتيه وتقضي طرف محتشم

اذا دعت نحوه ساقاً همت قدماً ؛ والعمر يذهب بين الساق والقدم

حيرى تقلبها حال وتبعدها ؛ كذا يكون رجوع الآبق السدم

وله فيه قصيدة أخرى يقول في نسيبها

شموس لهن الخدر والبيت مغرب ؛ فطالعها للبين والهجر غارب

ولكن شمس المعالي خلافها ؛ مشارقه ليست لهن مغارب

وما القبوك الشمس الا وقد داوا ؛ بانك شمس والملوك كواكب

اقول لزوار الامير ترجلوا ؛ فمن زاره من راجل فهو راكب

وان زاره الفرسان كنت كفيلهم ؛ بان يرجعوا والخيل فيهم جنائب

الا ابلغا عني الامير رسالة ؛ تدل على اني على الدهر عاتب

الى كم يحل المرء مثلك بلدة ؛ بها منبر فيه لغيرك خاطب

عليك بهذا السيف فاقض ديونه ؛ فللسيف دين عند كفك واجب

ولا تقعدن تقضي الجفون على القذى ؛ وفي الارض مركوب ورمح وصاحب

غريمك هذا الدهر فالزمه تغترم ؛ فلن يوقظ الغرام الا المطالب

وانت ابن عم السيف بل انت عمه ؛ وكيف يخاف الاقربين الاقارب

الَبس

الَبس ابوكم وشمكير وجده ؛ زيار ومرداويج عم مناسب

تحرك بنا اما لواء ومنبر ؛ واما حسام كالعقيقة قاضب

وللقاضي ابي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه قصيدة اولها

امسرى خيال الهاجر المتجنب ؛ ومجرى دموع الزائر المتطرب

سالتك بالدهر الذي صرت بعده ؛ قذى ناظري من بعد ان كنت ملعبي

اعني على عين اذا ما وعدتها ؛ بقربك قالت للدموع تاهبي

ولما تداعت للغروب شموسهم ؛ وقمنا لتوديع الفريق المغرب

تلقين اطراف السجوف بمشرق ؛ لهن واعطاف الخدور بمغرب

فما سرن الا بين دمع مضيع ؛ ولا قمن الا فوق قلب معذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه ؛ تلاعبه بالفيلق المتاشب

همام يراه المال اسرع حادث ؛ الى حتفه والقرن اخوف معطب

يفض العدى اطرافه قبل عزمه ؛ ويطرقهم رعبا ولم يتاهب

ومنها يصف الزانات

وزرق على سمر تظل اذا هوت ؛ تلاحظ اعقاب الشهاب المذنب

ترفعن عن طيش الرماح وذولة ؛ السهام وتقصير الحسام المجرب

تحزن ظبات البيض ثم وصلها ... اليمن من سمر الرماح بأكعب
فلن منال السهم من متبعد ... وقمن مقام السيف من متقرب
فتى ما تلاقت همتان بصدره ... ولا يشهد الخلي برأي مشعب
له الهمة العلياء والمنصب الذي ... يتبعه الجوزاء ألحاظ متعب
إذا نعض أطراف الرجال تقاصرت ... عن المجد ألفوه كريم التقلب
يزاحمهم من وشمكير بمنكب ... ومن سلف الاصبهبذين بموكب
ويذهب من مجد وعز ومفخر ... بآثار مرداويج في كل مذهب
وما خلصت للمرء مسعاة والد ... إذا لم يقابله بحال مهذب
كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا ... إذا رامه عن كل خرق مجحب
يحوز معالي اردشير بخاله ... ويعلو الربى عن شاوساسان بالأب

ولما انتهت الهزيمة بالقوم إلى الري على جملة الانكسار وذلة
الافتسار وسبة القتل والإسار قطع عليهم سياط العذل
والتعنيف وملئت عيونهم من نفثات التعيير والتشوير و
كان أبو علي الحسن بن أحمد بن حموية على الوزارة فاختار عشرة
آلاف رجل من بهم الديلم وفتاك الأتراك ونخب العرب

والأفراد الأكراد وسار بهم في منوجهر بن قابوس وبيستون بن
بيجاسب وكنار بن فيروزان ودشاموج بن أخت عظيم الديلم
وموسى الحاجب وشاذبور بن كردوية وأبي العباس بن جاني
وعبد الملك بن ماكان وهؤلاء رتوت الجبل والديلم حتى
أظل جبل شهريار وبلغ شمس المعالي قابوس إقباله فاستنفض الطرق
واستظهر بشهريار بن شروين استعدادا لمواقعته وتنجزا
لوعد الله في نصرته وتثبيت وطأته واستتمام ما أعاده الله
إليه من نعمته وحاذر أبو علي بن حموية مما لاه نصر بن الحسن
بن فيروزان شمس المعالي وانقطاعه إلى جانبه فواصله بكتبه
نافثا في عقدته فاتلا في ذروته نافخا بسحره في سحره وملقيا
إليه أن القرابة الوشيجة بين أبي طالب بن فخر الدولة وبينه
لو صادفت منه حلمها في الإشفاق على دولته والانتداب
لنصرته لكان أحق الناس بسياسة أجناده وزعامة ممالك
بلاده وأنه الآن متى سلك طريق الخدمة وجانب جانب
التهمة وحافظ على حرمة اللحمة لم يعدم ما ينواه من ترتيب

وترحيب وتنويل وتخويل وتفخيم وتقديم واذن له في
الانتقال الى قومس الى ان يدبّر امره بمقتضاه فارتاح نصر
لما شامه من تلك العقيقة ووثق به على الحقيقة وسار
نحو سارية ثم قرض الجادة ذات اليسار وركب ذات اليمين
فيما يلي طراستك وآباذان حتى اذا حاذي رقعة قومس اوقع
في اصحابه رائد في طاعة ابي طالب وانه ما عاش رفيق حده
ونصير دعوته فاختلفت عليه كلمتهم حين افصح بتدبيره و
باح بسر ضميره فمن فرقة رجع الى الاستندارية وفرقة
الى جرجان في طلب الامان ورحل نصر في الباقين حتى اناخ
بقومس وسال ابا علي بن حموية تمكينه من بعض القلاع ليحصّن
فيه عياله واثقاله فمكنه من حصار جومند فاستوطنه
واودعه ماله ومن معه ولما امن ابو علي شره وغائلته
توجه نحو سارية على قصد جرجان فلما اطمانّ بها اسرى
منوجهر بن شمس المعالي قابوس الى ابيه عائذا بالله من عقوقه
وكفران ما فرض الله عليه من حقوقه فارتاح ابو علي من بستون

بن

بن تجاسب لاشتراكهما في نسبة الجيل وارومة ذلك القبيل
واشفق من صغوه القديم في خدمة شمس المعالي وحنّه اباه
واهتبال الغرّة في مراجعة جملته فاخذ بالحيطة في اعتقاله
ورده الى الري في وثاقه وامتد الى طاهر جرجان فيما يلي تبر
الداعي فعسكر به وتواصى اهل الحفاظ والحمية والانفة
الابية من اصحاب شمس المعالي بالترافد في التجالد والتسالم
على التقاتل والتماسك عند التعارك وشدوا احيازيمهم
للقراع وفرغوا ظنابيبهم للمصاع وناصبوهم الحرب طرفي الصباح
والرواح لا يسأمون وقع الصفاح ولا يألمون لذع الجراح
حتى عبر شهران كيوم واحد في مغامسة الكريهة بين تلكف
وبدبهية ومس عسكر جرجان ضيقة لانقطاع المواد عنهم
فاستعصموا بالنفوس الشريفة وتغنّوا طول تلك المدة بالبلغ
الخفيفة موثرين شرف المقام على شبع الطعام وردّ الشجاعة
على سد المجاعة واصاب الآخرين تلك الضيقة فانتقلوا من
الفضاء بقرب الداعي الى جانب محمداباذ اشفاقا في العلوفات من

حمية جناشك فتداركت عليهم الامطار حتى اعوزهم
الاستيار وماجت عليهم الارض بالطوفان فتساقطت الخيام
وساخت القوائم والاقدام وعندها برز انصار شمس المعالي
اهل الحقائق من وراء الخنادق واجحوا نار الوغى كضاريه
القشاعم وداهية الاراقم وثبت بعضهم للبعض جلادا من
مطلع الفلق الى مسقط الشفق محكمين متون الصوارم في
شؤون الجماجم وذوابل الصعاد في مناهل الاكباد وزرق
الزانات في سود المهجات حتى اذا زلت قدم العصر اتى امر الله
بالنصر فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار
ولا نافخ نار واسر من عظمائهم اسفهسالار بن كوركيج
وزرهوا وحسنان بن اسكلي واخوه حيدر بن سالار
ومحمد بن وهسوذان واشتملت المعركة على الف وثلثمائة
رجل ممن اضجعتهم الحتوف وسطحتهم على الارض السيوف
وافاء الله على الجيل غنائم لا يستو عبها بيان ولا يستثبتها بنان
ثم راي قابوس ان يوعز بمداواة الجرحى وفك الاسرى

وصرفهم

وصرفهم وراءهم بالخلع والكرامات والاحبية والصلات
شكرا لنعمة الله فيما اولاه واكبارا القدر منته في تحقيق
ما رجاه وانشدني ابو منصور الثعالبي ابياتا له في ذكر هذا الفتح
الذي نظمه الله في سلك ايامه ولحق الذي اقره منه في نصابه

الفتح منتظم والدهر مبتسم ❊ وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والحق مرتجع ❊ والشعب ملتئم والجور مصطلم
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ❊ ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المشرقين ومن ❊ به تتيه العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو الـ ❊ ـبدر التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه ❊ فهما ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم وقد سارت مآثره ❊ كان علياه من دنياه تنتظم
والماء من جوده المامول منسكب ❊ والنار من باسه المرهوب تضطرم
والارض من صدره والريح من يده ❊ والروض من خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته ❊ يلقى السعود عليه الدهر يزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا ❊ وعاش الفتح منشورا له العلم

يا من إذا اعتصمت صيد الملوك به * أمسى وأصبح بالرحمن يعتصم
أبل الحديدين بالعزم الحديد ودم * للملك يخدمك التوفيق والقسم

وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي في ذلك لنفسه

لا تعصين شمس العلى قابوسا * فمن عصى قابوس لاقى بوسا

نعم ولما بلغ أبو علي بن حموية قومس منهزمه عن تلك المعركة
أرسل إلى نصر بن الحسن بن فيروزان يسأله تعجيل اللحاق به
ليتعاضدا على لم شعث الهزيمة وسد ما جاش من منخرق تلك
الكشفة الذميمة ثم أعجله الطلب عن التوقف والتلوم فأوجف
نحو الري وأتاه نصر فلم يلحقه فاستوطن سمنان وتابع كتبه
إلى أبي طالب مجد الدولة رستم بن فخر الدولة مستمدا ومشمرا
لتلافي الخلل مجدا فتراخت المدة على استيناف أمداده و
اقتبال معونته وإنجاده ثم أمده ابن بكتكين الحاجب في زهاء
ستمائة من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم ورماه
شمس المعالي بأبي بن سعيد في رجال من الجيل وكتب إلى الأصبهبذ
شهريار بن رستم لمعونته وإزاحة علته فصمد صمد نصر مرخيا

عنان

عنان التحفظ ومغمضا جفون التيقظ وقد كان نصر سد الطرق
على أنبائهما سترا للخبر وسحبا لذيل الكتمان على أثره فاتفقت
إنافة أبي بن سعيد عليه على حين تقطع من رجاله وتفرق
من أكثر أصحابه فثنا وشب الحرب ساعة ونصر مستعد وأمره
في القراع جد ثم اضطر أبي إلى الانقلاب على بارح الخيبة
وفشت الهزيمة فيمن تلاحق به وتراخى عنه من دون أبي عسكره
وجرى عليهم من القتل والأسر ما اعتد به نصر في مساعيه
عند أبي طالب تغسل به وجه حاله وجلا عليه صفحة إقباله
وأنهض عند ذلك رستم بن المرزبان خال مجد الدولة أبي طالب
في ثلاثة آلاف رجل مددا لنصر وعقدت له الأصبهبذية
على جبل شهريار فتلقاه نصر إلى دنباوند وساعده على صعوده
وامتلاك حدوده ولجأ الأصبهبذ شهريار إلى سارية وبها
منوجهر بن شمس المعالي معتصرا بعقوته ومعتصما بعروته
فأصاب أهل قريتهم غلاء عم بلاؤه وشمل الكافة داؤه و
سببه بسط الأيدي بالغارات وانتهاب ما أوعته الرعايا

بلد ارماق من الاقوات فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل فلم يمنعه الاصبهبد عند انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى حد الري منخوبا منكوبا ومخذولا مفلولا فصفت له ناحيته واستحكمت عنه شذاة نصر وعاديته وكان ابو نصر احمد بن محمود الحاجب قد الجاه بعض المحن التي دهته الى خدمة شمس المعالي فمهد له كنفه وحكم في اصطناعه شرفه ووالى الرغائب والصنائع اليه وملأ من الاموال يديه وستهل ركوب المطار عليه ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزاح العلة بعدد الكفاية من ذوي البسالة والنكاية فخف اليه بجاش ثبت ووجه على الحادثات صلت واحرق عليه الارض حربا بكرا على يده وعوانا على ايدي اعوانه ومدده ثم حمل على جموعه حملة شردتهم كل مشرد وطردتهم بين اعين البيد كل مطرد وعلق في حبالة الاسر جستان بن الراعي وابن هندو وغيرهما من اعيان القواد واصطفت على جدالة الحرب من القتلى

ما شبعت به الضباع بل سمنت عليه الوحوش الجياع وانهزم نصر من بين يديه الى سمنان وكان نصر على جلالة بيته وفخامة عشيرته ورهطه مغرما بالظلم مغرى بالحيف والغشم وقد وافقت ولايته مدرجة الحجيج وزوار البيت العظيم وزمزم والحطيم فشملهم غشمه في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة والمعاملات المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة وحبط عليه جمال تلك الجملة الموروثة ولعل عثار الزمان به عدوى ضجيج الحجيج عنه بالاستغاثة في حالتي الوقوف والافاضة وواصل نصر الري بكتبه في الاستنفار والاستنهاض من صرعة العثار فمد له في طول التطويل بانواع التعليل والتأميل كما قيل مواعيد كالآل سراب المهمه القفر فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة ابا طالب وشمس المعالي قد تصالحا على احتيال تحصيله والظفر به فساء ظنا وضاق بالامر ذرعا ونمي اليه ان بعض قواد السلطان يمين الدولة وامين الملة وكان يعرف بارسلان هندوبچه والي قهستان فداوقع

بابي القسم السيمجوري واجلاه عنها الى الجنابذ فاغذ السير
اليه على مظاهرته والتخصص بمرافقته ومصاقبته وجعل
يحطب في حبله ويفتل في ذروته بحيله وختله ويزين له
قصد الري معه لامتلاكهما على ابي طالب ايهاما لبغل البنات
في طاعته ودخن الاهواء في متابعته فاغتر ابو القسم
بتغريره وانجر في جريره وسار الى خوار الري فلقاه من
سرعان الكتائب من غص بهم لهوات تلك المخارم والمسارب
ولما راى ابو القسم ان الامر جد والطريق منسد خنس
وراءه عاضا على البنان منخزلا لعارض الحرمان وبلغ شمس
المعالي انصرافه مع نصر عن وجه الري فقذفهما بعفاريت
الاكراد من كل جانب ودحرهم عن حدود مملكته بعذاب
واصب ولما رايا ان الارض تلفظهم يمينا وشمالا وتنفيهم
جنوبا وشمالا تواءمرا على قصد السلطان يمين الدولة وامين
الملة مستامنين اليه ومستعديين على الزمان بالمثول
بين يديه فنميا الى حضرته وتوشحا بجمال خدمته فاما ابو القسم

هرب

فهرب على ما سبق ذكره الى ان اودعه الحبس اسره واما
نصر فاقام على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه
بياورد ومنزد طعمة له فنهض اليهما واثبت عليه همة القناعة
بهما فلم يزل يضطرب في حبالته الى خدع من الري وحمل منها
الى قلعة استونا وند فجعلت عليه حصيرا وساء ذلك مصيرا
ووكل شمس المعالي بعد ذلك بحوالي القلاع فيما بين جرجان و
استراباد وما وراءها من احاط بهم احاطة الخلخال بخدمة
البعير حتى افتتحها غيلة ومكيدة ومراعاة لحقوق الاستسلام
والتسليم وكيدة فصفت له تلك الولاية بحدودها وحواشيها
وقلاعها وصياصيها بما اعد من زبد الاحقاب فيها واتفق
بعد ذلك اخلاد الاصبهبد بجبل شهريار الى جانب المجانبة
في طاعة شمس المعالي وادعاؤه الامر لنفسه اغترارا بما اجتمع
له من الوفر والتف عليه من العدد الدثر والعسكر المجر
فرمى من جانب الري بابي علي رستم بن المرزبان خال ابي طالب
في صناديد الديلم وفيهم بيستون بن تيجاسب المقبوض عليه من قبل.

في التظني بموالاة صاحبه قابوس فنصب له الحرب
قراعا ومصاعا وثقافا ونقافا وكان عاقبة امره ان
كسر فاسر ونادى ابو علي رستم بن اصبهبذ بمكانه
بشعار شمس المعالي لوحشة كان استشعرها من اهل الري
واقام الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما
فتح الله له على يده وهاجر ابو حرب بيستون بن تيجاسب
الى ارضه المقدسة من فناء صاحبه وولي نعمته فانشرح
صدره وقرت بالاياب عينه وطاب بالايناس والاحسان
عيشه لو لم يعجله عن الحيوة حينه وانضافت ممالك الجبل
باسرها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالي
منوجهر ابنه سمي من لو عاش الى زمانه لرد عليه عواري
مفاخره ورجع اليه حلى آثاره ومآثره وانفتحت بعدها
عليه الرويان وشالوس وما وراها من الحدود الاسفندارية
فصارت ولايته تشرق بنور العدل والاحسان وتبسم عن
ثغور الامن والامان وواصل شمس المعالي السلطان يمين الدولة

... عبد الكريم بن احمد الشالوسي الطبري فقيه عصره ومفتيها وكان عفيفا زاهدا
دينا بين الزهد والعلم

وامين

وامين الملة بكتبه ورسله في عقد وثيقة يتحصن بها
من صروف النوائب ويستظهر بها على وجوه المطالب و
تقدم بين يدي نجواه من انواع ما خرج من الحد والمقدار
حتى تاكدت العصمة وتاربت العقدة واستحكمت الالفة
واستحكمت الثقة وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل
البحر وديار الديلم والجبل بحكم الحال المتشجة كاحدى ممالكه
التي يحتكم عليها آمرا وناهيا ويتبسط فيها حاضرا وباديا
فلله شمس المعالي في همة له بين المجرة مجراها وفي بحار الكرم
مجراها ومرساها فلم نسمع في شيوخ الملوك باشرف منه
قيمة واوطف ديمة واكرم شيمة واصدق بارقة مشيمة
واوفر عقلا وتحصيلا واظهر جملة وتفصيلا واغذى
للنفس بعفاف الحكمة واجزى للبدن بكفاف الطعمة قد
فطم النفس عن رضاع الملاهي فلم يعرف اللهو ما هو ولا البطالة
ما هي علما منه بان الملك واللهو ضدان وان ليس لا لتقائهما
تدان ولقد احسن ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب في نظمه

هذا الرأي بقوله

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا ۞ فاحكم على ملكه بالويل والحرب

اما ترى الشمس في الميزان هابطة ۞ لما غدا برج نجم اللهو والطرب

نعم ولا احرص على انصاف اصناف الرعية واخذ باطراف

العدل في القضية وابرع في الآداب والحكم واجمع

بين ذرابة السيف وذلاقة القلم ورسائله موجودة

في البلاد عند الافراد لكني اكتفي منها بلمعة من بوارق

بيانه وزهرة من حدائق احسانه اذ كان في تصفحها

ما يغني عن التكثر في هذا المكان بها فمنها رسالة انشأها

في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم يعقب

رسائله القديمة وقرائنه اليتيمة وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان اصعب الامور واشرفها بين الجمهور هو الخروج بالنبوة

والاستعلاء على الخلق بهذه القوة لانه تقليب الوجوه عن

القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة

بر الاحكام الشرعية من التكليفات اللازمة امرا ونهيا (uncertain reading)

ومخاطبة

ومخاطبة الخلق عن الخالق خالق لا يدركه ابصار الخلائق

وقد اعتلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذروة هذا

الشرف وصار لمن سلف من الانبياء خير الخلف وفاز

بمزية هذا الذكر العظيم واذاق العرب لذة النعيم ونقلهم

الى الثروة والغنى من الفقر والفاقة واراحهم من رعاية

الجمل والناقة وليس وراءه لابتغاء العلى امد فما فوق السماء

للسمو مصعد ثم ضبط الامر بعد زعيمه على نظامه واقامه

في قوامه وهذا ما تولاه ابو بكر رضي الله عنه حين ودع عمره

من غير ان سلم الى احد امره فانه قام به قيام ثابت القلب

مستقل بمقاومة الخطب غير مفكر في رد راد ولا مبال بمعاداة

معاد حتى حمى حريم الدين وجمع شمل المسلمين ولم يرض بان يثلم

ببيضة الشريعة ثلم ولا ان يتغير من احكامها حكم فلقب

خليفة رسول الله بانتدابه لحياطة دين الله ثم تحصين حوزة

الاسلام من عوارض الفساد وعادية الاعداء والاضداد

والمجاهدة في استضافة ديار المخالفين الى جانب الاسلام و

بيد اصحابه وعمر رضي الله عنه العراق الى الحرمين الشام بجزيرها (uncertain reading)

وسخرها سماه ايام وجيوشه م (uncertain reading)

مجامع المسلمين وهو ما اتاه عمر رضي الله عنه لما آل اليه الامر
فانه صرف جنده الى الجهاد وقصر وكده وكدّه على افتتاح
البلاد حتى اتسع نطاق هذه الملة وخضعت الرقاب لاهل
هذه القبلة فلقب امير المؤمنين اذ كان نعم العون لرسول
رب العالمين وقد فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الامر
الاعظم والشان الافخم واطفاء لهيب كل ملتهب على رغم
من ابي لهب والتام بسعي الشيخين شعب الامرين الآخرين
وبلغ من الاحكام مبلغا ليس فيه مستزاد ولا يشين بياض
غرته سواد ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد
ومراعاة بناء مشيد فلم يقدروا على القيام به واحتجبوا
وراء حجابه ولما انتقلت الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه
كان منه ما كان من تبديل زي النسك بزينة الملك وتغيير
سيرة الائمة حين توسع في النعمة حتى اجتنى ثمرة ما جنى
وتنبه به سوء ما اتى ولما عادت الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
هاجت الرياح من كل جانب وظهرت معاداة اعداء الدين

وعميت عيون اهل اليقين وندت الاوابد وتبدلت العقائد
وتحول امر الدين ملك المغالبة ودول القتال والمجاذبة
ووقعت الخلافة في الخلاف وبرز الشر من الغلاف وبقي
علي رضي الله عنه على اضطراب لا تمهيدا وفي مداواة داء لا
يبرأ مع شجاعته المشهورة ومآثره المأثورة وانتهى آخره
الى ما انتهى حتى جرى عليه وعلى عقبه ما جرى فلينظر اذا كان
الامر كذلك اهؤلاء احق بالقدح ام اولئك قد مضى القوم
وآثارهم في الاسلام كالشمس في الاشتهار والهباء في الانتشار
وصنيعهم صايح يحث على الفلاح وليس بايدي الخصماء سوى
السفاهة والصياح وقرأت توقيعا له الى بعض الافاضل
يستقدمه حضرته ليتوخى مسرته محال لمن سمت به همته
الى قصد من يغلو عنده قيمته ان يكون على غيره عرجته
ولبثت من سواه زيارته وحجته كما خطه فخطه المحاسن
فسمه ان شئت وشيا محوكا او تبرا مسبوكا او درا مفصلا
او سحرا محصلا وكان اسمعيل بن عباد اذا قرا خطه يقول

أهذا خط قابوس أم جناح طاوس نعم كما قال المتنبي

في خطه من كل قلب شهوة ❊ حتى كأن مداده الأهواء
ولكل عين قرة في قربه ❊ حتى كأن مغيبه الأقذاء

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان وايلك الخان في التواصل والتصاهر والتعاقد على التعاون والتظاهر الى ان خلعت بهجة البشر وكشرت عن أعصل الشر

قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على الغدرة بآل سامان اغتنم تطهير ما وراء النهر عن كل منتسب الى تلك الأرومة ومتشبث بشعب تلك الجرثومة فلم يدع هناك ذا ظفر الا قلمه ولا ذا حد الا اجتاحه واصطلمه ثم كان السلطان مهنيا له بما ذخر الله له من خالصة الملك وصافية الملك وظاهره اليه من ظاهرة العز وباطنة الصنع ومعتدا لنفسه بما قطفه من عنقود رجائه ملاوة على صفقة اقباله وعلاوة على جماله وجلاله وتردد السفراء بينهما في وصلة تبل رحم الحال وتوكد اسباب المودة والوصال وتحمي حريم الثقة

في الجانبين

في الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات البين وتؤدي رتبة الاختلاط الى الامتزاج وقربة الاشتباك الى الاتشاج فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه مصالحها متساعدة وانهض السلطان عند المامه كان بنيسابور في طلب ابي ابرهيم المنتصر ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام اهل الحديث بها رسولا الى ايلك الخان وضم اليه طغانجق والي سرخس في خطبة كريمته عليه ونقلها في صحبته اليه واصحبه ما عدا العد والحد من سبائك العقيان ويواقيت النهرمان وعقائل الدر والمرجان وتخوت الوشي والحبر ونوادر البدو والحضر وصواني الذهب مملوة من بيضات العنبر واواني الفضة منضودة بشمامات الكافور وغير ذلك من شارات الهنود وقطاع العود وذكور النصول واناث الفيول تحت حدوج معشاة بذوات التعاريج من الوان الديابيج منطقة بعصائب تخطف العيون بريقها وتصطخب على الاقتاب معاليقها وعتاق ضوامر كالقداح تخدو

كمتون الصفاح وغرر كنجوم الصباح وقوائم كمنخرق الرياح
وسنابك كفلق الصفاح في مراكب كأنما جلي بعضها من
قطع عقيق او شعل حريق وجلي سائرها بنجوم الثريا والنثرة
وبنات نعش من وراء المجرة وقرن ذلك كله بأموال على
سبيل الالطاف تغمر ذوائب الاوصاف فسار الامام ابو الطيب
الى الملك الخان كريما ينقل كريمة ويحمل من بحر الترك الى ايران
درة يتيمة تطلع على الملك واهل بيته طلوع النجم طاب ايابه
بعد ان طال اغترابه والحبيب لطف اعتنابه بعد ان قدم
هجره واجتنابه اعظاما منهم لقدر وفادته عن باب السلطان
في ذلك المهم من الشان ثم لفضله في نفسه فهو الامام المقدم
والصدر المحتشم ومن لا يقرن الى ربابته ضرب له في
ابواب الفضائل وخصوصا في خلافيات المسائل واقام باوزجند
الى ان فرغ من امر الزفاف وازيحت علته في الانصراف فعاد
على جناح النجاح مصحوبا بمجلوبات الترك من نقر المعادن
ونوافج المسك وقود المراكب عنس الركائب ورود الوصفاء

والوصائف

والوصائف وبيض البزاة وسود الاوبار ونصب الختو واجياد
البيش وطرائف الصين فتحدث الحال بين السلطان وبين الملك
الخان اتحادا اشترك فيه المرابع والنعم واستهم فيه الصنائع
والخدم وبقيت على جملتها في التاحد والتاكد الى ان نزغ الشيطان
بينهما فتغلت الضمائر وانحلت القوى والمرائر وتولى السيف تدبير
ذلك الوصال الحل معقوده وفصل مسروده وسياتي الشرح على
الوقائع التي جرت بينهما في موضعها على الاثر فاما الان فاني اشير
على نبذ من محاسن هذا الشيخ السفير والكافل في الامر في التدبير
واتبعه بذكر رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان الذين
لم ينظم اضرابهم زمان واحد في سلك ملك فمن منثور كلامه
قوله من تصدر قبل اوانه فقد تصدى لهوانه يشير الى قول
منصور الفقيه الكلب اعلى همة وهو النهاية في الخساسة ممن
ينافس في الرياسة قبل اوقات الرياسة وقوله العقل اطيب
عيش والعدل اغلب جيش وقوله اذا كان رضى الخلق معسورا
لا يدرك فان ميسوره لا يترك وقوله انما يحتاج الى الاخوان العشرة

لمكان العسرة وقوله من تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى عونه وتوفيره طلب ملك علة اذا عاتبته على تقصيره كانه ألمّ فيه بقول القائل

توقّ الناس يا ابن ابي وامّي ۔ فهم تبع الحماقة والرجاء
الم تر مظهرين عليّ عتبا ۔ وكانوا امس اخوان الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا ۔ عليّ اشدّ اسباب البلاء
ابت اقدارهم ان ينصروني ۔ بمال او بجاه او ثناء
وخافوا ان يقال لهم خذلتم ۔ صديقا فادّعوا قدم الجفاء

ولبعض اهل العصر فيه

كلام الامام امام الكلام ۔ ونوه يفوه بحرّ النظام
مزاج معانيه في نظمها ۔ مزاج المدام بماء الغمام

وله فيه

الا ايها الشيخ الامام ومن به ۔ تبلّج افق الدهر عن غرّة البشر
لئن كنت في الدنيا وانت وسامها ۔ عيانا فان الدرّ في صدف البحر
ولم تحوك الدنيا لانك دونها ۔ ولكن لان الشيء يحصن بالقشر

وقد صين نصل السيف تحت قرابه ۔ كما صين نور العين بالجفن والشفر

ومن اعيان رعايا السلطان بنيسابور ابو نصر احمد بن علي بن اسمعيل الميكالي وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال جملته فضلا موفورا وادبا مشهورا وعزا معقودا ومالا ممدودا ورايا كالاري مشارا وحزما كالمرائر مغارا وودها يسلخ الليل البهيم نهارا ونظرا يستكشف استار المصائر ويستكشف اسرار الضمائر وشعرا ينفي السخ والجوهر ذكي المسك والعنبر رضي المورد والمصدر ومنه قوله

يا بي العلى والمجد والاحسان ۔ والفضل والمعروف والكرم بانى
ليس البناء مشيدا لك شيده ۔ مثل البناء يشاد بالاحسان
البرّ اكرم ما حوته حقيبة ۔ والشكر اكرم ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولّى عمره ۔ كفل الثناء له بعمر ثان

فاما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال في تحكي بما تحويه من لطف العبارة وحسن الاستعارة ومعسول الاشارة والشارة رياض مشتاة الى قرارة ومن منثور كلامه

رسائل منها ما كتب به الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير اقرانيه
كاتبه بسم الله الرحمن الرحيم كتب العبد وحاله
فيما يديمه مولاه من شرف اقباله ورضاه ويفيضه عليه
من ملابس فضله ونعماه حال من يقبل عليه دنياه ويسعد
في ظل دولته باولاه واخراه والحمد لله رب العالمين و
وصل كتاب الامير موشحا بدرر خطابه وغرر الحابه وبدايع
بره وافضاله وروائع انعامه واسباله فيما اكرمني به من
عز العبادة والبسنيه من حلل الفوز والسعادة وشرفني به
من التهنية عن العافية المستفادة فاوصل عزا اسمي على الايام
اثره ولا يخلو عن الزمان ذكره ومفخره وفهمه العبد فهم
من انس منه رشدا واقتبس من اثنائه قوة وايدا وسجد
لله شكرا على ما افاضه عليه من سجال السلامة ومد عليه من
ظلال الفضل والكرامة ورغب اليه في اسباغ العوارف عليه
وصرف المحاذر عنه فاما ما اهل الامير العبد له من شريف
كتابه ولطيف خطابه ورقاه اليه من درجة العبادة اولا

ومنزلة التهنية ثانيا وانفاذ القاصد ثالثا فان ذلك من
نتايج همته العالية ودواعي شيمته الزاكية التي تحنو على
اوليائه وخدمه وتعطفه على اغذياء نعمه فليس له في
مقابلة ما اولاه ومعارضة ما كساه الا الشكر يديمه والنشر
يقيمه والرغبة الى الله تعالى تخلصها في اطالة بقائه وادامة
عزه وعلائه وانماضه بمواجب خدمته ومعرفة قدر نعمته
بمنته ورحمته هذا ولو ملك العبد في مقابلة هذه النعمة
على جلالة قدرها ونباهة خطرها وذكرها غير بذل المهجة
والقرونة في الطاعة واستنفاد الوسع والطاقة غاية لبلغها
تقربا الى حقوقه بما يقضيها ويؤدي شرط العبودية فيها و
حكم على نفسه بالعجز والتقصير معها واذ قد حرم المراد
فما يتمسك الا بالرغبة الى الله في ان يتولى من مكافاته ما لا
يسمح به الا يده ولا يفي به الا مجده فهذا هو الكلام الذي
ليس به عثار قد ولي الفضل تحبيره وملك العقل رسمه
وتصويره والقليل منه على الكثير دليل وكلام الجليل كقدره جليل

كما قيل ٭ قليل منك يكفيني ولكن ٭ قليلك لا يقال له قليل

وقد اكثر الشعراء في مدحه لكني اثبت ابياتا لابي بكر الخوارزمي فيه من قصيدة اولها

زور المنام الى طيف خياله ٭ لو ان طيفا كان من ابداله

ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع ٭ شكر الامير وقد غدا من آله

لا ينتسف الالحاح نائله ولا ٭ سئول امرئ ينهاه عن اسآله

الوفر عند نواله والنيل عند ٭ سؤاله والموت عند صياله

والخلق من سؤاله والجود من ٭ عذاله والدهر من عماله

ونعاله لمقاله وسماله ٭ كيمينه ويمينه كشماله

تتجمع الآمال في امواله ٭ تتفرق الاموال في آماله

لا علم الا عزه في عزه ٭ لا حر الا حاله من حاله

وله علوم لو قسمن على الورى ٭ ما زاد عاقله على جهاله

وخلائق لو انهن كواكب ٭ اضحى السهى في الضوء مثل هلاله

وفصول قولهن اعذب مسمعا ٭ من راحة المشغول من اشغاله

سمح البديهة ليس يمسك لفظه ٭ فكانما الفاظه من ماله

وكانما عزماته وسنونه ٭ في حدهن خلقن من اقباله

متبسم في الخطب تحسب انه ٭ من حسنه متلثم بفعاله

هبني وفيت بحمده من فضله ٭ من ذا يفي بالشكر عن افضاله

وله ايضا من قصيدة اولها

تلك الديار دريسة الاحقاب ٭ صنعت بعيني صنع ساكنها بي

والى الامير ابن الامير تواهقت ٭ رزحى الركاب برازحي الركاب

لبس الدجى لبس الغراب لرنئه ٭ وغدوا الحاجتهم غدو غراب

والفجر يطرف في الظلام كانه ٭ فضلات عتب في خلال عتاب

طلبوا امرا افعاله محسوبة ٭ ونواله فوضى بغير حساب

غدت المدائح وهي اسماء له ٭ ولغيره اضحت كالالقاب

والمكرمات كثيرة الخطاب ٭ الا انها تابى على الخطاب

متبسم الحجاب مكتئب العدى ٭ مثري النديم مجازف الحساب

شيم ارق من الهوى والذ من ٭ خطا العدو رددته بصواب

وعزائم لو كن يوما اسهما ٭ لنفذن في الايام غير نوابي

ماتية الحركات الا انها ٭ نارية الاقدام والالهاب

يخطرن بين سياسة ورياسة ۞ ويمين بين مثوبة وعقاب
قد اصبحت الفاظه صور النهى ۞ وقوالب الاسماع والالباب
واذا حللت له جنابا واحدا ۞ حل المؤمل منك الف جناب

وما آل ميكال الا كما قاله ابو الطمحان القيني

واني من القوم الذين هم هم ۞ اذا مات منا سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب ۞ بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ۞ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منا حيث كان مسود ۞ تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومما يعد من مفاخره بخيبان له ابو الفضل وابو ابرهيم عبيد الله واسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في ضيائه وعلائه وبحر في تياره ونمائه غير ان ابا الفضل ابرع في لطائف الادب وانظم لقلائد العرب وقد سار له من النظم والنثر ما يزري حبره بوشي صنعاء وزهره بروض صنعاء فمن فصول كلامه قوله وصل كتاب الشيخ فاذعنت القلوب لفضله بالاعتراف واختلفت الالسنة في وصفه ببدائع الاوصاف فمن ملح الله رقيه

الوصل

الوصل ورقية النحل ومنتحل انه عقد النحر وعقد السحر وسمط الدر وقائل هو سلاف العنقود ونظم العقود فاما انا فتركت التمثيل وسلكت التحصيل وقلت هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ووشي طبع حاكه سن القلم ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم وايضا له وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وريط الوشي الصنيع فلقبته بحلية الاحسان والابداع وحلية النواظر والاسماع ومسن الخواطر والطباع وصيقل الافكار والالباب وعيار المعارف والآداب واجتليت منه تميمة فضل ويتيمة مجد وثمينة عقد ولطيمة خلق وغنيمة بر يجلو صفحة العهد ويجيل قدح الانس ويجل عن قدر الشكر كلام اعذب من فرات المطر واعبق من فتات المسك والعنبر يزري بنور الخمائل وقد عطر بما انفاس الشمائل ومن منثور الفاظه اخلاقك قد اخذت من الورد عرقه ومن الند عبقه اخلاق هي المسك لولا فارته والورد لولا امرارته والماء لولا اسراعه الى الكدر والروض لولا حاجته الى المطر

ووجهه البدر لولا محاقه والمشتري لولا احتراقه وهو عاري
من العوراء كاس من العلاء وله الشرف اليفاع والامر المطاع
والعرض المصون والمال المضاع وله النوال السكب والراي
العضب وفيه الاباء المر والكرم العذب وهو واحد البشر
وثاني المطر وثالث الشمس والقمر لهفي على دهر الحداثة اذ غصن
شبابي غض وريق وثقل شرابي غض وريق النعيم عروس
مهرها الشكر وثوب صوانه النشر النعمة عنده من لومه تكتسي
اطمارا وتشتكي غربة واسارا ولي المغرود يرسف من الرعب
في حلق ويجري مع الريح في طلق دارت رحى الحرب بين اعمار
تباح ودماء تستباح واجسام تطاح وارواح تشغي بها الرياح
فالسيوف للهامات دامغة والرماح في الاكباد والغة ومن
نظمه قوله لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل اجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدي صبرا على ماكواك به
وقوله ضاق ذرعي في هوى قمر تم القلب وما شعرا
ليت اجفاني به سعدت فترى الجفن الذي فترا

وقوله

وقوله تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وعندي شعبة وفريق
اذا اطمئنت نفسي اقول لها اسقني فان لم يكن راح لديك فريق
وقوله انكرت من ادمعي تترى سواكبها سلي جفوني هل ابكي سواك بها
وقوله ان لي في الهوى لسانا كتوما وفوادا يخفي حريق جواه
غير اني اخاف دمعي عليه ستراه نفسي الذي ستراه
وقوله لنا صديق ان راي مهفهفا لا لطفه فان يكن في دهرنا ذو ابنة لاط
وقوله لا تصبحن بالحيوة ذائقه فكل نفس للمنون ذائقه
غني وقوله وكل يتيه به غني فمرتجع بموت او زوال
فمن حذى زوي جل الارض طرا اليس الموت يزوي ما زوي لي
ومن اعيان رعايا السلطان بناحية طوس وان كانت نيسابور
دار قراره ومعتقد ضياعه وعقاره ابو جعفر محمد بن موسى بن
ابي القسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب رضوان الله
عليهم اجمعين نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح
عمودا وقد خدم ملوك آل سامان وعاشرهم وزراهم وكتابهم
والتقط محاسنهم وآدابهم فالفاظه ينابيع العلوم واقواله مرابع

العقول

ومجالسه حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل فلم تبق
يتيمة خطاب ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا درة
نكتة ولا طرفة حكاية ولا فقرة رواية الا وهي عرضة
خاطره ونهزة هاجسه ونصب تذكره ومثال تدبره و
تصوره لا تصدأ صفيحة فكره ولا تدرس صحيفة ذكره
ولا يخسف بدر معارفه ولا ينزف بحر لطائفه ثم هو واحد
خراسان من بين الاشراف العلوية في قوة الحال وسعة
المجال واتساع رقعة الضياع وارتفاع قدر الارتفاع و
واستداد باع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وقد
كتبت عنه من نوادر الاخبار والاشعار ما حكيت بعضه
في كتابي الموسوم بلطائف الآداب وسأورد الآن نكتا مما
قاله وقيل فيه ابانة عن غرر معاليه فمن شعره قوله

وشادن وجهه بالحسن مخطوط ❊ وخده بمداد الخال منقوط
تراه قد جمع الضدين في قرن ❊ فالخصر مختصر والردف مبسوط
لو كان ادركه لوط النبي لما ❊ نهى لنا ابدا عن مثله لوط

وقوله

وقوله قديت غزالي فهو ملكي حقيقة ❊ يلذ به عيشي اذا انا بنيهم
جميل محياه وكالدعص ردفه ❊ لطيف سجاياه وليس له خصم

وقد اكثر الشعراء والادباء فيه فمن ذلك قول ابي الفتح البستي

انا للسيد الشريف غلام ❊ حيث ما كان فليبلغ سلامي
واذا كنت للشريف غلاما ❊ فانا الحر والزمان غلامي

ولابي الفضل الهمداني المعروف ببديع الزمان فيه

انا في اعتقادي للتسنن ❊ رافضي في ولائك
وان اشتغلت بهؤلاء ❊ فلست اغفل عن اولئك
يا عقد منتظم النبوة ❊ بيت مختلف الملائك
يا ابن الفواطم والعواتك ❊ والترائك في الارائك
انا حائك ان لم اكن ❊ عبدا لعبدك وابن حائك

ولبعض اهل العصر فيه

عيد الربيع عيد المهرجان اتى ❊ اهلا بعيد اتى عبدا يحييه
العبد لا لاوه يبقى الى امد ❊ وعبدنا دائم الآلاء باقيه
لا زال سيدنا في ظل دولته ❊ وظله دائما ممن يواليه

مُحكماً في رقاب الأرض قدرته ✱ يجني له ثمر الإقبال جانيه

أعشاره المجد والبشرى حلائبه ✱ خراجه الدهر والدنيا جوابيه

وبنى بنيسابور داراً تنافس أهل الفضل في ذكر بنائها ووصف شرفها وسنائها فمن ذلك قول البديع الهمذاني

دارٌ قسمت عراصها تحكي الأباطح والرصافه ✱

تحكي بني المروة والنبوة والخلافة والضيافه

فيها المصاحف والمعارف والسوالف والسلافه ✱

لازلت يا دار الكرام مصونة عن كل آفه

ومنها لأبي عبد الله الغواص

يا دار سعد قد علت شرفاتها ✱ بنيت سنيمة قبلة للناس

لورود وفد أو لكشف ملمة ✱ أو بذل مال أو إدارة كاس

ومن أفاضل العلوية أبو البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد وهو الملقب بجود بن الحسين بن علي وهو الملقب بالديباج المدفون بجرجان ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

رضوان الله

رضوان الله عليهم أجمعين نسب توارث كابراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب وقد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور الرياض جادتها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب **فمن نثره فصل له** أحب أن تكون مكاتبتي للأمير أنفاً لم ترتع وبكراً لم تفترع وسائبة لا تركب ولا تحلب فلا أشوبها بأرب ولا أتسبب إليها بسبب يعلل من نسبين ولا آواه طمع ولا يشوب دعواه عنت ولا طمع على أن الاضطرار يعتبر في وجه الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الأخطار والأحرار وفلان بمستحق الجوار ولقد نشر جرائد شكره وأظهر بحسن النشر خبايا بره فملأ الأرض ثناءً والسماء دعاءً وعادة الأمير أن يحيي الآمال ويسترق الأحرار بالأموال فليجعل منكراً ما هذا الأمل محظوظاً ولا يجعله محظوظاً والسلام **وله أيضاً** رقعتي هذه وأنا عائد معود وقاصد بالزيارة مقصود أخاطب أصدقائي بما أخاطب وأكاتب إخواني بما أكاتب سمائي وقدة وأرضي رعدة تنتابني الحمى

ولا تفارقني الشكوى نفسي نفسان ونفسي نفسان كان الحول
ساطرني فصوله فملت غرته وحجوله فالربيع بين عيني و
خيشومي والصيف كامن بين صدري وحلقومي ما عرفت
لعلتي هذه سببا إلا أني رأيت نفس الحرية متمسكة فشاد
في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال متناديه فاحتملت
عنها أذاها وقلت متمثلا لا متمثلا ونعود سيدنا وسيدنا
غير يا ليت الشكي كان بالعواد ثم ذكرت ما أعد الله تعالى
للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت عند ذلك ما
استعظمته وسهل مشكلي أن استوعرته وقلت مسح الله
ما بتلك النسمة من العلة وأعطى الشيخ بها أمانا من العلة
وأعمى عنه ناظر الزمان ولا طرق إلى فنائه طوارق الحدثان
وتمنيت أني واصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ مشاهدا
للحال وإقباله نحو البرء والإبلال ولكن حيل بين العير
والنزوان وعلى حالتي هذه فإني أستريح إلى خبر سلامته
وأحصل لنفسي منه منة وله أيده الله بإهدائه إلي يدا و

منة

منة ورايد في إنجاحي به موفق إن شاء الله تعالى

وله نظمه

واغيد سحار بالحاظ عينيه ∴ حكى لي تثنيه من البان أملودا
سلحت بذكراه من الصبح ليلة ∴ أسامره والكأس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها ∴ كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي

لئن كان ذنبي أني اعتللت ∴ فذلك ذنب صغير صغير
وإن كان هجري من أجله ∴ فذلك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحيوة ∴ وصد سواك يسير يسير
فزرني فلا تجد شاكرا ∴ لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقانق

فإن كنت تهوى اليوم أكل اللقانق ∴ فبادر إلى منزل جيد العراق
الجامع اللذات طيبا وجودة ∴ فقد حققه طاه بصنعة حاذق
تراه على السفود عند صلابه ∴ كزنجية زينت بحلي المخانق
فبعض بدا لي كالوشاح وبعضه ∴ منوط عليه في محل المناطق
فأنجح لقيت الخير في حاجة امرئ ∴ وفي بشرط الود غير مماذق

ومن افاضل اضرابهم القاضي ابو القسم علي بن الحسن الداودي
بهراة وهو عندي ممن يستحق ان يقال فيه ما قاله الصاحب
لبعض من كان يواليه لولا ان قدرة الله عندي جنس واحد
لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله جاوز
السبعين وناهز الثمانين واحد الانام منثورا ومنظوما و
ثاني الغمام معقولا ومعلوما يثبت للعلم خادما وسائر العلى
مخدوما فمن منثور كلامه فصل له من كتاب وصلت ملطفة
الشيخ فلطفت لغليل بردته ووجه بصبغ الارتياح وردته
بحبر سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة
الى السلوان وله فصل كيف لا اعتد بصنع الله لي في نخيلة
وده وعقيلة عهده وقد قلبني في الله اخا حين عز الاخاء
وعدم بين الاوداء الوفاء وكاد لا يصدق في وجودهما
رائد ولا يظفر بهما منشد ولا ناشد واصبحت المصافاة مخاتلة
ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومناجرة وقد كان المتحابون
في الله اقل من القليل والاسلام عليه رونق الشبيبة وهو في

بردته

بردته القشيبة وله فصل من كتاب كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل
لانعكاس شعاع الناظر ورد الفوارة ماء الغمام الماطر على المدى
الذي يذكره علي بن الجهم في صفة الفوارة

ترد على المزن ما اسبلت ∴ على الارض من صوب امطارها

وله فصل كان كل مجلس من مجالسه للانس مروقا وللازدياد
مشوقا فكان مرويا مظميا وموقدا مطفيا ومما انشدت له
من قلائد شعره وان كانت كالحصى تمثيلا تجل من الاحصاء
جملة وتفصيلا قوله ربما قصر الصديق المقل عن حقوق بهن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاء ∴ في وداد وخلة لا تقل
ارخ سترا على حقارة بري ∴ هتك ستر الصديق ليس يحل
وقوله قالوا ترفق في الامور فانه ∴ نجح ومري الدر بالابساس
ولقد رفقت فما حلبت بطائل ∴ ما ينفع الابساس بالايباس
وقوله واخلاق كاطراف الزجاج ∴ رفقت بهن رفقك بالزجاج
الى ان عدن لي زبدا بشهد ∴ كذلك يكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية ابي سليمان الخطابي

انظروا كيف تخمد الانوار ۞ انظروا كيف تسقط الاقمار
هكذا هكذا تزول الرواسي ۞ هكذا في الثرى تغيض البحار
احمد الدين والمروة والفضل رمته بسهمها الاقدار
مات من لم يكن لدنياه تتك بحجاه ولا عليه اقتدار
هي مقترة اليه خداعا ۞ وهو دون افترارها فرار

وقد وصف ابو الفتح البستي فضله في ابيات له

ابا القاسم استعبدت ودي بتالد ۞ تلاه بلا من لبرك طارف
واضعفت شكري حين ضاعفت انعما ۞ وقد يضعف النبت الندى المتضاعف
اتاني كتاب منك فيه طرائف ۞ تقبل من اطرافهن الطرائف
صحيفة احسان تخر لحسنها ۞ سجودا اذا ما لاحظتها الصحائف
تواصلني منها شباب مساعد ۞ وطالعني منها زمان مساعف
واصبح دهري عادلا وهو عاسف ۞ وعادت رخاء ريحه وهي عاصف

ومن اعيان نجوم الدولة ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد
الشيرازي الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن المناقب والبحر ابن
السحاب والبدر ابن الشهاب والنار التي لا يخمدها الماء ذكاء والسيف

الذي لا يالف القراب مضاء والسعد الذي يلي فوق السماء زكاء
ونماء فعطارد تلميذ افادته والمشتري مشتري سعادته و
ثاقب النجم عبد دهائه وشارق الشمس خادم رايه ورُوائه
خدم ابوه ابو طاهر حسام الدولة ابا العباس تاش على دوان
اسراره بارعا في الصناعة ضيعا في البراعة مخلوقا للفضل القول
مرموقا بعين الطول ناضل الصاحب اسمعيل بن عباد فتحرق
عليه قرطاس الادب ويساجله فيملأ الدلو الى عقد الكرب
مصعب لا المصعبي يضاهيه ولا الموصلي يباهيه ولا الفارسي
يدانيه ولا اليسعي يسع بعض مساعيه يجانس انجم النثرة نثره
ويناقب شعرى المجرة شعره فمما بلغني عنه قوله بحسام دولة
وصاحب جيشه وحاجب سدته ابي العباس تد جمع في هذا البيت
خصائص اوصافه وضم الى واسطة المدح اقاصي اطرافه دالا
على نبوة الاعجاز ببرهان الاختصار والايجاز واراد الله
سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه وعداه موقف التشبيه
فنما نمو الاشاء على طيب التربة والماء ليس نمو القامة والفخامة

لكن نمو هلال الظلم وشبوب النار فوق العلم وصفاء الخمر
مرشوما على القدم واختص بخدمة الامير الجليل ابي سعيد
التونتاش خوارزمشاه اذ هو تاج الحجاب وناظر عين الباب
ناعداه بيمنه حتى لبس الملك فضفاضا وغني عن السواد و
ان كان عليه بياضا بانتقاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة
وعن حضيض الخدمة الى يفاع الشركة في الامارة فلم يشركه من
ابناء جنسه في البلاغة اثنان وساد حتى اغنى من بني عبد المدان
مدان فمما وقع الي من نسخ قلمه وحر كلمه من كتاب خاطب به
بعض اخوانه لعل الدهقان يظنني اوثر مع مساعدة الزمان
مباعدة الاخوان وارضى من صدر الوزارة بقلب كالحجارة فلم
يزل نيل المراتب حلالا للعقود وقطاعا للاواصر والعهود وكلا
اني ما ازددت ارتفاعا الا ازددت للصديق اتضاعا ولا انال
على الايام رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة عزي من يصلفه
الزمان ويبذله السلطان ويذم عهده الاخوان على اني مهما
نسيت عهدا او تناسيت وقلعت آخية الوفاء دون من آخيت

فلست

فلست انسى عهده ولا ارضى قطيعته وهجره اني وقد قيدني
باياديه الزهر واسترقني بمعاليه الغر فما ارى له بديلا
ولا املك عنه تحويلا اعاذني الله ما بقيت من صدوده
ولا سلبني طيب الانس بمنه وجوده وهذا القدر على مبلغ
القدرة دال وللمميز البارع متى قصد الانصاف في المدح والتقريظ
مجال فهؤلاء اعيان رعايا السلطان في الفضل الواسع والادب
الجامع ووراءهم من اعلام البراعة واحداث الصناعة
من يزحف ذكرهم عن الغرض المقصود بهذا الكتاب ولم استقر
اسامي المذكورين الا لانهم بالاضافة الى سائر اعيان البلاد
افراد في ارتفاع المراتب واتساع الحظوظ والرغائب واضطراب
الصيت في الآفاق وصوغ الايادي قلائد الاعناق و
سنعود الى ذكر السلطان يمين الدولة وامين الملة
ووقائعه التي رضيتها حدود الظبات وان سخطتها
نفوس العداة فنثني كل وقعة الى وقتها ويومها ونلحق
شرح حالها بقومها الى ان نوفي الكلام حقه من الاشباع

في الحروب التي جرت بين السلطان يمين الدولة وبين ايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان
وسكن له نابضها وانجاب عنه عارضها ارتاح لغزوة بهاطية
فجرّ الجحافل مسوّمين بشعار الهداة التقاة ورايات الحماة الكماة
حتى عبر سيحون وراء الملتان الى مدينة بهاطية فالفاها
ذات سور تزل عن مواراتها اجنحة النسور وقد احاط بها
خندق كالبحر المحيط في الغور البعيد والعرض البسيط وهي مشحونة
بملء الوهم من عدة وعديد ومعمول من حديد وكل فيل كشيطان
مريد وعظيمهم يومئذ المعروف ببجهرا فاستخفته العزة بما
حوته يده للبروز من وراء السور مهوّلا باعداد رجاله و
اشخاص فياله ومتطاولا بباع الاقتدار في قتاله وحضأ
السلطان عليه نار الحرب ثلثة ايام بلياليها يرميه بالصواعق
من ظبى السيوف البوارق ويقذفه بالشهب اللوامع من شبا
الرماح الشوارع وواصلها عليهم صبيحة الرابع بضرب يطير الحواجب

عن

عن العيون ويزيل القبائل عن الشؤون ورشق يدع الاجساد
مناخل بل مناخر وقد انفجرت عروقها واغيث على السكر بثوقها
حتى اذا توجت الشمس لمة النهار اهاب بالشد على الكفار الفجار
فتجاوبت نغم التكبير استبشارا لنصر الله وتنجزا لصادق وعد الله
وحمل اولياء الله على ذوي الافك والشرك حملة كشفت صفوفهم و
ارغمت بالذل انوفهم واقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب باليدين
ويقد الدارع بنصفين ويسقي ظماء الكفر من كؤوس الحين وملك
عليهم في تلك الشدة الواحدة عدة من الفيلة التي كان يعتدها
الكافر حصونا للقلب ويعدّها سكونا للقلب وتماوج الفريقان
في غمار تلك الحملة بين ثقف يبتر ادمغة الهام وطعن ينزف
حشاشة الاجسام واعلى الله راية السلطان بل راية الدين والايمان
واهبّ ريح النصر رخاء واعاد شدة العيش رخاء فولّى المشركون
نحو المدينة اعتصارا بسورها وانحصارا في دورها فاعجلهم
الطلب عن الاحتياط وملك عليهم مداخل الحصار وتعاون افناء
العسكر على سدم خنادقه وهدم وثايقه وتضافروا على

تفسيح مضايقه وتفتيح مغالقه وقد كان بجهرا حين غلت
مراجل الحرب واختلت مناجل الطعن والضرب احس بالهون
والعطب وشام برق الويل والحرب فاندس في عصابة من رجالة
رجاله للاختجاز ببعض الغياض والاستناد الى شعف بعض تلك
الجبال فسرب السلطان كوكبة من خواصه في طلبهم فاحاطوا بهم
احاطة الازرار بالاعناق وحكموا فيهم حدود البواتر الرقاق فلما
رأى بجهرا ما دهاه عمد الى خنجر في خصره فهتك به حجاب صدره
وانتقل الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة جزاء لمن كان
كفر وتولى وجحد الاولى ولا صام ولا صلى ولا سبح ربه الاعلى
نعم واقبل عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة وغنموا الاموال
الحاصلة وحص السلطان مائة وعشرون راسا من الفيلة بما
يضاهيها من ذخائر الاموال والاسلحة ملكا عز على غيره مناله
وملكا تطفل على حلته حاله وأقام بها طية الى ان طهرها
من انجاس اولئك الارجاس اذناس اولئك الانكاس ونصب
بها من يعلم حملة الدين سنن الاسلام ويبين لهم طرق الحلال

والحرام

والحرام ثم كر الى غزنة موفور العلاء منصور اللواء عالي الراي
سائر الجد على خط الاستواء الا انه وافق منصرفه هوامي
امطار وطوامي انهار وفوارع جبال وقوارع اضداد واقبال
فاستغرق الغرق جل اثقاله وشمل التفرق جملة من رجاله
ووقاه الله آفة تلك المسافة ومهالك تلك المسالك وهو يتولى
الصالحين وقد كان ابو الفتح البستي ينكر حركات السلطان بنفسه
في تلك المقاصد براي يستمليه من عطارد وحقا لقد كان يقول
ما تشهد به العقول ولكن اذا جاء بهرام والسيف الحسام والبطش
والاقدام فقد سقط الكلام وبطلت الصحائف والاقلام وانشدني

ابو الفتح البستي لنفسه في هذا الباب

الا ابلغ السلطان عني نصيحة ۞ يشيعها ود وراي محنك
تجاوزت اوج الشمس عزا ورفعة ۞ وذللت قسرا كل من قد تملكوا
فما حركات متعبات تديمها ۞ تأن فاوج الشمس لا يتحرك

وهذه مسئلة يتنازعها الاوائل فمنهم من يجعل لاوج الشمس
حركة كسائر حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروه ببراهين

هندسية واشكال برهانية

ذكر غزوة المولتان

قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حال والي الملتان
ابي الفتوح في خبث نحلته ودخل دخلته ودحس اعتقاده
وقبح الحاده ودعائه الى مثل رايه اهل بلاده فانف للدين
من مقارّته على فظاعة سرّه وشناعة امره واستخار الله
الخائر في قصده لاستنابته وتقديم حكم الله في الايقاع به و
امر بضم الاطراف وكفت الذيول وجمع الخيول الى الخيول وضوى
اليه من مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم
باحدى الحسنيين في الازل وسار بهم نحو الملتان عند موج الربيع
بسيول الانواء وسيح الانهار بفضول الانداء وامتناع سيحون
واخواتها على ركابها واستصعاب متونها على اصحابها فطلب السلطان
الى اندبال عظيم الهند ان يطرق له في مملكته الى مقصده فتمنع
وتمرد واخذته العزة باللوم فابى وتشدد وراى السلطان من
غرة الراي في دهمة ذلك الخطب ان يبدا به على غرة جانبه
فيبذل صليفه ويبيح عريفه ويمزق لفّه ولفيفه جامعا بين

غزوتين

غزوتين وقاطفا جنى الجنتين فبسط عليه ايدى القتل والايثاق
والنهب والارهاق والهدم والاحراق يلجئه من مضيق الى
مضيق وينفيه من طريق الى طريق طاويا عليه بلاده طي التجار
بحضرموت برودا الى ان ضجرت القنا من هتك حلق الدروع
وسكرت الظبى من رشف علق الاحشاء والضلوع وركب اثره
في اغوار دياره واعماق رباعه يتجسس دمات السهول وقضض
الاماعز ويقري عليه وحوش الجو بين ضيق المداخل ورحب المفاوز
حتى اضمرته نواحي قشمير ولما سمع ابو الفتوح والي مولتان بما جرى
من امر عظيم الهند وهو الوجيه الرفيع والسيد المنيع والسيف
الصنيع قاس باعه بشبره وذراعه بفتره وايقن ان رعن
الجبال لا تطال بهضبات القور وزرق البزاة لا تنال بغاث
الطيور فتعجل نقل امواله على ظهور فيلته الى سرنديب واخلى
المولتان للسلطان يفعل فيها ما يشاء فثنى العنان اليها مستعينا
بالله على من احدث في دينه او حدث بتوهينه فاذا اهلها
في ضلالهم يخبطون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ليطفؤا نور الله

بافواههم والله متم نوره ولو كره المشركون فضرب عليهم بجران
المحاصرة وكلكل المناجزة والمناحرة حزا للغلاصم وتبكا
للايدي من المعاصم وارصادا لهم بالفاقرات القواصم حتى
افتتحها عنوة وفتحها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف
الف درهم يرحضون بها دنس استعصائهم ويدرأون
عن انفسهم هجنة استشرائهم وابائهم وعبر ذكره بما آتاه الله
تعالى من نصرة الدين وانارة معالم اليقين عرض البحر الى ديار
مصر حتى درست بها مقاماته التي لم يرو مثلها عن ذي القرنين
الى حيث انتهى من امر السدين فارعدت فرائص الهند واخواتها
حذار بطشه وانتقامه وخفتت بها نجوى الالحاد وطمست
صوى الغي والعناد فلله ابو تمام حيث يقول

كرمت غزوتاك بالامس والخيل ... دقاق والخطب غير دقيق
حين لا جلدة السماء بخضراء ... ولا وجه شتوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم ... لحمر الصبوح حمر الغبوق
معلمات كأنما بالدم المهراق ... ايام النحر والتشريق

ذكر

ذكر عبور عسكر ايلك الخان نحو خراسان

قد كانت الحال في الالفة قائمة بين السلطان يمين الدولة و
امين الملة وبين ايلك الخان الى ان دبت عقارب الفساد في
ذات البين فاضطرب الحبل الساكن واشتعل الجمر الهامد و
رامى ايلك فرصة المجاهرة بسر المكاشرة حتى اذا صمد السلطان
صمد المولتان وغارت نحو تلك البلاد راياته وخفت عن
اعيان رجاله ولاياته سرب سباشي تكين صاحب جيشه
واحد قراباته الى كور خراسان في معظم اجناده وشحن بلخ
بجعفرتكين وعدة من قواده وكان والى طوس ارسلان
الجاذب مقيما بهراة مامورا بالانحياز الى غزنة متى نجم
ناجم عناد او نعق ناعق بفساد فاسرع الانقلاب اليها
آخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال وتربصا بالحمل غاية
الفصال وورد سباشي تكين هراة فاستوطنها وندب الحسين
بن نصر لصحابة الديوان بنيسابور فرتب الاعمال وواصل
الاستخراج ومايلهم كثير من اعيان خراسان لاستخفاء

خبر السلطان من جانب مولتان وتناقل الألسنة أهواء القلوب
وتوازع الظنون أخابير زور وأراجيف غرور وأمر الوزير
أبو العباس الفضل بن أحمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة و
حدود باميان ونخشب وسدها بحماة الرجال على حصانة مداخلها
وصعوبة مراكبها وطير البريد إلى السلطان بما انبث في أطراف
البلاد من حيات العداة وعقارب الغواة فأعجلته بديهة اللدغ
عن استتمامه وأزعجته غلبة الحمية عن مقامه فركب ركوب
العاصف أكتاف الجهام البارق يطوي الأرض طي المهارق بين
إيضاع وإيجاف وإهداء وإعساف وبين سهول وطراب
وسهوب وشعاب حتى ألقى عصا القرار بغزنة وأقام العطاء لأبناء
دولته وأنشاء جملته وملأ أيديهم بالعطايا والرغائب وأزاح
عللهم في المطايا والركائب واستنفر الأتراك الخلجية أحلاس
الظهور وأبناء الصوارم الذكور فنفر منهم جن على جن وإن كانوا
بشرا كأنما خيطوا عليها بالإبر وجاش بهم نحو بلخ وبها جعفرتكين
فأسرع الكر إلى ترمذ إشفاقا من ضغمة الضيغم الخادر واحتراسا

من

من وثبة الأرقم الثائر واستقر السلطان ببلخ موفور الأنس
والجذل كما تجتلى صفحة الشمس من برج الحمل وأمر بإتباع سباشي
تكين أرسلان الجاذب في زهاء عشرة آلاف من أبناء الكفاح و
متحة الأرواح بأشطان الرماح وسار سباشي تكين نحو الوادي
للعبور فلم يرعه إلا العاديات ضوابح والموريات قوادح فكر
على أدراجه حائرا عائرا وعطف إلى مرو على أن ينسرح منها إلى
الشط على سمت المفازة فإذا الآبار مردومة والمناهل مطمومة
ووديقة الصيف مسعورة وأذيال السوافي على المعالم مجرورة
فانثنى إلى سرخس وبها المحسن بن طاق رئيس الأتراك الغزية
فأحدق به إحداقا سد عليه باب الهرب وضيق دونه وجه المجال
والمضطرب فمانعه ما قدر ثم ظفر به سباشي تكين فقده بنصفين
بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين وأعجله ارتداف
أرسلان الجاذب إياه عن فضل المقام وروح الاستجمام فارتحل
إلى أبيورد ومنها إلى نسا وبينهما مرحلة واحدة كلما صدر هذا
ورد ذاك ومتى ظعن ذاك أناخ هذا يتقاسمان أمداد الطلب

والهرب جماما ولا يرد ان المياه الا لماما وقد كان سباشي تكين
قد حصل صدرا من المال والاسلحة من نواحي هراة وغيرها
فصارت عقلة له دون الخفوف في وجه النجاة فهو تيّا من
مرة وتياسر اخرى منكوسا على راسه خوف العار من اسلام
ما بردت به يداه واعياه الخلاص بحشاشة النفس آخرا الا
بافرازه عن جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب ارسلان
الجاذب من نسا رحل عنها متوجها نحو سيتبار وازعجه الطلب
نحو جرجان فركب قلل تلك الجبال بين الآجام الملتفة والغياض
المحتفة والمخارق الضيقة والمخارم المضطربة وتسلط الكلال
على اثقاله وافناء رجاله حتى فشت نكايتهم فيهم واشتامن
الى شمس المعالي فابوس طوائف من اهل جملته لعدم المراكب و
ذهاب الحرائب وانفل هو على سمت دهستان حتى عاد الى نسا
وجمع ما بقي عليه من تلك الاثقال فاصدرها الى خوارزمشاه
علي بن مامون وكتب اليه يستودعه اياها امانة لا تملك الحان
وحذره ان تمد اليها بغير الصيانة يده واصحبها رجالة عسكره

والعجزة

والعجزة منهم عن صحبته واقتحم المفازة متوجها نحو مرو وكان
السلطان قد انحدر الى طوس مراعيا ما يسفر عنه ركض ارسلان
الجاذب على اثره والصاقه الطلب الحثيث به فلما بلغه ركوب
سباشي تكين عرض المفازة اسرى على طريق مرو معارضا له في مسيره
وناقضا عليه قوى تدبيره فوصل اليها مخلصه عن وعثاء تلك
البيداء فرماه بابي عبد الله محمد بن ابرهيم الطائي زعيم العرب و
سائر قواده رجال يرون الملاحم ولائم والوقائع نقائع وسيوف
الضراب عرائس وصفوف الكماة فرائس فكان كما قاله سعيد بن حسان
فررت من معن وافلاسه ❊ الى اليزيدي ابي واقد
فكنت كالساعي الى مثعب ❊ موائلا من سبل الراعد
واحاطت به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهي غاصة
ولا مرعى الا شكائم اللجم وهي عاضة واسر اخو سباشي تكين
في زهاء سبعمائة من وجوه الافراد ورتوت القواد وامر السلطان
بقراجوليا تهم فانزعت قيودا لكعابهم وجوامع لرقابهم وحملهم
الى غزنة ليرى اهلها حسن صنع الله فيمن شاقه ونقض عهده و

ميثاقه وتجاسر سباشي تكين في خف من العدد بجريعة الذقن
تعبر جيحون الى ايلك وقد كان ايلك عبر جعفر تكين في زهاء
ستة آلاف رجل الى بلخ ثانيا لاستفساد عزيمة السلطان في
قصد سباشي تكين واخراجه فتهاون بهم حتى فرغ الخاطر من
امره ووضع ما انقضه من الشغل به عن ظهره ثم ثنى العنان اليهم
شدا اغص الهواء بغباره واستغرق اوقات ليله ونهاره
فلم يرعهم الا راياته باجنحة النجاح طائرة وخيوله في صهيل
المراح سائرة وكمن لهم السلطان فلما راوا الكمين انفلوا منهم من
يختمون دعوة الخلاص بآمين آمين وتبعهم صاحب الجيش ابو المظفر
نصر بن سبكتكين على ساحل جيحون كاسعا لادبارهم ومثخنا في
عمارهم الى ان عبروه فسلمت خراسان من غب سوادهم و
خلت عن مبثوث جرادهم واضطرب ايلك حنقا لما جرى على عسكره
من الضغطة الكبيرة والصدمة المبيرة فاستعان بقدرخان
بن بغراخان لقرابة بينهما وكيدة ولحمة وشيجة واستحثه
يحفي مسألته الى ثاره مستظهرا بنصرته واظهاره فاستجاش

احيا

احياء الترك من مظانها وحشر بني خاقان من اقصى بلادها
واستنفر دهاقين ما وراء النهر في جيوش تجل عن الحد والحصر
وسار في خمسين الفا او يزيدون حتى عبر جيحون مدلا بعسكره
المائج وبطشه الهائج ومعتضدا بقدرخان ملك الختن
ذي العدة والعديد والباس الشديد والايد المكين والبسطة
والتمكين في رجال كالبخاتي الفوالج فوق البحور الموائج عراض
الوجوه خزر العيون فطس الانوف خفاف الشعور حداد
السيوف سود الثياب من حلق الدروع يحملون حجفا بالخراطيم
الفيول محشوة بنبال كانياب الغول ولما سمع السلطان بعبوره
في جمهوره وهو اذ ذاك بطخيرستان سبقه الى بلخ فاستوطنها
قاطعا عنها طمعه ومالكا عليه مثاره ومنتجعه واستعد للحرب
فخرج السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية
والغزنوية ابناء الجد والصدق وابناء الرشق والمشق
الى معسكر له على اربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة
جرخيان وسيع المجال على الرجال رحب الفضاء على الدهماء

وزحف الملك الى محاذاته فى عدده الدهم وعسكره المجر فتطارد
الفرسان وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلائع
امام الوقائع الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس على معاد
الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات والبحار
الزاخرات ورتب فى القلب اخاه صاحب الجيش نصرا ووالى
الجوزجان ابا نصر احمد بن محمد الفريغونى وابا عبد الله محمد بن
ابرهيم الطائى فى كماة الاكراد والعرب وسائر جماهير الهنود
ومساعير الجنود ورتب فى الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد
التونتاش فيمن برسمه من اعيان الرجال وفرسان الزحف
والصيال وندب للميسرة ارسلان الجاذب فيمن تحت قيادته
من نجوم الابطال ورجوم القتال وحصن الصفوف بزهاء
خمسمائة من فيلته التى تميد الجبال من اثقالها وترتج لها الارض
بزلزالها واقبل الملك فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه
وولى قدرخان ميمنته فى اتراك الختن بين آجام العوامل
والجنن وشحن بجعفرتكين ميسرته فى كل اليس كالشجاع المحرج

والحسام

والحسام المرهف بين وقايات الزغف والجحف وتحامل
بعضهم على بعض فخيلت المعركة سماء غمامها مثار القسطل و
بروقها بريق البيض والاسل ورعودها صليل السلاح و
رشاشها صبيب الجراح واستنزل الملك عن صهوات الخيول
الى صعيد الارض زهاء الف غلام يفلقون الشعور انضافا
وينصبون وسائط الاهداب اهدافا فشكوا بالنبال تجافيف
الفيول وشقوا بالنصال سرابيل الخيول ولما جد الامر واشتد
الجمر واعضل الداء واستفحل الاعداء وزخر وادى الخطب
بمده وكاد يخرج بادى الشر عن حده نزل السلطان الى صعيد
ربوة كان تنشر فيها لتدبر عصفات الحرب وتلافى نزوات ذلك
المركب الصعب فوضع الله خده وعفر شعره وارسل دمعه
وقدم نذره ودعا الله ان يحرس ملكه ويحسن فلجه ونصره
ثم وثب الى قعدته من فيلته المغتلمة فحمل بها وبسائر خاصته
على قلب الملك فاهوى الفيل الى صاحب رايته فاختطفه بها
من سرجه ورمى به فى الهواء من فوقه وتخلل الآخرين حطما

بخرطومه وشكا بانيابه وردّ وسّا باظلافه وانثال اولياء
السلطان على الآخرين بسيوف تلغ في الدماء وترشف
احساء الاحشاء فطارت قلوبهم هواء واستحالت قواهم
هباء وولّوا على اعقابهم نافرين وتبعهم الطلب بظباة القسر
والقهر الى ان لفظتهم خراسان الى ما وراء النهر ولقد احسن
السلامي في قوله فكانّما وصف حاله ومدح آثاره وافعاله

يا سيف دين الله ما ارضى العدى ❊ لو انّ سيفك مثل عدلك يعدل
ما ان سننت لهم سنانا في الوغى ❊ الّا اطلّ عليه منهم انطل
والروض من زهر النحور مضرّج ❊ والماء من ماء الترائب اشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرّز ❊ والارض فرش بالجياد مخمّل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي ❊ بين الفوارس اجدل ومجدّل
وسطور خيلك انّما الفاتها ❊ سمر تنقّط بالدماء وتشكل

نعم وامتدح السلطان عند ذلك ابو القسم الحسن بن عبد الله
المستوفي بقصيدة اوّلها

ظهر الحقّ ثابت الاركان ❊ صاعد النجم عالي البنيان

وهوى للردى ذوو النكث ❊ والبغي واهل الضلال والطغيان
ما الذي غرّكم بمحمود ❊ المحمود اثاره بكلّ لسان
بابي القسم المعظّم ظلّ الله ❊ في الارض صفوة المنّان
من مناويه نهزة للمنايا ❊ غرض للحتوف والاحزان
ملك صار من مضى من ملوك ❊ الارض لفظا وجاء عين المعاني
فخر المشرقان بالحظّ منه ❊ فاستطالا فاستنافه المغربان
اجملتم بانّه ملك الاملاك ❊ طرّا وتاج هذا الزمان
جمع الله فيه وهو قدير ❊ عالما للكمال في جثمان
سيفه والمنون طرفا رهان ❊ نحو حلق العدوّ يبتدران
خذ يميني بان سيخضع حقّا ❊ لليميني كلّ سيف يمان
لو عصا خروع كسي اليمينيّة ❊ ظلّت تحيك في السندان
انّما سيفه شبيه عصا موسى ❊ بن عمران صاحب الثعبان
وقراحو لياتكم كيد سحر ❊ فاذا جاءت العصا فهو فاني
ملك وهو في الحقيقة عندي ❊ ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فادني ضعيف ❊ واخوه في حكمه سيّان

اخذ الهند باليماني ويحوي ۞ يمنًا ان اراد بالهندواني

غاب عن غابه الهزبر لغزو ۞ الهند مستنزلا رضى الرحمن

فسبى واستباح واجتاح منهم ۞ واحلّ النكال بالاوثان

وانثنى قافلا وقد ملأ الايدي فيا ۞ وفاز بالرضوان

فسطا باسه بطاغية الترك ۞ واهل الشقاق والعصيان

طلعت رايه له فتولوا ۞ كعباديد ثلة من ضان

كم قتيل وكم جريح وغرقى ۞ واسير في القد ذي دسفان

لما رأى سبا عساكر ظنوا ۞ انهم ملكوا على البلدان

خطبوا الملك فاعترتهم خطوب ۞ جرّعتهم مرارة الخذلان

فبخوارزم في السجون الوف ۞ والوف تهيم في جرجان

وبمرو وفي القفار الى جيحون ۞ تتلى مآكل الحيتان

جزر للسباع في كل فج ۞ طعم للنسور والعقبان

بارك الله ربنا في خميس ۞ ردّ عنا خمسين الف عنان

وكتب ابو الفضل الهمداني الى الشيخ الوزير ابي العباس هذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انتصف من رامي القارة ومحا السيف ما قال ابن داره

ثم لا نزوة بعدها للترك ولا تحلم بعدها للملك لقد كان السلطان اذ عفّر لله شعره وعرض على الله فقره وفوّض الى الله امره و اخلص لله نذره وناهض بالله خصمه وسال الله حوله ولم يعجبه كثرة الملا وحوله شد الله بذلك ازره وقوّى امره واعز نصره واقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه ان الظفر باسبابه والموفق يأتي الامر من بابه ولد فضل منه انه الجلاد ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم سليمان كتب الله ليغلبن السلطان وراك ان السيف امامك وخلفك ان الموت قدامك ۞ وارضك ارضك ان تأتينا تنم نومة ليس فيها حلم ان المغازي قد عادت مخازي الارب ركض نادم ورب شوط ظالم ورب عثور الى ثور ورب طمع يهدي الى طبع الآن هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى السنة دماءها وعلى النفوس دماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشأ الناس نشأ جديدا وعقد الملك عقدا طريفا فما اولى يومه ان يتخذ عيدا ويجعل في المتصرفات تاريخا جديدا

وليس العقد مع الله بانشوطة فاوفوا الله عهده كما صدقكم وعده
وانما عهده عند السلطان ان يحسن النظر وعهده عند الشيخ
الجليل ان يحسن المحضر وهراة من البلاد شيعة هذه الدولة
وعيبتها فان حط عن حملها العلاوة وازيل عن عبرتها الاتاوة
فلله هذا النظر ما احلى ثماره واكرم آثاره ولما وضعت هذه
الحرب اوزارها وافاضت غرة النصر انوارها سنح للسلطان
ان يثني اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف بنواسه
شاه احد اولاد ملوك الهند كان نصبه بعض ما افتتحه من
ممالكهم لخلافته على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها
اذ كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك
وانسلخ عن جلدة الاسلام وراطن زعماء الكفار على خلع
ربقة الدين والانفصام عن عروة الحبل المتين فعن من فوره
اليه وصب سيوفا تقطر من دماء مخالفيه عليه ركضا بادر
افواج الرياح واختصر اوقات الاظلام والاصباح حتى نفاه
عن مثواه وملك عليه جملة ما حواه واعاد الى تلك البقاع بهجة

ملكه

ملكه وسلطانه وحصد نجوم الشرك بحدي سيفه وسنانه
فذانك برهانان من ربك في اعلاء دولته واشاعة دعوته
واعزاز نصرته وانبلاج حجته ويسر الله له الانقلاب الى غزنة
مظاهرا له بين نصرين يتجاذبان فخامة وجلالة وتباريان
نباهة وجزالة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر فتح قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان بعد ان فتح الفتحين واقتدح النجحين
عرج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله على النعم المتاحة
فاقام بها شاحذا عزيمته لغزوة اخرى يرتفع بها حدود
الاسلام وتتعفر لها خدود الاصنام وتنتكس عندها رايات
الشيطان في رحل للغواية شده وحبل للضلالة له مده اذ كان
بعد همته يسومه خلاف الطباع البشرية في استخشان المضجع
الوثير واستحباب الشوك على الوتير واختيار قرع الاسنة
والعوالي على نقر المثالث والمثاني وترجيح حدود البيض القواضب
على خدود البيض الكواعب كل ذلك لمجد يبتنيه وصيت يقتنيه

وعزّ بجنوده وسعى يتقرّب الى الله به وفيه حتى اذا انسلخ
شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة استخار الله في اتمام
ما رامه واسراج ما تولّى الجامه وسار متوكلا على الله الذي
طالما اطعمه نصره وعرّفه صنعه حتى اذا انتهى السّير به
الى شط ويهند لاقاه برهمن پال بن اندپال في جيوش
تجيش بسود الرجال في بيض الصفاح وزرق الاسنة وسمر
الرماح وزهر الدروع ودكن الفيول وافترّت الحرب عن
انيابها العصل وتوالت الحملات كما تتهاوى لوامع النجوم و
تترامى قوازع السحب ودارت رحا الطعن والضراب طاحنة
كل ندب شجاع وقرم مطاع وامتدت الوقعة من طفولة
النهار الى كهولة الطفل حتى اكتست الارض لون الشقائق
من دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار دائرة
لولا ان الله اعان السلطان على حملة في خواص غلمانه
كسعت ادبارهم ومحت عن مقامهم آثارهم فاغتنمه بلا وانى
فيلا كاشخاص القصور بل كامواج البحور واقبل اولياؤه

يجشوهم

يحشونهم انّى يتقفونهم من بطون الاودية والشعاب وظهور
الفيافي والهضاب واقتفى السلطان بنفسه اثره بين تلك المهامه
متنجزا وعد الله في نصرة دينه وتلّ كل ذي نفاق وشقاق
لجبينه فافضى به الطلب الى بهيم نغر احصن قلعة بنيت على
حرف طود رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك الهند واعيان
اهلها وجماعات النساك من ذوى الاملاك بها يدّخرونها
مخزنة للصنم الاعظم فينقلون اليها قرنا بعد قرن من انواع الذخائر
واعلاق الجواهر ما يخفّ اوزانه ويثقل عند السوم قيمه واثمانه
عبادة بزعمهم لما يفيدهم الحسنى ويقربهم الى الله زلفى فصادف
السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الاحقاب ما لا تقلّه ظهور
الاجمال ولا يسعه اوعية الاحمال ولا ينسخه ايدي الكتاب
ولا يدركه فكر الحساب فحشر عليها جنوده وضرب حواليها بنوده
وانبرى لقتال مستحفظيها بقلب جرى وانف حمى وعزم ذكى و
بطش قوى ورأى بالصواب ورى ولما رأى القوم غصص تلك

الشعاب

بمغاوير الجنود وتطاير النبال صعدا كشرر الوقود استنفزهم الرعب والوجل والوي باخلادهم الخوف والوهل فتخيلت ابصارهم تلك الرتوق فتوقا وهاتيك السدود فروجا والسكور شقوقا وسحرتهم دولة السلطان فهرتهم كلاب الادبار والخذلان واغيتهم وجوه الامن الا من جانب الاستيمان فتنادوا جميعا بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون الى الارض للامان كالعصافير اخرجتها البواشق والغيوث جادتها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان فتحا يسيرا واتاه من لدنه صنعا كبيرا واغنمه ملء مقترح النفوس من بنات المعادن والبحور وذائبات الفم والنحور ودخلها في والي الجوزجان ابي نصر الفريغوني وسائر خاصته ووكل حاجبيه الكبير بن التونتاش واسغ تكين بخزائن العين والورق وسائر ذوات الاخطار والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجواهر فنقل منها ما اقلته ظهور رجاله واستحمل سائرها اعيان رجاله فكان مبلغ المنقول من الورق سبعين

الف

الف الف درهم شاهية ومن الذهبيات والفضيات سبعمائة الف واربعمائة من وزنا ومن اصناف الثياب التسترية والدبابيج السوسية ما انطق مشايخ الزمان والطاعنين في الاسنان انه لا عهد لهم بامثالها صنعة وتفويفا وتزيينا وتلطيفا وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء كفاء بيوت الاغنياء طوله ثلثون ذراعا في عرض خمسة عشر ذراعا صفايح مضروبة مهياة للطي والنشر والنصب والحط وشراع من ديباج الروم اربعون ذراعا في عرض عشرين ذراعا بقائمتين من ذهب واخريين من سبيكة فضة ووكل السلطان بتلك القلعة من ثقاته من يراعيها ويؤدي امانة الاستحفاظ فيها وكر عائدا الى غزنة في ضمان النصر والاظهار وقران اليسر واليسار ولما مست عصاه جانب القرار بها امر بساحة داره ففرشت تلك الجواهر فمن درر كالنجوم الثواقب قد سلمت عن الايدي الثواقب ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود ومن زبرجد كاطراف الآس نضارة او ورق الاقحوان غضارة ومن قطع الماس كمثاقيل الرمان في المقادير والاوزان واجتمعت

الماس معروف وهو جوهر ... براق اللون نافذ في الاجرام الصلبة وبه يثقب الدر ويقطع الاحجار ...

ووفود الاطراف على الدراك ما لم يرو في كتب الاولين اجتماع مثله
لاحد من صناديد القروم وملوك العجم والروم وحضر ذلك
المشهد رسل طغان خان ملك الترك اخي ايلك فرأوا ما لم تره
العيون ولم يبلغه الظنون ولم يملكه قارون صنع الله الذي
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون

ذكر آل فريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون ايام آل سامان
يتوارثها كابر عن كابر ويوصي بها اول الى آخر اشراف النفوس
والهمم كرام الاخلاق والشيم وطاء الاكناف لنزاع الاطراف
خصاب الرحال لوفود الآمال دأبهم اجلال قدر الآداب
ورفع درجات الكتاب وافتراض حقوق الاحرار واغلاء اسعار
الاشعار فكم من غريب آواه احسانهم ومن اديب اغناه سلطانهم
ومن كسير جبره انصافهم ومن حسير انهضه عطفهم والطافهم وكان الامير ابو الحارث احمد بن محمد الفريغوني غرة تلك الدولة
وانسان تلك المقلة وجمال تلك الحلة وطراز تلك الحلة بما اوتي

من كرم خصيب وكنف رحيب وشرف رغيب ومرتقى همة
بعيدة ومستقى نائل قريب وقد كان الامير سبكتكين خطب
اليه كريمته على السلطان ثم اوجب لولده ابي نصر احمد بن
محمد كريمة له فاشتبكت اللحمة واستبكت والتحمت الوثائق
واستحكمت الاواصر والعلائق ولما مضى ابو الحارث لسبيله
ورثه ابو نصر ابنه فاوجب السلطان اقراره على ولايته ايثارا
له بفضل رعايته وعنايته الى ان قضى نحبه في شهور سنة
احدى واربعمائة واقرأني ابو الفضل الهمداني المعروف بالبديع
كتابا له اليه جعله مقدمة الوفود عليه فنال به من رغائب
الايادي ما ملأ به يديه وهو كتابي والبحر وان لم اره فقد
سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك
العادل وان لم اكن لقيته فقد لقيني صيته ومن رأى من السيف
اثره فقد رأى اكثره وما زلت ايد الله الامير اسمع بهذا
البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحيب افناؤه الكريم
ابناؤه واانشد من هذه الحضرة ضالتي والعوائق تمنعه ولسيره

ترني حسرة والزمن العثور يقعدني ويثور فكم من عام عزمت
وأبت المقادير ونويت وعرضت المعاذير والآن لما وقفت
لهذه الزورة اختلفت على أخبار الملك العادل في مستقره
واختلفت باختلافها مرة في نوس الطرب ومرة في ترة عليه
اقتفاء اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الى الشيطان
بتقدير مقدر اني اقصد هذه الحضرة طامعا في مال او طامحا
الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد يثنيني عن
درك الحظ من طلعته ولم ابعد ما القاه في خلدي ان يكون
ولا نا سددت الله الظنون ان تتصرف في صدري الا الى معرفة
اوقعها او خدمة اودعها او مدحة اسمعها او رحبة اسرعها
ثم اذخر هذه الدولة لمملكة اغصبها او راية انصبها او كتيبة
اغلبها او دولة اقلبها فاما الدرهم والدينار فدعهما الى و
تزعهما من يدي سواء لدي لا اشكر واهبهما ولا اشكو سالبهما
اني لي في القناعة وقتا وفي الصناعة نجحا لا يبعد منال المال
اذا اردته ولا يحوجني الى ركوب العقاب في سلوك الشعاب مهما

قصدته

قصدته بل يجيبني قبضا ويتطفل على ايضا وهذه الحضرة
حرسها الله وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون
فاني احب ان اقصدها قصد موال لا قصد سوال والرجوع عنها
بجمال احب الي من الرجوع عنها بمال قد قدمت التعريف وانا
انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير لضيف ظله تشريفه
لا خفيف وضالته رغيف فليزجر له بالاستقبال طائر الاقبال
والسلام

وله به لما صدر عن فنائه متقلدا سماته

ألم تر اني في سفرتي : لقيت الغنى والمنى والاميرا
ولما تراءى سمت التراب : وكنت امرءا لا اشم العبيرا
لقيت امرءا ملء عين الزمان : يعلو سحابا ويرسو ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات : يدا اولا واعتذارا اخيرا
اذا ما حللت بمغناهم : رأيت نعيما وملكا كبيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة : يمون المنى ويسر السريرا

ولابي الفتح البستي فيهم

بنو فريغون قوم في وجوههم : سيما الهدى وسناء السودد العالي

كأنما خلقوا من سؤددٍ وعلىً ∴ وسائر الناس من طينٍ وصلصالِ
من تلقَ منهم تقل هذا أجلّهم ∴ قدرًا وأسخاهم بالنفس والمالِ
يا سائلي ما الذي حصّلت عندهم ∴ دع السؤال وقم فانظر إلى حالي
أما ترى أن حالي كيف قد حليت ∴ بهم ألم تر حالي عند ترحالي
فإن أكن ساكتًا عن شكر أنعمهم ∴ فإن ذاك لعجزي لا لإغفالي

ذكر القادر بالله أمير المؤمنين وانتصابه منصب آبائه الراشدين بدار السلام واستقرار الإمامة عليه وانعقاد البيعة له بعد الطائع لله وما اشتبك من الحال بين السلطان بهاء الدولة وأمير الملة ونجم بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة في زمانه

قد كان بهاء الدولة وضياء الملة ينقم من الطائع لله أمورًا صدرت منه من غير وفاقه وعدوله بها عن حكم استحقاقه فدعاه ما توالى عليه من خلاف رضاه إلى مراعاة مصلحة الدين والملك باختيار من يرعى حق الإمامة ويتولى حياطة الخاصة والعامة ويعزل هوى النفس في اتباع الحق واستشعاره ونصرة الدين

واظهاره

وإظهاره وحماية الملك من أقطاره وجعل يتلطف في التدبير عليه إلى أن تمكن منه فخلعه واحتوى عليه وعلى ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وأرسل إلى البطائح وبها القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام لعقد البيعة له سدًّا للثلمة ونظرًا للأمة وارتهانًا للألفة واجتلابًا لمصلحة الجملة فقدمها في شهر رمضان من هذه السنة وتسارع الناس إلى مبايعته واصفقوا على طاعته وتراضوا عن طيب النفوس بإمامته وتناهوا شكر الله تعالى على ما أتاحه لهم من بركات خلافته ثقةً بما اشتهر في الآفاق من مناقبه الغرّ وضرائبه الزهر وفضائله المسطورة على صفحات الدهر فقام بما قلّده الله من طوق الإمامة مفوّضًا إليه أمره ومتوكلًا عليه وحده فلم يُرَ في مقره من سرير الخلافة أوقر منه حصاةً وأوفر أناةً وأصلب قناةً وأصدق تقاةً وأرضى سيرةً وأذكى بصرًا وبصيرةً وأزكى علنًا وسريرةً وأتم جلالةً

وجزالة واعم سياسة وحراسة نعم ولا اقوى منه جنانا
واندى بنانا واجرى لسانا واعدل عقابا واحسانا وعطفته
عاطفة القربى على الطائع لله فاستخصه لمنادمته واجتباه
لمصاحبته والحفه جناح رعايته وحمايته تفاديا من غضاضة
تلحقه فى زمانه ونكبة ترهقه فى ظل سلطانه وجانب امانه
الى ان نرق بينهما الدهر المولع بالتفريق واخذ الرفيق عن الرفيق
ورثاه ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوى المعروف بالرضى

الموسوى بقصيدة اولها

ان كان ذاك الطود خر فبعد ما استعلى طويلا
موف على القلل الذواهب فى العلى عرضا وطولا
ترمى تسدد لحظه فترى القروم له مثولا
ويرى عزيزا حيث حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلا على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا

غر اذا نسبوا لنا الغرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعد ما طابوا وقد عجموا الاصولا
نسب غدا رواده يستنجبون له الفحولا
يا ناصر الدين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي فلت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان اعجلك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت مغمولا جزيلا
لهفى على ماض مضى ان لا نرى منه بديلا
وزوال ملك لم يكن يوما يقدر ان يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على الايام مرباة نكولا
والاسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا
من يسبغ المنن الجسام ويصطفى الحمد الجزيلا
من ينتج الآمال يوم تعود باللبان حولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا

وتراه يمنع دوننا وادي النوائب ان يسيلا
عقاد الوية الملوك على العلى جيلا فجيلا

وانثال خطباء العراق وشعراؤها كاعراف الجياد على مجلس الخلافة في امتداح القادر بالله امير المؤمنين وذكر مآثر آبائه ومفاخر اسلافه مرابيع الكرم وينابيع الحكم ومصابيح الظلم ومجاديح الامم ولبوث البهم وغيوث القحم وبلغني ان مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور وفقر وشذور بلا حاجة بنا الى تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحكى لي ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيصم احد اعيان الكرامية بنيسابور قال قمت في مجلس القادر بالله امير المؤمنين خطيبا بحضرة بني هاشم ومشايخ بغداد واعيان الحجيج فقلت الحمد لله ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة الذي عم احسانه ودام سلطانه ولطف شانه فلا راد لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم من خير ارومة العرب مولدا وافضل جراثيمها محتدا واطولها نجادا و

١٧٧

وارسخها في المكرمات اوتادا فايده احسن تاييد واكد امره افضل تاكيد حتى استقل الدين به ناهضا واضمحل الشرك داحضا وظهر امر الله والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى ما طلعت عليه شمس الضحى وعلى آله الطيبين ثم قيض الله من بعده الخلفاء الراشدين لتمهيد الدين وتوكيد اليقين وتوهين كيد الملحدين فبسطوا للاسلام بساطه ونهجوا لاهل الآفاق صراطه الى ان تادى الامر الى ذويه من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني صنو ابيه فاقاموا الاسلام عن اوده واسندوا الامر الى مستنده معتصمين بنصر الله صادعين بامر الله معظمين لحرمات الله وهلم جرا الى ان تاكدت بيعة الخلافة بامير المؤمنين القادر بالله فبهر نوره العالمين وشفى ذكره على المنابر صدور قوم مؤمنين من بعد التواء من اظهر العناد وانزواء من قصد الفساد وابى الله الا نصرة الحق وادالته وقمع الباطل واذالته ولقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني قال حدثني الصولي عن المبرد ان العباس بن ابي عبدون حدثه ان

سعيدا الخطيب قال لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله
امير المؤمنين قام في الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال
منبسطا ولو لم تنبسط ٭ كفي لبيعته قطعت بنانها ٭
من ذا اليه لا يمد يمينه ٭ قطع الاله يمينه فابانها ٭
ولوالدي في خدمة امير المؤمنين ما يقارب هذا او يشاكله
وذلك انه اظهر بيعته لوارد كتابه على حين التواء من التوى
بناحية بلخ وقال فيها ٭ سبقت يميني نحو بيعة قادر ٭
بالله لما حالفته يد القدر ٭ ما ضر بيعته التواء من التوى ٭
والله مبرمها بمكنون الزبر ٭ ولقد اراه احق من وطئ الحصى ٭
بوراثة الشم البهاليل الغرر ٭ فلاخلعن القلب مني ان ابى ٭
ولا قلعن العين ان زاغ البصر ٭ وها انا قد ساعدني توفيق الله
حتى وطئت بساط امير المؤمنين شاكرا ما انعم الله علينا بولي
امير المؤمنين محمود بن سبكتكين فانه في رسمه كاسمه والله تسأل
ان يديم سلامة امير المؤمنين وان يبلغه امله في ابي الفضل
ولي عهد المسلمين الغالب بالله ابن امير المؤمنين ويلحقه بسعادة

آبائه

آبائه الراشدين واسلافه الطاهرين والحمد لله وصلى الله على
نبيه محمد وآله اجمعين قال فامر القادر بالله بان تنسخ
الخطبة في جملة اخواتها المسطورة المخزونة ولما ارجت منابر
خراسان بذكر القادر بالله على ما اوجبته طاعة السلطان يمين
الدولة وامين الملة لامر الله في اقتفار محجته واقتفاء خليفته
وحجته كافاته بما رآه من الافضاء الى ابنه ابي الفضل بعهده
في ولاية امور المؤمنين من بعده وتلقيبه بالغالب بالله و
رسم توفيته واجب حقه والحاق ذكره على المنابر باسمه وطبع
النقود على ذكر تلقيبه فاوجب السلطان مطاوعته فيما امر و
متابعته في جميع ما رسم فتقارن ذكراهما في الخطب وترافق
اسماهما على صفحات الفضة والذهب وسنعود الى ذكرهما الدولة
وضياء الملة من لدن استأثر الله بعضد الدولة ابي شجاع
فنا خسرو الى ان افضى الامر اليه واستقر الملك عليه وفيما
نطق به كتاب الصابي المعروف بالتاجي من وقايع عضد الدولة
مع بختيار الى ان اظفره الله به فقضى عليه بحد حسامه وجرعه

كاس حمامه واحتياله على ابي تغلب ناصره بعد انهزامه
الى ان امكنه التدبير عليه بابن الجراح احد المتغلبين من
الاعراب على حدود الشام فقبضه لاقتناصه بمبار اهداها
اليه واطماع اكدها له حتى تعقله وقتله وحمل اليه علاوته
ما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدولة لسبيله وذلك
في رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة عند اشتغال اخيه
مؤيد الدولة بويه بمحاربة حسام الدولة تاش وعميدها فائق
في عساكر خراسان اجتمع ابناء دولته على ابنه صمصام الدولة
وشمس الملة فبايعوه متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين
واتاه الطائع لله امير المؤمنين في حراقة على ظهر دجلة يعزيه
عن ابيه وقد ثار عوام الناس نظارة له حتى اذا قرب منه
برز اليه صمصام الدولة فجشم وجهه رسم الطاعة وحق الخلافة
وقال له الطائع لله نضر الله وجه الماضي وجعلك الخلف الباقي
وصير التعزية بعده لك لا بك والخلف عليك لا منك فاذرى
على خديه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكرا لما من به عليه

ثم انتصب منصب ابيه فاجرى الامور على استقامة وتدبرها
بسياسة عامة وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس شيرزيل بن
عضد الدولة غائبا الى مدينة كواشير من ارض كرمان فلما
بلغه نعي ابيه كر راجعا الى فارس وقبض بها على نصر بن
هارون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه حواصل امواله
وبقايا اعمالها وامتد منها الى الاهواز فملكها على اخيه
ابي الحسين احمد بن عضد الدولة وغلب على البصرة معها
وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استعد
لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في يد اخيه
الى سائر ما يليه وسار حتى اذا وافاها تلقاه صمصام الدولة
بما اوجبه حق سنه عليه اجلالا ومهابة ومداراة ومقاربة
تفاديا من ضرر استيحاشه وعدوى مساءته غير عالم بان
غمدا فردا لا يسع سيفين ووترا واحدا لا يضم سهمين فقربه
ابو الفوارس ورفع محله ثم خلعه وكحله وامر به الى قلعة كوشنا
من ارض عمان واستولى على المملكة ولقبه الطائع لله بشرف

الدولة

وزين الملة فبقي على جملته سنتين وفجئه حكم الله تعالى في
جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة فقام شاهنشاه
بهاء الدولة وضياء الملة ابو نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد
لضبط الأمور المائرة وتلافي الحال الحائلة وكفل بالملك كفالة
خبير بالتجارب بصير بأعقاب العواقب ومال الأتراك
بفارس على صمصام الدولة فأبرزوه من معتقله وحملوه
المعروف بسعادة على عاتقه منحدرا به فملك فارس وما والاها
وتتبع أموالها فجباها ثم تنكروا له من بعد وقدموا أبا علي
بن أبي الفوارس وعقدوا له الرياسة عليهم ولقبوه شمس الدولة
وقمر الملة وتجردوا للدفاع عنه والدعاء إليه فانتدب لمواقعتهم
إلى أن هزمهم أقبح هزيمة وغنمهم أبرد غنيمة فخنسوا إلى بغداد
صاغرين خاسرين فركب بهاء الدولة وضياء الملة لقتال صمصام
الدولة فتنا وشا الحرب وصالا ككعوب الرماح ما بين المساء
والصباح حتى خربت البصرة وتلاها في الخراب أكثر كور الأهواز
وقد كان أولاد بختيار محتبسين في حصار بناحية فارس

فاستنفرهم

فاستنفرهم طائفة من الأكراد الخسروية عن معتقلهم موججين
نار الفتنة باستنفارهم وفك عقالهم فناصبهم الحرب
مستكفا شرهم ومستدفعا بأسهم وضرهم فاختلفت به
الوقائع بين تلك الفتن الثائرة والإحن النائرة فكانت عقباها
أن أجلت عنه قتيلا وتذمر بهاء الدولة للحادثة عليه فأرصد
الجناة بطائلته حتى شردهم كل مشرد وطردهم كل مطرد
وألجأ أولاد بختيار إلى الجلاء عن تلك الناحية وزعيمهم يومئذ
سالار بن بختيار الملقب بنور الدولة وكان من أمره أنه انتبذ
عنها مدحورا مثبورا فاضطرته الحال إلى خفارة التجار في تجاراتهم
وإجازتهم على مراصد القطع ببضاعاتهم على خرج يستعين به
من جهتهم على مؤن معاشه ورياسته واتبعه بهاء الدولة
بجيش واقعوه بكواسير فغلبوه ووصلوا إليه فقتلوه وحمل
غلام منهم رأسه إلى بهاء الدولة فامتعض للرحم الدانية واللحمة
الحانية من يتبجح على ملاقاته به فأمر بالغلام فسلخ جلده
من قرنه إلى قدمه عبرة لمن أقدم على ملك يسفك دمه

وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب الى بغداد لمراعاة تلك
الاعمال واستيفاء حقوق بيت المال فاستدت سيرته و
حدث في العدل بصيرته وعم رفقه حجيج بيت الله الحرام
بالمنائح العظام فانطلقت بشكره السنة الخاص والعام الى ان
قبضه الله اليه فسد مكانه بوزير الوزراء زيادة في النظر
للرعية فاربى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة اصلاحا
لهم ورفقا بهم وطرحا عنهم وصفت نواحي فارس وكرمان
لبهاء الدولة منضافة الى سائر اعماله وتعدت الفتن القائمة
عن سوقها في زمانه نعم الامن والسكون وشمل الرفق والهدو
واستراح عباد الله مما كان يفدحهم من وطاة الجيوش و
يلحقهم من معرة اختلاف السيوف وقد كان ابو علي بن الياس
ملك كرمان ايام عضد الدولة لال سامان واقام بها مدة
من الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه عنها مدافع و
كان حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من معرته
للوثة راها في رايه واضطراب تبينه في وجوه شمائله و اخائله

ولهي

ولهي عنه مدة وهو يكابد بينهما بوسا وضرا وشدة فاتفق
ان اشرف سرب من نساء ابيه وجواريه عليه فرثين لضيق
مكانه ودبرن في وجه خلاصه وعمدن الى خمرهن فوصلن
بعضها ببعض وخلصنه بها عن معتقله وتسامع اهل العسكر
بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا عليه وانقطعوا بجملتهم اليه
مما لاقاه له على ابيه لجفوات نقموها منه وبلغ ابا علي خبر الحادثة
فارسل الى ذوي التحزب والتالب باحثا عما دعاهم اليه
فاظهروا الضجر بمكانه والتبرم بطول زمانه وساموه مفارقة
كرمان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم له وتوخيهم موافقته
فعرك ابو علي قولهم بجنب المداراة والاحتمال في عاجل
الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكر عائدا الى
بخارا مخليا بين اليسع وبين تلك الولاية واقام نقيته بشر بن
المهدي وترمش الحاجب على خدمة اليسع وكفالة امره اذ كانت
حداثته تقتضي استخلاف مثلهما في دهائهما وقوة رايهما على
حضانة اموره وتبصيره الرشد في وجوه تدابيره ولما وصل

ابو علي الى بخارا بولغ في تعهده واكرام مورده واجلاله من
الايثار والاكبار محل مثله الى ان توفي بها في شوال سنة ست
وخمسين وثلثمائة فاما اليسع فانه ولي كرمان فحمى اطرافها و
جبى اموالها وكان اخوه سليمان مقيما بسيرجان واليا عليها
فاغراه بشر بن المهدي به واشار عليه بمعاجلته قبل انتظام
شمله واستمرار حبله فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني
عن مفاوضته فيه فامتنع عن الاجابة لعلل اخترعها ومعاذير
تمحلها وضاق اليسع به ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا
فنهض اليه محاربا حتى هزمه وغنم ماله فوقع سليمان الى بخارا
واطمع اليسع نزق شبابه في مغالبة عضد الدولة ابي شجاع
على بعض حدود عمله فكان مثله مثل العنز طلب قرنين وذلك
انه لما بلغ مفرق الحدين بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته
بطائفة من المستامنة عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم
وصب الخلع عليهم ثم هرب نفر منهم راجعين وراءهم فارتاب
اليسع برفقائهم وظن ان وراء استيمانهم حيلة او غيلة

فاوسعهم

182

قال الله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما

فاوسعهم تنكيلا وعمهم بالعقاب قطعا وتمثيلا واستامن عنه
الى عضد الدولة جملة من رجاله فحملهم وحباهم ووصلهم و
مناهم فلما راى اصحابه تباعد ما بين الامرين تالبوا عليه و
تمردوا له وتحزبوا عنه وتسلل من جملتهم صفقة واحدة
الف رجل من وجوه الديلم الى معسكر عضد الدولة وهو بناحية
اصطخر وفشا الطربان بين الآخرين فجعلوا يتسللون لواذا
ويتفرقون جميعا واشتاتا حتى انفض عنه عامة عسكره وبقي
في خاصة غلمانه وحاشيته فاضطر الى معاودة كواشير فاسرع
منها بعياله وبما خف عليه حمله من اثقاله وامواله نحو بخارا
لا يلوي على شيء دون الاغذاذ في السير وطي بساط الارض بحوافر
الخيل فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادر على اثره الى واسطة
ملكها واستصفى اموال آل الياس بها ثم استخلف عليها
كوركير بن جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية
خوس من حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب
الجمازات نحو بخارا للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها

قرب محله ورعي له حقه واستحضر مجلس الانس تخصيصا
بمزية الاكرام والاثرة فلما قدر عليه سلطان الراح لم
يتمالك ان قال مستبطئا لو عرفت تعود الهمم بآل سامان
عن اغاثة الراجين لها واللاجين اليها لطلبت غير هذه
الحضرة ملاذا او معتصرا فخشن مس هذا المقال منه و
امر به فنفي الى خوارزم وبلغ ابا علي بن سيمجور حاله
ومقاله فبعث الى خوس بمن قبض على غلمانه وامواله فنقلهم
واياها اليه غنيمة خالصة عن ايدي الاعتراض والاشتراك
واصاب البيع بخوارزم رمد اقلقه والمده واستنفد وسعه
وجلده وحمله الضجر بالالم على ان فقأ عينه الرمدة بيده
فسالت على خده وكان ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يطر
من اعقاب الالياسية بجدود كرمان احد بعده وازداد
باع عضد الدولة طولا وعزة وارتفاعا وسموا الى ان
ورثه بهاء الدولة وضياء الملة فاجرى امورها مجاريها
الموروثة في حفظ الاطراف وبسط العدل والانصاف ولما ملك

السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان وافتتح سجستان
وحصل بين ولايته وبين تلك الديار ذمار الجوار فاتحه
بهاء الدولة وضياء الملة بكتبه خاطبا لكريمة وده على
صداق قلبه المغمور بموالاته المقصور على تطلب مرضاته ووصل
ذلك بهدايا ومبار لاقت برحب صدره وعلو همته وقدره
فاجابه السلطان الى ما خطبه واوجب له مثل ما اوجبه
واتحفه بما رهن الوداد واكد الاتحاد وقضى حق المكافاة
وزاد وتسوقت الحال بينهما الى زيادة عصمة تتخذ بها البيوت
والمرابع وتشترك فيها الاقارب والاباعد فسفر مشايخ الدولتين
في تشبيك اللحمة وتوشيح اسباب القربة الى ان اتاح الله من
ذلك ما عم القاصي والداني فايدته وشمل الحاضر والبادي
والطاري والثاني نفعه وعائدته

ذكر وقعة نارين

ونشط السلطان في سنة اربعمائة لغزوة في ديار الهند نكاية
بها فرح نكاياته فيها تقربا الى الله تعالى واحتسابا للمثوبة من
عنده فنهض نحوها يحث الخيول ويخترق الحزون والسهول

الى ان توسط ديار الهند فاستباحها واذل لقاحها ونكس اصنامها
وعرض على السيوف اغتامها وسار على هيئته نحو مقصده
واوقع بعظيم العلوج وتعه افاء الله بما عليه امواله واغنمه
خيوله وافياله وحكم فيهم سيوف اوليائه يحسونهم بها بين كل
سهب وفدفد ويجزرونهم عند كل مهبط ومصعد وردهم
الى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم الموفورة سالما غانما وافرا
ظاهرا ولما راى ملك الهند ما صب الله عليه وعلى اهل مملكته
من سوط العذاب بوقائع السلطان فيهم ونكاياته في قاصيهم و
دانيهم وايقن انه لا قبل لهم بثقل وطاته وخشونة جانبه و
سطوته ارسل اليه اعيان اقاربه وقرابينه ضارعا اليه في
هدنة يقف فيها عند امره ويتسمح له بماله ووفره ويتجرد
اوقات دعائه لنصره على ان يقود اليه بادى الامر خمسين فيلا
يعد احادها باضعافها لثقل اجسام وخفة اقدام ويحمل
معها مالا عظيم الخطر كثير القدر مما يضاهيه من مبار
تلك الديار ومتاع تلك البقاع وعلى ان يناوب كل عام بين افناء

عسكره

عسكره في خدمة بابه بالفي رجل بادين وعائدين الى اتاوة
معلومة يلتزمها كل سنة سنة يتمسك بها من يرث مكانه و
يقوم في كفالة الملك مقامه فاوجب السلطان اجابته الى
ملتمسه لعز الاسلام بذل طاعته واعطائه الجزية عن يده فوق
استطاعته وبعث اليه من طالبه بتصحيح المال وقود الافيال
فنقد ما وعد وقدم الوفاء بما شرط وبعث بمن ضمن تجهيزهم
الى بابه من خواص رجاله على جملة الخدمة واقامة رسم الطاعة
وحفظ الحرمة فانعقدت تلك الهدنة ودرت تلك الاتاوة
وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان الامان
وجوار الحيطة والاحسان **ذكر غزوة غور** اتفق للسلطان فكر
في جبال الغور وتمرد اهلها وتمنعهم على عطلهم عن حلية الدين
وسمة الاسلام وحصولهم في المقلة من عين حوزته والمركز
من دائرة مملكته وتاذي المارة والسابلة بعيث ارصادهم
وعيث قطعهم الطرق وافسادهم لاستطالتهم بمناعة جبالهم
الشواهق ومحال مسالكهم المتضايق فانف للدولة القاهرة من

ان يخليها على غلق اقفالها وشدة رتاجها فصرم العزم على
تدويخ ديارهم وتذليل رقابهم وانتزاع نعرة الاستطالة
من رؤوسهم واستئصال وحرة العصيان من صدورهم فانتخب
بخيله ورجله معوّلا على صنع الله وفضله وقدم امامه والي
هراة التونتاش الحاجب ووالي طوس ارسلان الجاذب
فسارا مقتحمين في مضايق تلك المسالك الى ان افضى بهما الدروب
الى مضيق قد غص بحماة الغورية ممن لفظتهم القرى القاصية
والمحال المتنائية فتنا وشبوا الحرب ثنا وشاغلت فيه العوامل
الا الصوارم في الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان
على حر الكريهة حتى سالت نفوس وطارت عن الهام رؤوس
وبلغ السلطان خبر الفريقين فلحقهم في خواص رجاله وحمل عليهم
الى ما وراءهم شيئا فشيئا وتملك عليهم مدارجهم شعبا فشعبا
الى ان قرّبهم في عطفات الجبال الشوامخ والحقهم بقلل الراسيات
البواذخ واستفسح المجال الى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري
فغزاه في عقر داره واحاط به من جوانب حصاره وهي في قصبة

تدعى آهنكران وشدّ عليه الحرب وبرز الرجل في قرابة عشرة
آلاف رجل رجال كانما خلقت قلوبهم من الحديد واكبادهم
من الجلاميد يستأنسون باهوال الوقائع استئناس الظماء
بماء الشرايع فصافّوا عسكر السلطان مرعدين بالبطش والباس
مبرقين بصوارم الاسياف وجعلوا يهرّون في وجوههم هرير
الكلاب اعياها الفرار واحرجتها الاحجار فامر السلطان بمداركة
الشدّ عليهم على ما اوجبه حكم الاحتياط وكانوا مستندين الى معاقل
وثيقة معتصمين بخنادق عميقة حتى اذا انتصف النهار على
وكافحتهم في مغامسة الحرب ومصابرة الطعن والضرب اشار
بتوليتهم الظهور على وجه الاستدراج والاغتيال فاغتروا
بخدعة الانقلاب وانفضوا عن مواقفهم الى فسحة الفضاء لاغتنام
فرصة الانهزام فكرّت عليهم الخيول بضربات غنيت بذواتها عن
اخواتها فلم يرتفع منها واحدة الا عن دماغ منثور ونياط مبتور
وصرع في تلك المعركة الواحدة رجال كهشيم محتظر او اعجاز نخل
منقعر وملك الاسر عظيمهم المعروف بابن سوري باقربيه و

ذويه وسائر حواشيه وافاء الله على السلطان ما اشتمل عليه
حصاره من ذخائر الاموال والاسلحة التي اقتناها كابر عن
كابر وتوارثها كافر عن كافر فامر السلطان باقامة شعار
الاسلام فيما افتتحه من تلك القلاع والرباع فافصحت بذكره
منابرها واشترك في عز دعوته باديها وحاضرها ورجع بعد
ذلك عن وجهه على جناح اليسر والنجاح والظفر المتاح وحين
راى ابن سوري حصوله في ذل اساره واستباحة السلطان
ودائع حصاره تبرم بحيوته واستراح الى برد وفاته فامتص
سما كان اودعه فص خاتمه فجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين

ذكر القحط الواقع في سنة احدى واربعمائة

وقع القحط بنيسابور في هذه السنة خصوصا وفي سائر بلاد
خراسان عموما فهلك بها وباطرافها دون غيرها مائة الف
او يزيدون وكم دفن منهم باطمارهم لضيق الاكفان بهم
وعجز غسلة الاموات عنهم وكان الناس من بين غلام وشاب

وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخبز ويذوبون على
انفسهم حتى تغور عيونهم وتجب للموت جنوبهم ورعوا نبات
الارض حتى استحكم اليأس عن الزروع وانقطعت الاطماع عن
الريوع وضاق بهم الامر فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤس
الكناسات تعللا بها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد
يتقاسمون بينهم نجيعها بالكيزان والخزف تسكينا لحرة الجوع واختزاء
به عن القوت ولم ينل منه احد الا سقط لجنبه وجاد عن كثب
بنفسه وعهدي بهم يتتبعون سقاطات حب الشعير عن الارواث
وهيهات ان الشعير لا عيا الانام فكيف البهائم والانعام ثم ترقى
الامر الى ان اكل الام ولدها والاخ اخاه والزوج زوجته وظل
بعضهم يختلس بعضا من شوارع الطرق الى الخربات ويطبخ منه ما
شاء من الباجات وحرمت الاسمان على الناس لكثرة ما صبهم
عليها من لحوم البشر فبيع في الاسواق وقبض على اقوام بلا عدد
كانوا يغتالون السابلة فيصهرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم
ما يغمر العد من رؤس الناس قد اكلت لحومهم وصهرت شحومهم

فاما الكلاب والسنانير فلم يبق منها الا العدد اليسير وهاب
اوساط الناس ارباب الحرف ان يخترقوا وقت العشاء محلة
نائية عن واسطة البلد الا في عدد وسلاح حديد وذكر لي
ان فقيها وجيها من اصحاب الحديث دخل على الامام ابي الطيب
الصعلوكي فسأله عن تطاول عهده به فقال ليأخذ الامام الا
عني احدوثة عجيبة رد الله تعالى علي بها روحي فضلا منه
جسيما وصنعا كريما وذلك اني جعلت امر ببعض العشيات
وحيدا في شارع اشار اليه فلم يرعني الا وتر صار في عنقي وجذ
به جذبة ضيقت علي مخنقي فبينا انا اهم بموافاة الجاذب
ومدافاته للسلامة عن ضيق ذلك التخنيق اذ وثبت الي
امرأة من بعض تلك الابواب فضربت بركبتها انثيي ضربة
سقطت منها مغشيا علي فلم اشعر بعدها بشيء من مصادر الامور
الى ان افقت عن الحس ببرد ماء رش بي وجهي وترائبي فنظرت
الى قوم اجانب يخادعونني عما دهاني ويكاتمونني صورة ما
عراني فاذا هم ساعة وجبتي لجنبي اذ ذكروني عائذين الى منازلهم

فهرب منهم من اسعى على قتلي واستباحة دمي وتركني برمقي
وخلى الوتر في عنقي فصبرت ساعة الى ان استوفيت الافاقة
واستعدت القوة والطاقة وعدت الى المنزل وسقطت من
هول ذلك المصرع على الفراش عشرين يوما مدهوشا مبهوتا و
حرضا مسبوتا الى ان من الله تعالى بالابلال وزوال الكرم ما
مسني من الم الاعتلال فبكرت يوما احسست بالخفة الى
المسجد لاقامة الفرض وصعدت الميذنة على الرسم فلم اتمم
التكبير حتى اختطف عمتي من راسي وهوى اراد صاحبه بدقتي
فاخطأها لما اراد الله تعالى من انساء اجلي واستبقاء مهلي
فعدلت عن الاذان الى الصياح لطلب الامان وجعلت بعد
ذلك لله علي ان لا اخرج مدة هذه الفتنة من داري الا
والشمس بيضاء نقية ولا ارجع اليها الا وفي النهار بقية
فهذه هي التي ثبطتني عن الخدمة واقعدتني عن الرسم في
مشاهدة الجملة فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية و
سألوا الله تعالى حسن العافية وحكى عن الاستاد ابي سعيد

التكبير

السلامة

عبد الملك بن عثمان الواعظ احد الصالحين من عباد الله
الموقنين والساعين في مصالح المسلمين انه نقل الى دار كان
يسكنها المرضى والزمنى من الفقراء وابناء السبيل في يوم واحد
من ايام هذه السنة اربعمائة ميت عن برح الجوع والمخمصة
الى ان يوعز بتكفينهم ودفنهم فاتاه خبازه الذي كان يقيم
جراياته المذكورين من جهته وهو في حيرته يذكر انه قد بقي
في هذا اليوم بعينه مما كسد على البيع اربعمائة من خبز فسبحان
من يقضي على من يشاء بالفناء مع امكان الاقوات ووجود الكفايات
وقد اكثر الناس في ذكر ذلك الغلاء والبلاء فمنه قول ابي نصر
الزاوهي الكاتب

قد اصبح الناس في غلاء ۰ وفي بلاء تداولوه
من يلزم البيت يود جوعا ۰ او يشهد الناس ياكلوه

ولابي محمد العبدلكاني الزوزني

لا تخرجن من البيوت ۰ لحاجة او غير حاجة
والباب اغلقه عليك ۰ موثقا منه رتاجه
لا يقتنصك الجائعون ۰ فيطبخوك بسور باجه

وامر السلطان بالكتب الى العمال بصب
الاموال على الفقراء والمساكين فاستنقذ الله بها مهجات قوم قد

اشرفت

اشرفت على الهلاك وافتكهم من بين حنك الاحتناك فبقيت تلك
السنة على حالها الى ان ادركت غلات سنة اثنتين واربعمائة
فمن الله بازالة تلك الشدة واطفاء تلك النائرة المتقدة و
تدارك عباده بعد استحكام الياس بالغيوث الهامية والريوع
الزاكية النامية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم

ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاودة ماوراء النهر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد انكشاف عسكر الترك
عنه يراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك الخان واخيه الكبير طغان خان
اذ كان اخوه يمالئ السلطان عليه لايمان يزعم لزومها اياه و
مواثيق يدعي انعقادها عليه ويظهر البراءة على السنة رسله
من فعلات ايلك في منابذته ومكاشفته والتخطي الى حدود
مملكته ويورك ايلك الذنب عليه في اغرائه بما اتاه ومكاتبته
في البعث على ما جناه ولما ظهر لايلك ان اخاه طغان خان قد جعله
عرضة للجناية وقلده طوق المكاشفة براءة منه وخذلانا اياه

وسقا لعصاه واسلاما له بما كسبت يداه رأى ان يبتدئ به
فيحسم داء قرابته ويغسل بالسيف وضر جنايته فجمع جيوش
ما وراء النهر لقصده واستدفاع مكره وغدره وسار حتى اذا
جاوز اوزكند نحوه سقطت ثلوج سدت عليه مسالك العقاب
المفضية اليه فارتد عن وجهه الى قابل حتى طاب الهواء وانحسر
الشتاء وجفت الانداء فكر عائدا على ثاره لفت المشير مومنا
بثاره وكان ورود رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره فتراجعا
القول في البراءة عن جناية العبور احالة بعضهم على بعض في نقض
المواثيق والعهود فخلاهم السلطان في لغط القول حتى وصلوا
بجر النقار الى برد الاشتفاء واراد السلطان بعد ذلك قراهم
فامر بتعبية جيوشه وتغشية فيوله فرتب العسكر سماطين
عرجنبتيه في هيئة لو رآها قارون لقال ياليت لنا مثل ما اوتي
محمود انه لذو حظ عظيم وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه
على التقابل قرابة الفي غلام من عقائل الترك في الوان الديابيج
من بين سود وبيض وحمر وصفر وكهب وخضر وفيما يقرب

من

من موقفه خمسمائة غلام من خاصته على ترتيبهم في متقلدات
الروم بمناطق من ذهب مرصعة بالجواهر واعمدة من جنسه فوق
الاكتاف والعواتق وقد اطاف بهم من عظام الفيول اربعون
فيلا على المحاذاة غواشيها ديابيج الروم بعصائب ومعاليق من
الذهب الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين وياقوت وزين ووراء
السماطين سبعمائة فيل في تجافيف مشهرة بالالوان مسورة بالخزا
والمران وعامة العسكر في سرابيل قد كدت القيون وردت عن
اجتلائها العيون ورتب الرجالة امام الخيول في التراسة الواقية
والجنن الحامية والسيوف المرهفة والعوامل المختلفة وقام بين
يديه حجابه كالبدور في ظلم الديجور قابضين على قبائع سيوفهم
تذره ناظرين امره واذن لهولاء الرسل على هذه الهيئة حتى
لقوه واقاموا رسم الخدمة على ما افترضوه ثم عدل بهم الى الموائد في
دار قد فرشت بما لم يحك غير الجنة مزينة للمتقين معرفة للعارفين
ففي كل مجلس دسوت من الذهب الاحمر بين جفان كالحواض والمباق
كبار قد نضد بها من صدره الى قدمه بما يشاكله في الاواني الفائقة

والآلات الفاخرة الرائقة وهي لخاص مجلسه طارم قد جمعت
الواحه وعضاداته بقضبان الذهب وصفائحه ووثقت بمسامير
من جنسه وفرش من الديابيج المثقلة بما لا يدرك الابصار منه غير
حمرة الذهب وفي الصدر منقلة مقسومة ببيوت مضلعة
ومستديرة تشتمل كل منها على نوع من الجواهر التي اعيت امثالها
اكاسرة العجم وقياصرة الروم وملوك الهند واقيال العرب وحوالي
المجلس اطباق صحاف من الذهب مملوءة من المسك الاذفر والعنبر
الاشهب والكافور العطر والعود العبق وهلم جرا الى ما يلي الابواب
والايدي من اترجات مصوغة ونارنجات مصنوعة وما يشبه
الفواكه من عقيان وبدخشي وبهرمان الى وان لم تسمع بمثلها
رقة اجسام ودقة صنعة واحكام وطاف على الرسل ولدان
كالدر المنثور واللؤلؤ المكنون براح كالماء المعين وخضاب الخدود
العين الى ان اشفقوا من عثرات العقول فاستاذنوا القفول وقد
وصلهم السلطان بعد هذه المادبة وراءهم بما اوجبته
همته من تحقيق امانيهم ورعاية حق الملح فيهم وبقي الاخوان على

جملتهما

جملتهما في المنافرة والمناقرة والمكاوحة والمكافحة الى ان
توسط السفراء بينهما ففصلوا الامر على ما كف كلا منهما عن
صاحبه على ما سنورد ذكره في موضعه باذن الله تعالى

ذكر فتح قصدار

قد كان السلطان يراعي ما يتجدد من اخبار الاخوين ايلك وطغان
خان فيما تنازعاه من الامر فلما بلغه استحكام ذات بينهما استخار الله
في قصد قصدار اذ كان صاحبها قد الم بجانب المجانبة واخل
بحمل مال المقاطعة اعتزازا بمناعة مملكته واغترارا بحصانة
الطرق المفضية الى حلته وفصل السلطان عن غزنة الى بست
مورّيا بقصد هراة حتى انتشرت الاخبار بعزمه واستفاضت
الاحاديث بظاهر امره ثم ركض الى ناحية قصدار في الغلب الغلب
من رجاله ركضة طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة
فلم يشعر صاحب قصدار الا بعلان السلطان حول داره قبل ان
يكتحل بضوء نهاره او يحتفل لشد ازاره فنادى الامان الامان
وبرز لخدمة السلطان والزمه خمسة عشر الف الف درهم من جملة

ماكان الظّ به من اموال عمله فالتزمها ونقد اكثرها وقبض
السلطان على عشرين فيلا ضخاما هائلة كان اعتقدها ليومي
بؤسه وباسه ووكّل من استوفى المال عليه ورجع عنه بعد
ان رعى حق طاعته وضراعته باستخلافه على ماكان يليه و
بسط يده في اطراف عمله ونواحيه ورجع عنه الى غزنة ظاهرا
نجحه فائزا قدحه عاليا يده واريا زنده صنعا من الله لمن
يجتبيه من خيار خلقه لعمارة ارضه واقامة حقه والله يعطي
ملكه من يشاء والله عزيز حكيم

ذكر الشارين ابي نصر محمد بن اسد الوالد والشاه بن محمد ابنه وما افضى اليه امرهما

قد كان يلقب كل من يلي امر غرشستان بالشار سمة مصطلحا
عليها تنبئ عن معنى التملك ورتبة الاجلال والتعظيم وكان
الشار ابو نصر واليها الى ان ادرك ولده الشاه وفيه لوثة
مشهورة فغلب على الامر لقوة شبابه واستظهاره بمن شايعه
من اصحابه فاعتزل ابوه مخليا بينه وبين ماكان يليه وتفرد

بالنظر

بالنظر والتدبر فيه ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة
الادب اذ كان بهما مولعا وبلذتهما دون سائر اللذات مقتنعا
وكان منتجع الافاضل من اعماق البلاد ينتابه منهم كل مبدع
ينتابه منهم كل مبدع خطا وبيانا او مبدع به بلوى وامتحانا
فما ينشب بعد ان ينتابه ويشهد بابه حتى يستفيض جنابه
ويستجزل بره وثوابه وكان صاحب الجيش ابو علي محمد بن محمد
بن سيمجور لما افتتح الاستعصاء على الرضي رام ان يستضيف
ولاية الغرش الى ما يليه وان يجد من الشارين طاعة له في
اوامره ونواهيه فاظهر التمرد عليه كراهة لاختياره على
ارباب الملك الذين اعطوهم المقادة قديما وسلموا لطاعتهم
تسليما اذ لا لا بحصانة صياصيهما وقلاعهما ومناعة حواشيهما
واشياعهما ومحاماة الرضي على حقوق طاعتهما وسوابق حرماتهما
ان هم ابو علي بمنازعتهما ملكا ورباه او طمع في فضل مال اقتنياه
فلم ينهنهه ابو علي ان جرد اليهما ابا القسم الفقيه احد انياب دولته
واركان دعوته في جيوش كثيفة وخيول على الآلاف منيفة

فناهضهما في عقر دارهما متوقلا اليهما نوازع نصائح السماء و
وسوامح مناطح الجوزاء ومتوغلا مخارم تمرد على السلوك مرود
السموم على غلاظ السلوك بناجرها في كل تلك المقامات التي
تدار عندها بالرؤوس وتغشى على النفوس ويلجئهما من مضيق
الى مضيق ويفجعهما بفرقة بعد فرقة حتى اجلاهما عن قرارة سهما
الى قلعة وربما اسلمتهما في اخربات هاتيك الجبال نزل عن اعاليها
اقدام الغيوم وتحلق دون مبانيها كرام الطيور وملك عليهما
حصون جبالهما وسهول ديارهما ومجالهما بجيبها وتتبع ما نشب
الى كل منهما فيها الى ان صمد الامير ناصر الدين سبكتكين في نصر الامير
الرضى صمد ابي علي فاسترد ابا القسم الفقيه شغلا بالنازل
القرم عن الثني وبالعقاب المنقض عن الكركي واتى الوادي فطم
على القرى وانضم الشاران الى الامير سبكتكين في نصرة الامير
نوح فانتقما من ابي علي حين ولى هزيما وتعرى عما تولاه واقتناه
حديثا وقديما واجفل نحو جرجان لا يملك رايا ولا عزما ولم تزل
بعد ذلك حالهما على جملتها في الامنة والسكون والجاه المصون

الى

الى ان ورث السلطان يمين الدولة وامين الملة خراسان حكما الله تعالى
في ارضه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن
ولاة الاطراف للطاعة والتزام حكم المتابعة واعطاء صفقة
البيعة وقرع المنابر باقامة الخطبة وكلهم سمع واطاع وبذل في
الخدمة والقربة المستطاع انهضت الى الشارين في اخذهما
باقامة الخطبة له اسوة امثالهما من ولاة الاطراف وضمناء الاعمال
فتلقيا في بفروض الطاعة والحرص على الاقتداء بالجماعة وامرا بالخطبة
فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرش في شهور سنة تسع وثمانين و
ثلثمائة وورد على الشارين كتب المتحازبين الى بخارا عن هزيمة مرو
يذكرون انهم على الاستعداد والتجرد للعاد فلينتظراهم عن قرب
ولياخذا من الانتصار ودرك الثار بنصيب فبعث الشار ابو نصر
بها الى درج رقعة افرد في بابها يسالني تاملها وانفاذها باعيانها
الى السلطان ليتقرر حاله في الموالاة ومخالفة ذوي المناواة و
المعاداة فكتبت اليه في جواب رقعته تاملتها اطال الله بقاء الشار
فوجدتها على خدود قد عمل فيها صيقل الوقاحة لمجدل متوعد

صاحبه بان يضرب فكيه ان لم يكف عنه كفيه وما نحن في
هذا المعنى وفيما اولى الله مولانا السلطان من الحسنى الا كما قال المتنبي
ولله سر في علاك وانما ⁂ كلام العدى ضرب من الهذيان
فاما قولهم انا على الانتصار وطلب الثار فتلك امانيهم قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول
لئن كان اعجبكم عامكم ⁂ فعودوا الى حمص في القابل
فان الحسام الخضيب الذي ⁂ قتلتم به في يد القاتل
فان قالوا ان العود احمد فذاك ولكن لمن حمد البدء لا لمن
ذم وصادف فيه ما سر لا ما ساء وغم وقد رأوا في بدء لقائهم
كيف شرقت السيوف بدمائهم وتحكمت النسور في اشلائهم فان
نشطوا ثانية فهاتيك الصوارم ماضية والقشاعم ضارية وما
اشبه حال القوم بما قام به ابن الاشعث خطيبا في قومه فقال
يا قوم انه ما بقي من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به
يمينا وشمالا فما تلبث ان تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفاءه
توهج قليلا ثم لم يغن ذلك من حينه فتيلا فالحمد لله الذي جعل

سيوف مولانا تخطب فوق اسرة الاذقان والى الله الرغبة
في ان يطيل بقاء مولانا ما طلع نوم من حجاب امس وطلع نفس
من قرارة نفس منصورا على من نابذه وناواه ليودعه
من بطن الارض ملحده ومثواه وعن كثب سيرى الشار
كيف يفعل الله بالغاوين ويلبسهم خزي الباغين ويردهم
اسفل السافلين وقبل وبعد فالحمد لله رب العالمين وكان
الامر على ما حدست وتفرست فان ايلك انحدر اليهم فملك
دار الملك بخارا واخذ معظم القوم اسارى وشرد الباقون
في الارض حيارى نعم وطالعت الحضرة بصورة امر الشارين في
الطاعة حتى حظيا من الاكرام بما توقعاه وحليا من الاعزاز والايثار
باكثر مما تطلعاه وحضر الخدمة بعد ذلك الولد المعروف بساه
سار فصادف ما استحقه من ترحيب وترتيب وحظ من الاجلال
والايثار رغيب وغبر مدة على هذه الجملة وهو بين الاعتزاز
بسمة الملك ولوثة في الطبع قلما يسلم امثالها عند الملوك والاقبال
على الهلك وهو على كل ذلك محتمل وبلطف القبول والاقبال مقتبل و

استاذن من بعد للانصراف وراءه فصادف اذنا بالمبار
الكريمة مشفوعا والى الخلع الشريفة فوق الهمم المنيفة مجموعا
وعاد الى افشين قراره بنيته ومثابة عزه الى ان عنت للسلطان
غزوة احب ان يحتشد لها فضل احتشاد ويستظهر فيها بما
حوله من قوة وعتاد وامراء جيوش وقواد وامر بالكتاب
اليه في استنهاضه اسوة امثاله ثقة بخصوص حاله وثمرة ما
افاض عليه من سجال افضاله فلزبه الخذلان على المكان ولقنه
معاذير واهية الاركان وظل يتردد بين الحران والاذعان
الى ان حقت عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن
تدبيره واقبل على ما اهمه من امر مسيره حتى اذا دان له ما
قصد وظفر بمن كند وتمرد عاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح
سارقا ضياؤه وجدد مكاتبته ايمانا له من خيفة ان اوحشها
وايناسا من وحشة ان لابسها واستبقاء للصنيعة عنده من
ان يخضد اشاءها او ينقطع دون الماء رشاءها فلم يزدد
الا كفورا ونفورا وكان امر الله قدرا مقدورا وعند ذلك جرد

السلطان

السلطان حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش وفتاه والي
طوس ارسلان الجاذب فيمن ضمهم الى جملتهما وسمهم بالمسير
تحت رايتهما لمناهضة الشارين وامتلاك الغرش عليهما و
اذاقة وبال العصيان وكفران الاحسان بهما فنهضا بالعدة
والعديد والبطش الشديد واستلحقا ابا الحسن المنيعي الزعيم
بمرو الروذ لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك
الشعاب والقلل فسارا اليهما في رجال قد كدحتهم التجارب و
نيبتهم النوائب يعجمون باطراف الثنايا على الزبر ويدخلون
ولو خرت الابر ودمروا على الشارين بتلك الناحية فاما الشار
الكبير الوالد ابو نصر فاستشف استار العاقبة واغتنم اسعاد
العافية ولاذ بالامان الى الحاجب التونتاش مظهرا للبراءة
من فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام من عقوقه
وتمرده وتحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته بعين من لم
يرتكب جريرة ولم ينغل سريرة ولم يبدل في الطاعة والاخلاص
سيرة فحدره الى هراة بين ترفيه اقتضته طاعته واحتياط

اوجبه خلاف الابن وممانعته وكتب بحاله الى السلطان فورد
في الجواب ما آمنه رهق المواخذة وعنت المعاقبة واما ابنه
الشاه فتحصن بالقلعة التي آواها ايام السيجورية وهي التي
سبق وصفها في عزة الجوانب ومناعة المناكب وصعوبة المصاعد
والسمو على متون الغيوم الرواكد واستصحب اليها خواص غلمانه
وخزانته وسائر حاشيته وبطانته وقصده الحاجب التونتاش
وارسلان الجاذب في الجم الغفير من اعيان القواد وابطال
الافراد وتقاسما اركان الحصار تدنيا بالمجانيق المنصوبة و
العرادات الموضوعة ومنا وسنة للحرب من جهات كادت
حشاشات النفوس من هول المقام ان تذوق كؤوس الحمام
قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام وواصلا صبوح تلك الحروب
بالغبوق حتى هدما احد اسوار الحصار توصلا بالحضيض من وقع
الجلاميد وصدم المجانيق وتسلقها اهل العسكر منحين على سائر
الاسوار كالعصم واقلة في شم الهضاب او الاوراب هاربة من
عصف الكلاب واشتبكت الحرب على تلك الحبال ضربا بالسيوف القواضب

واخذا

واخذا باللحى والذوائب حتى سالت المذانب من دفع النحور
واخجرت المنابع من علق الصدور وراى الشاه عند ذلك من
هول المطلع ما لم يكن ثم كان فدعا الامان الامان فهيهات
ان غضاب النفوس اذا صادفت نجح المرام ووجد التشفي
بالانتقام لموتورة الآذان او تفعل افعالها وتنال من درك
الثار منالها وما زالت تلك دعواه وهذه حالهم حتى اخذوه
اسرا واستنزلوه عنوة وقسرا واستبيح ذلك الحريم بما حواه
من درهم ودينار ومال واستظهار واخذ حاجبه و
وزيره بل نديمه وسميره بل قليله وكثيره ووضع عليه الدهق
حتى اغفى بما عرفه من ذخائره وخبره من ودائعه وجلب
عامة اوليائه وعماله والمتصرفين في اموره اموالهم حتى عروا
عن لباس اليسار وعزت اخلاقهم دون الاستدرار وطلع
ابو الحسن المنيعي عن ارتفاع العرش على ما علم ارتفاعه منه
قبل للسنار فتمكن منها واستخلف هناك من يقوى يده في عمله
وشحن الحصار بكوتوال بوبوز بامانته وحمله وبعث السلطان

بعض خواصه لنقل الشار المأسور الى حضرته على سبيل ارفاقه
من جهته فلما سلم اليه حمله في وثاقه نحو غزنة وسمعت بعض
الثقات انه اتفق للغلام ان يكتب الى اهله بخبره وما لقيه
في حالتي ورده وصدره ويبشرهم بمنصرفه فاستدعى
الشار في عقاله وامره بتولي ذلك بخط يده فانعم تفكرا ثم
اظهر تشكرا وكتب ما هذا معناه ايتها القحبة الرخبة اترينني
اغفل عما احدثته بعدي من خيانتي في الفراش وتمزيق ما
خلفته عليك من مالي وتمحيقه بانواع الفساد لقد انهى الي
جميع ما ركبته من فجور وشربته من خمور وضيعته من مالي في
كل منكور ومحظور وها انا عائد اليك وايم الله لاضعن الدهق
عليك وعلى والديك ولادقن يديك على رجليك ولاجعلنك
عظة لربات الخدور في الدور يا كذا وكذا واستانف الشتم حتى
علم انه قد اكتفى واشتفى ثم طوى الكتاب ودفعه الى الغلام فطير
به بعض ثقاته فقامت القيامة على اهله وخفن عدوا واسعى بمن
وحرق من صورتهن وفكرن في امرهن فوجدن اصوب الاراء تفريغ

الدار

الدار وتقديم الاستتار وفعلن ذلك دايبات على القلق بائتات
على الجوى والارق فلما وصل الغلام الى الدار فاذا هي كالقاع
القرق لا يلم بها نافخ ضرمة ولا معلق وذمة وبقي جيران
وسال الجيران فاخبروه بصورة الحال والكتاب وما خيف من
الفضيحة والعقاب فدعا وبلده ولعن الكاتب ومن والاه
والكتاب ومن املاه واحتال في رد العيال بضمان اكده واحسان
جدده وبلغ الخبر السلطان فضحك لاحتيال الشار عليه وقال كذا
حق مثله ممن يستخدم الشار كاتبا ويضع حرمته بالامس جانبا
ولما حمل هو الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط تاديبا له على
ما اغفله من حق النعمة وهتكه من ستر الحشمة فجرد لها واخذته
عذبات العذاب فاكثر الضراعة والاستكانة وشكا الذل والمهانة
فلما استوفى التاديب حقه دون ان يبلغ النكير منتهاه والعقاب
امده ومداه امر بانزاله واعتقاله في موضع يصلح لامثاله وامر
بمواساته والتوسيع عليه في اقواته من حيث لا يشعر باذنه فيه وفيما
اتاحه له من الترفيه كرما سرى في تضاعيف مزاجه ولا الخمر في

عروق البشر او الماء في عروق الشجر والتمس اسعافه بغلام كان
حظيا عنده فرد عليه واعيد بعض ما يصلحه اليه فاما ابوه
المقيم بهراة فاذن له في ورود الباب ولوحظ بعين الايجاب
واتباع السلطان منهما خاص ضياعهما بالعرش حلا لها عن
عقدة الشبهة واستصافه اياها الى جملة ضياعه الملكية و
امر لهما باثمان ما باعاه نقدا صيانة لهما عن مس الفاقة وذل
الحاجة ورفرف الشيخ الجليل شمس الكفاة على الشار ابي نصر
بجناح الاكرام والرعاية حتى اتاه الداعي وقام به الناعي وذلك

ذكر وقعة في سنة ست واربعمائة نادين

قد كان السلطان لما استصفى ناحية الهند الى حيث لم يبلغه في
الاسلام رايته ولم تتل بها قط سورة ولا آية فرحض عنها
ادناس الشرك وقشع دونها اغباش الكفر وبنى بها مساجد يقوم
فيها دعاة الله بالاذان الذي هو شعار الايمان راى ان يطوي
تلك الديار الى واسطة الهند منتقما الله ممن يجحد توحيده ويضع
لعبادة الانداد من دونه تعالى جده ويرتديه محكما فيه

الاشباه والانداد

سيوفا

197

سيوفا طبعت على غرار الاسلام وسقيت بماء الايمان وصينت
في قراب دين الله وانتضيت بايدي الاخيار والابرار من اوليائه
فندب الرجال وفرق الاموال واخلص اليقين واستنصر الواحد
المعين ونهض في الطم والرم والليل المدلهم وذلك في سنة اربع
واربعمائة وجعل المسير في اخريات الخريف ثقة بطيب الهواء من
جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك الديار ان سقطت ثلوج
لم نعهد قبلها مثلها فسدت مخارق الجبال وسوت بين الاباطح
والتلاع وكلح وجه الهواء كلوحا اثر في الحوافر والاخفاف
فضلا عن المحاسر والاطراف وظلت مهايع الطرق فلم نعرف الميامن
من المياسر ولا المقادم من المآخر واضطرت الحال الى الانعطاف
الى ان ياذن الله ثانيا في الانصراف ولكل شيء حد محدود وامد
من المقدور ممدود واقبل السلطان على استئناف العدة والعتاد
واستكمال الميرة والازواد واستدعاء اعيان الغزاة من اطراف
البلاد حتى اذا تمت العدة والعديد وباهى العقد باخواته الفريد
وتضام الناس كقزع الخريف من كل وجه منشورا وعن كل اوب

القزع قطع السحاب في الخريف

محتوناً ومحشوراً واقبل الربيع بطيب المقيل وبرد الغداة والاصيل
استخار الله فى الرحيل وسار كالبحر الاخضر يضربه الاعاصير
والامر الحتم تجنبه المقادير تغدت وحوش الارض منا سورة
وطيور الجو مقهورة ولو احست الارض لرنت من ثقل الحديد
والمشى الوئيد وحث الابطال فوق القب القياديد وساق
امامه ادلاء يهتدون اعماق تلك البلاد ولا الشمس طالعة
ولا النجوم مستقيمة وراجعة وحث الركائب شهرين بين انجاد
عميقة الاغوار بعيدة ما بين الاقطار وبواد تظل فى ارجائها
اسراب اليعافير وتحار فى دهناءها افواج العصافير حتى اذا وافى
المقصد عبى الخيول كتائب وميزها عصائب ورتبها كواكب
وقسمها مناسر ومقانب ونصب اخاه الامير نصر بن ناصر الدين
فى الميمنة فى كماة القواد وحماة الافراد وارسلان الجاذب فى
الميسرة فى البهم الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد بن
ابرهيم الطائى على المقدمة فى مساعير العرب احلاس الظهور و
ابناء الصوارم الذكور ورتب فى القلب التونتاش وسائر خواصه و

غلمان داره رجالاً اذا اصطفوا فالجبال الشواهق او زحفوا فالسيول
الدوافق وتذر بهم عدو الله ملك الهند ففزع من فاجى الفزع
الى من حوله من بكاكرته واعيان جيوشه وناصرته ولجا الى
شعب جبل لجج المدخل خشن المتوغل صعب المرتقى والمتوقل
مستعصماً بالاحتجاز عن البراز وبالاحتراس من وقع الباس
وسد مفغر الجبلين بفيلة له يراها الراؤون هضاباً نابتة و
جبالاً ثابتة وبث النفير فى اقطار مملكته يستنهض من نحل حجراً
فضلاً عمن يلقم القوس وتراً او يحسن بالسيف اثراً ومدى فى طول
المطاولة كى يلقى بقوة وافية وعدة متوافية او يلجى اولياء الله
الى الاخلال من فرط الملال او النفور من ضيق الصدور ولم يعلم
ان الله تعالى من وراء المؤمنين وان الله موهن كيد الكافرين
ولما علم السلطان من نيته فى ارجاء القتال وتاخير النزال دلف الى
عدو الله بقلوب تدصقلها التوحيد وبشرها الوعد وانذرها
الوعيد ورماه بالصيلم من رجالة الديلم وبالشياطين من الافغانية
المطاعين رجالاً كالاجال مطوحة بالنفوس مذللة للاعين الشوس

أو الليوث أحرجها الجوع وأغياها إلى أشبالها الرجوع ينفذون
في الأسداد نفوذ المثاقب في العيدان أو البيارم في الخيطان
ويفرعون البواذخ كالوعول ويتزلون عنها منحدر السيول
وواصلها عليهم أياما تباعا يجذبهم بصدق البراز إلى البراز
جذب النار للنسليط والمغناطيس للحديد فكلما فارقوا تلك
المضايق التقطهم الفرسان كما يلتقط الأفراس البيادق ولم يزل
هذه حالهم حتى انضم إلى اللعين أكثر من والاه ولبّاه معظم من
دعاه وعنده احتشد للبروز مستندا إلى الجبل ومن حوله
الأفيال كالقلل فجدّ المصاع واحتدّ القراع وحمي الوطيس و
استوى المرؤوس والرئيس وصار اللقاء كفاحا فمن آخذ
بالذوائب ومناقر كالبعاقيب ومضارب ما بين الرؤوس إلى
العراقيب فكلما أشليت الفيلة للتهويل والتفخيم والحطم
بالأظلاف والخراطيم مطرتها سحائب الزانات متلوّية كالأراقم
منسابة إلى حدق العيون أو نغر الحلاقيم ورأى الكافر موقع
أبي عبد الله الطائي من الغناء وضراوته بإسالة الدماء

فانحاز

فانحاز بأخشن من في جملته شوكة وأعظمهم شكة حتى انتحوه سكة
ضربا على الهام وحطما من خلف وقدام وهو كالحرون ثابت لا
يمل شرف مقامه ولا يكل دون الضرب بحسامه متسمحا بالروح
في نصرة الدين وطاعة رب العالمين ورأى السلطان انحياز
الكفرة عليه فأمده بكوكبة من خواصه لاستخلاصه فاستنقذوه
إلى السلطان ممشوقا بالسيوف منقوطا بالأسنة كالحروف
فأمر له بفيل يستريح إلى سعيه عن ألم الجراح بجوارحه فصار
ملكا له يتميز به من أعيان أهل عسكره ولم تزل الحرب على
حالها حتى أهب الله ريح النصر لأوليائه وأدار دائرة السوء
على أعدائه فأخذتهم سيوف الحق تحيّشهم بين كل مصاد و
منعطف وواد ومدخل ومغار ومعتسف ومنار وملكت عليهم
الفيلة التي أعدوها حصونا وواقية فصارت عليهم عباقية باقية
وأفاء الله على السلطان وأوليائه غنائم رحضت الصدور عن
رين الحسد لاشتراك الكافة في الغنى المقصود واستوائهم في
كفاية الموجود وفتح الله ناردين فتخاطر به شعار الإسلام

اذ لم يبلغه راية الحق من لدن عهد النبي عليه السلام الى زمان
السلطان غزا كتب الله له على يديه وصنعا اتاح الله له التوفيق
والتيسير من عنده ووجد في بيت بدّ حجر منقور دلت كتابته
على انه مبني منذ اربعين الف سنة فقضى السلطان من جهل القوم
عجبا اذ كان اهل الشريعة الغراء والحق المنزل من السماء على ان
مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانا منها في الالف الاخير وكل
ما تساندت به الاخبار من امارات الساعة موجود وبانصار
العيون وبصائر القلوب مشهود واستفتى فيه اعيان العلماء
فكل اجمع على انكار ذلك المنقود وعلى تزييف مثلها من شهادات
الصخور وعاد السلطان وراءه بتلك الغنائم العظيمة فكاد عدد
الارقاء من العبيد والاماء يزيد على عدد الدهماء ورخصت
قيم المماليك فصار اصحاب المهن الخاملة فضلا عمن فوقهم من
السوقة يعتقدون عدة من تلك الروقة وذلك فضل الله الذي
اعز به الدين واذل الالحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين

ذكر وقعة تانيسر

قد كان

قال صدر الافاضل صليان على لفظ صيلم ... الداهية ... الف ونون كذا هو في ... الهندية
عنده ... موصوفة لشدة باسها بالصيلم وهي الداهية

200

قد كان انهى الى السلطان ان بناحية تانيسر فيلة من جنس فيلة
الصيليان الموصوفة في الحروب وان صاحبها غال بها في الكفر
والجحود وغير آل جهدا في الطغوى والعنود وانه محتاج الى
ذوقة من كاسه وحرقة من جمرات باسه ليعلم ان عز الاسلام
عام وان له من سطوة الله سهما كما لسائر اقيال الهند سهام فعزم
السلطان على غزوة اليه يرفع بها راية الاسلام وينسخ معها
ولاية الاصنام ويدع الكفر عليها مجبوب الغارب والسنام وسار
في اولياء الله الذين قد نشأوا على القراع نشأ الاطفال على الرضاع
وضروا بدماء الكفار ضراوة الصقور ببغاث الاطيار وقطع الى
المذكور اودية لم يقطعها غير طائر او حيوان عائر وخرق سباسب
لم يطأها رجل ماش ولا خف حافر وجهد هم في تلك القفار
غلالات الشفاه وبلالات الافواه فضلا عن سائر الاقوات
حتى صنع الله لهم بان بدوا منها الى فضاء يفضي الى ناحية
المقصود ودونه نهر صخاب ارضه ظراب وصفاح كظبى السيوف
حداد يلقى بشاطئه شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا

بلغ

بقيوله ومتكبرا بأفناء رجاله وخيوله فاحتال السلطان بقتاله
عسكره في مجاورة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروه
من طريقين وشغلوهم بالباس من كلي الجانبين ومهما جد الكفاح
بين الفريقين امر السلطان بحملة على الكفار في مخاضات النهر
الهائل والماء الصخب السائل يزعجهم عن طرف الساحل ويقحمهم
اشداق تلك الشعاب والمداخل واشتدت الحرب ضربا
بالخناجر في الحناجر وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل
حال ظاهرون والكافرون هم الصاغرون حتى اذا كاد يهرم
شباب النهار حمل المسلمون من جميع الجهات حملة اوجرتهم
لهوات تلك المخارم مضطرين فخلفوا الفيلة التي كانوا بها
معتزين وتبعها اولياء الله يردون الاعظم فالاعظم منها الى
موقف السلطان فلم يفتهم الاماجد في الهرب اوضاق دون
افتناصه مجال الطلب وصب من دماء اولئك الارجاس ما
نجس به النهر الطاهر على طهارته وامتنع من الشرب على غزارته
لولا ان الليل ستر آثارهم لاستلحم الويل اكثرهم صنعا من الله لدين

بعث به رسوله المصطفى عليه السلام وعلى آله الذين ارتضى مظهرا
له على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الآباد الى يوم التناد
وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا وظاهرا منصورا
ومحمودا كاسمه مأجورا وقد غنم ما تكل عن ذكره انامل التحرير
وتضيق عن اثباته ادراج الاضابير وتطايرت البشائر في
الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق والحمد لله
رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين

ذكر الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت اليه حاله الى ان مضى لسبيله

قد كان الوزير ابو العباس من خاصة فائق الملقب بعميد الدولة
ومن كفاة بابه وثقات اصحابه وكان على البريد بمرو وايام
سالارية السلطان بنيسابور فنمي الى ناصر الدين سبكتكين خبر
قوته وامانته فكتب الى الرضي يستوهبه لوزارة السلطان و
كفاية اعماله وتدبير امور امواله ورجاله فاوجب اجابته
الى ملتمسه وخوطب بالبدار الى نيسابور على مقتضى مثاله فبادر

السلطان للوزارة واستكفاه مهمات الامارة بعد ان يرى
مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة ابي القاسم احمد بن الحسن في الكتابة
كتابة وحسابة واصالة واصابة وهداية ودراية وحماية
وجباية اذ لم يكن على طراءة شبابه بين لداته اغنى منه غناء
وامضى مضاء واذكى ذكاء وادهى دهاء غير ان الامير سبكتكين
جنى عليه في ابيه عند اعتماده لوزارة تبت وتدبير اعمالها
وامر الجباية سبق السيف فيها العذل اصغاء منه الى عداته
فيما سقفوه فيه من رفيعة ولفقوه عليه من سعاية ووقيعة
فاستوحش منه استيحاشا من بادرة فعله والمسيء نفور
القلوب عن ذوي الاساءة صور وكره السلطان الاستبداد
على ابيه في انتضائه حسب ارتضائه واستكفائه وفق المحرر
من ورائه طاعة له في اختياره واتباعا للفلك رايه تحت مداره
وقضى الله ان يكون ما يليه حتى يعترف خراسان بانه عذيقها
المرجب وجذيلها المحكك يتبع ما يفسده الغير بالاستصلاح و
يستدرك ما اخرجته ايدي الاجتياح ويداوي كل حال بدوائه

ويرد غائر الماء الى لجاته فاجرى الوزير ابو العباس الامور مجاريها
على جملة لم يعرف فيها غير الجباية والاستبداد وقصد التوفير
دون الاستعمار حتى جبى الا عظما سنين عدة اذ كانت خراسان
بعد مكسوعة باغبارها لم ينزف منها دواعي اللبن ولم ينتزع
عنها كواسي السمن فلما اخلفها اشرافا واستنفد ما في ضروعها
اسرافا ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المراتع وبرد الموارد
والمشارع وضعت له ما على ظهورها من فضول دسم وسمحت
بما وراء عظامها من نقي مقتسم حتى صارت من فرط الهزال
والعجف كالاهلة المحنية بل الاخلة المبرية وتداعى الخراب
معظم الضياع ووقفت القنى بين القصور والانقطاع وشرد
في البلاد اكثر الاكرة والزراع بعد ما اخذ الجار بذنب الجار
والزم القار مؤنة الفار حتى تمت البلوى وعمت الشكوى وشملت
نوايب البوس وذهبت حرايب النفوس وصدمهم سنة القحط
بعقبها فصار الغني محسورا والمتوسط مفقورا والفقير مقبورا
وكان امر الله قدرا مقدورا وبقيت في رقاب خراسان بقايا

كل متعذر ومنكسر وتاو ومتحير لو اذيبت عن آخر فقره
منها لم يف ببعضها فضلا عما جمعته اقلام الاستيفاء منها
فاظهر السلطان ضجرا من تحير الاموال وتراجع الارتفاعات
وطالب الوزير منها بما اقتطعه واتواه وضيعه وهو يرجع القول
على سبيل الدالة بين البراءة والاحالة فمهما عضه العتب بثقافه
اظهر الاستعفاء وجلب الى نفسه البلاء واسلم النفس اختيارا
وآثر الحبس قرارا وتوسط الملأ بين السلطان وبينه على ان
يجبر بعض المنكسر من خاص ماله مما استفضله طول وزارته
من مرافق اعماله فابى ان ينزل عن درهم الا بعزله وحبسه
ابى شاء من قلاعه صنع المتبرم بالعمل المتعض بالامل المستسلم
للبلية المتحكك بالمنية واختار عند ذلك السلطان الدهقان
ابا اسحق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس بلخ لصحابة الديوان
واستنظاف البقايا على العمال والسكان فاعتضد اليهما سنة
احدى واربعمائة فانحدر الى هراة وجبى من الاموال ما درت
اخلافه ولانت عن المس اعطافه ولم يلبث الا يسيرا حتى حمل حملا

كثيرا

كثيرا والوزير ابو العباس بعد في صدر الوزارة والشيخ الجليل
ابو القسم يسعى بينه وبين السلطان على سبيل السفارة يروم
استصلاحه اياه كي ينسد به مكانه ويستد الى غرض الاستقامة
شانه وهو يابى سوى اللجاج في القاء القول عن حدة المزاج حكما
من الله عليه لم يسع رده وقضاء سابقا اعيى العالمين صده
وما زالت هذه حاله لزوما للصدر على ما به من ضعة القدر
الى ان ركب بنفسه الى قلعة غزنة مستترا وجاء ابن عمه الى الاعتقال
عما تولاه ومتسمحا بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا
يشتري الحبس اختيارا ويستقبل صرف الزمان بدارا وغاظ
السلطان ما اتاه فاستنبذ له الخط بغرامة ما جناه في امواله و
رعاياه فبذل خطه بمائة الف دينار ثم لم يزل يستدر الى ان
عرض حال الفاقة وعدم الطاقة ثم استحلفه السلطان بحيوة
راسه على طاهر افلاسه وعلى اغلاق دمه ان وجد على الطلب
له مال مفرقا ومجتمعا ومدفونا ومستودعا وبقي على جملة
يتتابه اولاده معفى عن الارهاق والتعنيف مصونا عن التحامل

اغراق

مجحفا

والتكليف الى ان ظهر على ما ذكر له مال عند بعض التجار ببلخ وديعة
فاخذوه وامر بوضع الدهق عليه لاستصفائه واستخراج
ما واراه بنفسه وذويه وما بقي من رمق جاهه ومائه و
واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله
واستبراء ما يصدق او يكذب من مقاله والدهق تستمر به
على الدوم وينال منه يوما بيوم حتى اتاه اجله وحاق به ما
كان يستعجله وذلك في سنة اربع واربعمائة ولما عاد السلطان
وراءه ساءه ما سمع فيه وهيهات اين من المساءة نوح مطوقة
ونفس بين اطباق الثرى مرموسة كذلك من آثر المخلوق على
الخالق ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق وقد كان ادرك
له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القسم محمد بن الفضل فبرع
على ميعة الشباب في وجوه الفضائل والآداب حتى استطار
ذكره واستطال قدره واستفاض نظمه ونثره فمن شعره في
ابيه وولده من قصيدة . لقد اربى ابو العباس جودا . على جود الربيع
لمعتفيه . ففي احدى يديه ممات قوم . وفي الاخرى الحيوة لمرتجيه

لقد

لقد خضعت لك الدنيا ودانت . فهل مرقى سواه فترتقيه
واقبل نحوك الاقبال حتى . غدا نصرا وانت النور فيه
تنورز الف نيروز سعيدا . رفيع الجد في عيش رفيه

وله احجية

وزنجية قادت الى القوم بضة . ليشكيها من كان يعشقها قدما
فقام اليها واحد بعد واحد . فلم ير ذنبا تعلمهم لا ولا اثما
وادركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما
كان عودا وانبته عودا واغبره سعودا واحمده فيما بدا
وعودا وحكى لي بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروي بيتين تلقنهما
في المنام وهي . ارى الدنيا وزخرفها كاس . تدور على اناس من اناس
فلا تبقى على احد كما لا . يدوم بقاؤها في كف حاس
فتطير له منهما ولما قضى نحبه زاد ابو الحسن المؤملي الكاتب رحمه الله
فيه ابياتا وهي
ابعد محمد بن الفضل ارجو . امانا لي من الدهر العاس
اساس الفضل كان به فاودى . وانى الفضل منهدم الاساس

فتى في نثره والنظم ازري ∴ على ابن نُوابة وابي نُواس

رأى في النوم معجزة جرير ∴ تقصّر دونها وابو فراس

ساحفظ عهده ما دمت حيًّا ∴ وحفظ العهد من كرم الناس

ورثاه بعض اهل العصر

يا عين جودي بدم ساجم ∴ على الفتى الحر ابي القاسم

قد كاد ان يهد مني فقده ∴ لولا التسلي بابي القاسم

وقد سد الله مكان الماضي بابي الحسن علي بن الفضل المعروف بالحجاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوده وجود موكل بانتشار آمال الاحرار صوره فتي السن في حصافة الكهول جبان الرأي في شجاعة السيول ادهم الباس في غرة السجاحة قدم الحيا في ذلق الفصاحة ندب الى اعمال جوزجان فدرت على الايناس ولايته ونقل الى اعمال نسا وابيورد فضاقت عن نضفاض كفايته تصون الاعمال صيانة غرضه عما يصديه وتحيي الآمال اخباره تشرف ابيه وتميت بدع الرسوم اماتته ذكرا ياديه

تسمو الرجال بآباء وآونة ∴ تسمو الرجال بابناء وتزداد

كم من اب قد علا بابن ذرى شرف ∴ كما علت برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل ابي القاسم احمد بن الحسن الميمندي

قد كان الشيخ الجليل ابو القاسم يلي ديوان الرسائل للسلطان ايام سالار بخراسان وهو الكريم نسبا العظيم حسبا العريق مجدا وحرية الوثيق رأيا وروية تنادي عليه اقطار الارض بفصاحة القلم وسجاحة الشيم ونفاسة الهمم واحتقار الدينار والدرهم ودرجه وفاؤه للسلطان على تصاريف الاحوال به الى ان ولاه عرض عساكره في اقطار ممالكه وزاده اعمال بست والرخج وما والاها باموالها وارتفاعاتها علاوة على ما ولاه فقام بجميع ما تولاه قيام من وفقه الله وحدا عليه جوده بني الآمال من اطراف البلاد فوسعهم جداه وعمرهم نداه وكتبت لهم اماناً من الفقر يداه واما مروته فما يؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة منها الا من شاهدها عيانا واستفتى عدول احساسه سبرا وامتحانا وكان الوزير ابو العباس لا يصدر الا عن رايه ولا يحتشم غيره في تصاريف عزماته وانحائه لفخامة شانه ومكانته المعمورة من سلطانه ووساطته بينهما في معظم

ما يزجيه ويرجيه ويحييه ويفنيه ويقبله وينفيه ويذيره
ويأتيه ويقدده ويفريه ولما وهت عليه قوة امره وانكسرت
سورة خمره واتفق للسلطان ان يرحل نحو نارائن في الغزوة
التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ الجليل على مهمات بابه وامداد
صاحب الديوان فيما يليه ويجبيه ويليه بصواب رائه وبعثه
على مواصلة الحمول عن فرط جده وغنائه فهو متقيم بالوزارة
غير متسم بها الى ان اتفق للسلطان استدعاء صاحب الديوان
في عمال خراسان لرفع الحسابات وتقرير المعاملات وذلك سنة
خمس واربعمائة فنهض اليه كل رئيس ومروس وشريف ومشروف
ومستعمل ومعزول ومسمن ومهزول قد اتخذوا الطعم والغمض
حراما ووضعوا الارواح على الراح توكلا واستسلاما ووافق
وصولهم ركضة عزمها السلطان الى الهند فسبب عليهم لاذناب
اهل عسكره ما راه ووكلهم باستخراجه في مدة يومين لاهتمام
الركض وضيق رقعة الوقت فعصبوا عصب السلم وسلخوا سلخ الغنم
واقيموا على جمرة الضرم ونكسوا على الهام والقمم حتى اعتصروها

منهم

صب السلطان على الشيخ الجليل خلعة الوزارة

منهم عن تضاعيف اللحم والدم وعندها امر السلطان فصبت على
الشيخ الجليل خلعة الوزارة وفوض اليه مهمات الامارة وامره
بمحاسبة العمال ومطالبتهم بما صار في ذمتهم من الاموال محكما
في الحل والعقد مخيرا بين الاخذ والرد وسار السلطان نحو
مقصده واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده فهذب الامور
ونظم المنثور ووظف الاموال وصرف العمال ورد صاحب الديوان
ابا اسحق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم ما يلزمهم من حاصل
وباق وعتيق وناض وقعد في الدست كالبدر المنير والسيف
الشهير منفردا بالتدبير محتشدا لروعة الملك وهيبة السرير
فلما اتفق عود السلطان الى قرارة عزه وشاهد الامور في كنف
وزارته منظومة العقود مضبوطة الحدود والاموال وافرة
الربوع حافلة الضروع رسم له ان ينحدر الى خراسان مستنظفا
لما وهى او وهن صاحب الديوان في جبايته واستيفائه وقصر
او قصر عن تربصه وامترائه فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ
النفوس بمخنقها وتخلج القلوب عن معلقها وتكاد تسطو له كل مال

مخزونٍ ويلفظ اليه كلّ درهمٍ مدفونٍ تجمع عن تسمح
النفوس بما جمعته واستكراهها عمّا منعته ما لا لم تسمع
بمثله محمولاً من خراسان اذهاباً واوراقاً وعصاباً دقاقاً
وغلماناً رشاقاً وافراساً عتاقاً وتلاحقت الرفائع على صاحب
الديوان بما ناله من صنوف المنافع ووجوه المطامع فسامه
السلطان تصحيحها تسبيباً وحملاً الى بيت المال قريباً فاعتزل
العمل ونزل عن كلّ ما حصّل وفزع من بعد الى خاص املاكه
وضياعه ومواشيه وكراعه وتجمّله واثاثه حتى حلّى اثاثه
فحلّ ما اعتقده منها على مال مصادرته وما جمع عليه من بقايا
عمله وكان الوزير ابو العبّاس قليل البضاعة في الصناعة لم
يعن بها في سالف الايّام ولم يرض بيانه بخدمة الاقلام فانتقلت
المخاطبات مدّة ايّامه الى الفارسيّة حتى كسدت سوق البيان
وبارت بضاعة الاجادة والاحسان واستوت درجات العجزة
والكفاة والتقى الفاضل والمفضول على خطّى الموازاة فلمّا سعدت
الوزارة بالشيخ الجليل اسعد الله حدود الافاضل وورد بمكانه

حُدُود

2077

حدود الفضائل ورفع الوية الكتّاب وعمر افنية الآداب فحزم على
اوشحة دواته ان يتنكّبوا الفارسيّة الّا عن ضرورة من جهل
من يكتب اليه وعجزه عن فهم ما يعرّب به عليه فطارت توقيعاته
في البلاد ولا شوارد الامثال وابيات المعاني من القصائد الطوال ففي
كلّ نادٍ نداءٌ بالحانها وفي كلّ مشهدٍ شهادةٌ باستحسانها فاما الشعر
فقد نشر عليه ملحوده وسعد به جدوده وفتق بالعذب الرواء
صيخوده فازبابه كالعنادب تغريداً بمناقبه والقماري تسجيعاً على
على الضرب الماذيّ من ضرائبه فهو بعدله في الناس غياثٌ ورحمةٌ
وبفضله لاهل الفضل ثمالٌ وعصمةٌ وانفرد بتدبير البلاد والعباد
بناءً على الاساس وحلباً على الابساس اخافةً على الايمان ومكافاةً
بالاساءة والاحسان واسوّ الجراح القلوب بمراهم الترغيب و
انكاراً لمعروف العمارة سابق التخريب واشارةً على السلطان في
امور مملكته بما يفيده عاجل التوفير وآجل الثواب الغزير لا جرم
انّه استتبّت الامور بغنائه وانسدّت الثغور على ارائه و
كذلك من كان على العلم ايراده واصداره وعلى البصيرة ارجاؤه و بداره

ذكر الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به اجله وانتصاب الامير فلك المعالي ابي منصور منوچهر منصبه ووراثته مملكته

قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب والراي البصير بالعواقب
والمجد المنيف على النجم الثاقب مر السياسة لا يستساغ كاسه
ولا يومن مجال سطوته وباسه يقابل زلة القدم باراقة الدم
ولا يعرف في ادنى درجات العثار وان لم يقصد اليه مراد
لم يشترك في كسبه اعتقاد غير حز الانتقام بحد الحسام والتفليق
عن مركب الهام لا يذكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط
والخشب ولا يرى الحبس الا ما بين الصفايح والترب وهلك على
خشونة هذا المس وصعوبة هذا البطش قيام من حاشيته لو
استبقاهم على خفة اجرامهم لكان اشبه بالجلالة والبق بالاصالة
والعدالة فما زالت هذه حاله حتى استوحشت النفوس منه وانقلبت
القلوب عنه وشحنت الصدور عليه ومالت عنه الاهواء المايلة
اليه اذ كان احد لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب

ملحقا

ملحقا بالخطاء اليسير صارت النفوس مجتاحة والارواح مستباحة
والمرء من البشر لا من ورق الشجر فهو اذا مات فقد فات وليس ما
يعود بعد ما عري العود واتفق ان حاجبا له كان يعرف بنجاز
نعيم وهو احد الكراكلة في حدود جرجان عديم الغائلة والعادية
سليم الناحية من بين افناء الحاشية وكان اعتمده لضبط
استراباد وسياستها رفع عليه انه طمع في بعض رعاياها في
منال او مال الى الانتفاع منهم بمال فامر بقتله وتعليقه عن
خيط رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة ساحته ونقاء جيبه
وراحته وقصور ما سعي به عليه لو صح اسناده عن افاته نفسه
واراقة دمه فزاد قتله في ايغار الصدور واضغان القلوب وتوامر
عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدي عن طاعته و
كفاية النفوس شغلها بثقل وطاته وخشونة سياسته ووافق
هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى العسكر بجناشك استبدالا
لهوائها عن لفح الحرور وتاثير طلوع الشعرى العبور فعمي عليه وجه
الصورة وشذ عنه علم تلك المشورة فلم يرعه ذات ليلة غير زحام

اختصاصه بالشعرى العبور لان طلوعها وقت اشتعال الهوا واتقاد حرارة الصيف

العسكر بباب القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم امواله وافراسه وبغاله ومرامهم قسره واستنزاله فهر في وجوههم من كانوا نزولا بفنائه محامين من ورائه حتى انكشفوا عنه صاغرين وولوا على اعقابهم داحرين ومالوا الى جرجان فتملكوها عليه معلنين شعار العصيان لابسين غيار الكفران وبعثوا الى الامير ابي منصور منوجهر بن قابوس وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لعقد البيعة له وزفاف الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما للحادث بابيه واكبارا لما نفذ في المكيدة فيه وطمعا في تدارك الخطب وتلافيه فلما دنا منهم مضربه توافقوا على طاعته ان خلع اباه وابتزازه رداء الملك ان اباه فلم يجد في عاجل الحال غير المداراة ضبطا لما انتشر ورتقا على ما استعر وصونا للبيت الحشمة من الانخراق وابقاء على سكر الفساد من الانبثاق واشفاقا على البيت من الضياع وعلى الملك من التخطف والانتزاع وقد كان شمس المعالي لما سمع بنبا القوم واجماع كلمتهم على الخلع عطف بمن وما معه من رجال ومال الى ناحية بسطام ناظرا ما تسفر عنه

عاقبة

عاقبة الحرب وتنتهي اليه نائرة التغلب والتوثب فلما تسامعوا بنبائه استكر هو الامير منوجهر على قصده وازعاجه عن مكانه او رده فسار معهم اليه مضطرا ودافعا بالشر شرا كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ فلما وصل الى ابيه اذن له دون من يليه من اشاعره وحواشيه اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون خذلانه والروح وقفا على شكر احسانه فلما وصل اليه كفر طاعة وخضوعا واسال اودية الشؤون دموعا وتشاكيا صورة الحادث وتذاكرا حتى الموروث والوارث وعرض الامير منوجهر ان يكون حجابا بينه وبين اعاديه وان ذهبت نفسه فيه وراى شمس المعالي ان العارض قصار امره وختام عمره وانه احق بوراثة ملكه وولاية الامر من بعده وسلم خاتم الملك اليه من يده واستوصاه الخير به ما دام في فسحة من امره وتواضعا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان ياتيه يقينه فيسلم له نفسه ودينه وان ينفرد الامير منوجهر بتقرير الملك فريا وتقديرا وتقديما

وتأخيرا وتقدمت اليه عمارية على هذه الجملة فانتقل الى القلعة
المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته على تحري مصلحته و
عطف الامير منوجهر الى جرجان فولي الصدر وضبط الامور
أخذ بداري القوم ترغيبا وتطميعا وعمّهم الاحسان جميعا وهم
على جملة النفور خيفة الثبور ما دام شمس المعالي في فسحة البقاء و
زمرة الأحياء وما زالوا في الاحتيال عليه حتى فرغوا من أمره
وسلموا كما زعموا من عادية شره ولم يرضوا به وهو في صوان الأموات
حتى كشفوا عن محيّاه رداء رداه فطابوا نفوسا حين عدموا
شمس المعالي قابوسا وواروه في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظهر
جرجان على سمت خراسان وغدا الناس في معناه كما قال المهلهل :

نُبّئت ان النار بعدك أوقدت : واستبّ بعدك يا كليب المجلس :
وتقاوضوا في أمر كل عظيمة : لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلثة أيام على رسم الجيل في حسر الرؤس
وضرب النفوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما قضى أيام المعزّى
نسي المقبور واستوى على البيعة السرور شعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا : أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولما سمع القادر بالله أمير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيثار
قضاء الله به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه بفلك
المعالي مشرفا ومحليا وعزم الله له على الصواب في اختياره والرشد
في ايثاره ففزع الى السلطان يمين الدولة وأمين الملة معتصما بحبل
معتصرا بظله مستظهرا بطاعته مستنصرا في متابعته مستغشيا
رداء عنايته متلافيا وهن المصاب بقوة اشباله ورعايته
وانهض عدة من ثقات بابه بمبار موفورة ونفائس مذخورة
ورسائل على صدق الاخلاص وصفو الإمحاض مقصورة فصادف
ما رجاه رغبة في موالاته وحرصا على تقمن مرضاته وتردد السفراء
بينهما على ربابة هذه الحال وتوكيد عقد الوصال واحكم السلطان
عليه في اقامة الخطبة له على منابر ولايته امتحانا لمصدوقة عقده
في موالاته وانهض اليه ابا محمد الحسن بن مهران أحد ثقاته بما
رأى اصحابه من نفائس خلعه وكراماته فصادفه قريبا مجيبا
وسميعا مطيعا وآمرا باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان وطبرستان

وقومس والدامغان والتزم في السنة خمسين الف دينار اتاوة
وعلى عكمى الطاعة والاخلاص علاوة واستدعى السلطان
على تقفية ذلك وقد عزم غزوة نارابن انجاد حشمه بطائفة
من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق ويغنون غناء
الكماة البطارق فسرب اليه الفى رجل من خلص الجيلين ان
راموا الوعور فوعول او قصدوا السهول فسيول وند امر
بازاحة عللهم في اعطياتهم ونصب لهم من يقيم اودحاجاتهم
ويطلق مدة الحاجة الى غنائهم واجب ارزاقهم واستحقاقاتهم
ولما استحق على السلطان باثاره في القربة مزيد الرتبة و
بمساعيه في الطاعة قضاء الحاجة انهض رئيس جرجان اباسعد
الشولكى المقدم فضلا وادبا المحتشم حسبا ونسبا لاقتضاء مزيد
الحال بوصلة تقوم الكفاءة بخطبتها عنه والطاعة باستيجابها
له فنهض وخفارة الادب تهذيبه وكفالة الرفق بما يذره و
يأتيه ولم يزل ياتي الامر من بابه ويستطلع المراد من حجابه
حتى اسمحت قرونة السلطان لما استدعاه واوجب لاسعاف بما

توخاه ولما انكفا الفاضل ابو سعد وراءه بصورة الايجاب
وما صادفه من هزة المجد للاطلاب جشمه الامير فلك المعالي
معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان وهو شيخ العلم ورواید الجد
ورضيع اخلاف التدرب والتجريب لتنجز النجاح وتاريب عقدة
النكاح فنهضا الى حضرة السلطان مقيمين رسم الخدمة وخاطبين
ضم السدى الى اللحمة فراى السلطان تحقيق مبذول العدة وعصيان
سلطان النفس طاعة لرب العزة وفلذ للامير فلك المعالي خلبا من
كبده وسمح له بزهرة الارض من نجوم ولده واي نجم كان في فلك
المعالي مداره لم تبعد داره اني ومدار النجوم الافلاك وازواج
الملكات الاملاك وجرى من الاستبشار باتحاد النفوس والديار
وصب النثار وصوب المبار كالغيوث الغزار ما ارخ به كتاب الدهر
ووسم بذكره سالفة العصر وعاد الرسولان بدرك النجح الموقوت
ولا السعدان يقترنان في الحوت وعندها تكلف الامير فلك المعالي
خدمة للقربى ونحلة بين يدي النجوى ما لا يبين من راه على اختلاف
اصنافه واغراب نقوشه وافوافه ان له همة الى قمة الجوزاء

مرفوعة ونية على صدق الولاء مطبوعة ولم يبق احد من اركان
الدولة وحواشيها والراتعين حول مراعيها من لم يضرب بسهم
من سهام اللطف ولم يشترك في البر المعقود بالشرف لاجرم ان
السلطان رعى حرمة قرباه وجزاه عما سمحت به يمناه وافرد
كلا منه ومن قواد جيوشه وافراد رجاله بخلع علمت اجانب
الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود وتقضى المجد بعفو
الرأي دون المجهود فاما ما صحب درة الصدف وياقوتة الشرف
ثمال طال عهد الدهر بمثله مجموعا في مكان محمولا من خراسان ولا
غرو فالشمس تغني البدر نورا والبحر يدع الخليج مسجورا وقد كان
فلك المعالي بعد ان استتب له امره واشتد بظاهرة السلطان
ظهره دب على اعيان عسكره المشتركين في دم ابيه فصدع ذات
بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل حتى اباد خضراءهم وسقى ظماء
الارض دماءهم واحس ابن خركاش وهو القريب العاق والنسيب
المشاق بالداهية الدهياء فانسل تائها بين سمع الارض وبصرها
تاباه الرعان والاباطح وتلفظه القيعان والصحاصح فهما مس جانب

كناية عن التفرق على وجه الارض الطويل كانه يمشي على المحاني والآكام يسمع عن المنخفض والمنفوذ البصر
ينظر المعرأ انه كان بارض لا بصر ولا سمع بها احد الا ملك الارض لعدم الانس والوحش بها

القراد

القرار طلبته هامة الماضي بالثار فهام على وجهه ولا تقيد
بين تشريق وتغريب وتصعيد وتصويب وكان احد من اثار
الشر على قابوس على ما تشاهدت به الاخبار ابو القسم الجعدي وكان
صاحب جيشه فانحدر الى راس الحد كبارز على قفاز يرى كل صيحة
عليه وكل حشيش بسهم اقواس جنبيه فامهله الامير فلك المعالي زمانا
حتى ظن ان له دون شؤون الآخرين شانا ثم اطباه بتطميعه
وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص وآيسه من الطمع في الخلاص
وان لله حكما في امور عباده معلقا بآماد معلومة وغايات
محدودة فليس قبلها مستقدم لما تاجل ولا بعدها مستاخر
لما تعجل فاحتال ابو القسم حتى انسل هاربا واعتسف البيد
جانبا ثم جانبا ومازال على حاله واحتياله حتى ورد نيسابور
بظن وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان على نغل داخله
وادهانه بسالف فعله وقابله مع ما تمهد في ذات البين من عقود
وتاكد من عهود واشترك فيه من طارف ومتلود يحل عنه
عقال آثامه ويكف عنه ما حق عليه من باس الله وانتقامه

كلا ان سوء الفعل خذول والقايل لا محالة مقتول وشر
المحن ما اوفض الخلاص قبل اوانه واستيفاء مدة النضج
على تجرانه انه ليوهم الفكاك ثم يعقب الهلاك كالهرة تطمع
الفارة في الخلاص حتى اذا كانت منها على غلوة لحقتها بعدوة
لا جرم ان السلطان لما انتهى اليه صورة حاله ومن قبل ما سمع
بسوء فعاله امر برده وراءه في عقاله ولقد احسن ابن الرومي في قوله

الخير مصنوع بصاحبه ... نمتى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله ... نمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

فقد كان دارا بن قابوس بعد استيمانه من جانب ابي علي محمد بن
محمد بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور مقيما على خدمته سهيما
في نعمته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان فانحاز اليه
مستغنيا بخدمته عن خدمة غيره وصادف من الاستثقال الا
ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم حدره قابوس الى طبرستان
فاقام بها سدا دون مخالفيه وزماما على اوليائه ومعامليه

واستنهضه

واستنهضه منها على قرينة القيت اليه فاتاه وهو باستراباذ
يريد صحة اديمه واستواء حديثه بقديمه فاحسن استقباله
وانزاله ثم دعاه في وقت ارتاب به فركب على قصد حضرته
ثم عطف عطفة الليث الخادر نحو خراسان بين غياض تشكو الآرام
بينها ضيق المجال والمضطرب في صعوبة المنساب والمسرب و
استصحب من رافقه ووافقه من غلمانه واهل الثقة به
فالى ان عرف شمس المعالي خبره واستركب لاقتصاصه عسكره
بما قد طار به الركض وحالت دون مناله الارض ولما شارف
حد خراسان رفرفت الامنة عليه بجناحها الى ان ورد حضرة
السلطان فقبله احسن قبول ولقاه حسن مقول ومفعول ثم ما
زال يرفع منه تنويلا وتخويلا وتفخيما وتبجيلا حتى اغتره
فضل الانبساط وعز الانتساب بما هد قربته وهدم رتبته
فاستوحش من عارض الاعراض واشفق من رهق التغير
والانقباض فلاذ بظل الليل هربا وبات يطوي الارض تقربا
وخببا وامر السلطان بطلبه واتباعه في حوزة مهربه فالحق

حيث قامت الخيول تعبًا ولم تجد السيوف عليه مضربًا فقر هو
على وجهه ملتجئًا الى الشار المعروف بالشاه لحال بينهما في الصفاء
معمورة واصول ود بالوفاء مأبورة فلما استقر به المكان وخبر
حاله السلطان كتب الى الشار فاسترده وخوّنه ان يأتي عليه
ما بعده فاضطر الى رده واسلامه عن يده وبقي في الحبس مدة
يكابد بؤسًا وشدة الى ان وجد فرصة الانفصال عن رق
العقال ففارق معتقله من حيث لم يطمع فيه احد ولم يكن
تغني عنه لولا المقدور رأي ولا جلد واتت عليه نجاجة
المحنة ان يتم خلاصه وليتيسر له مناصه فاعثرت عليه
حتى اعيد في وثاقه وزيد في ارهاقه والاخذ بخناقه الى
ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه فانشاه نشأة ثانية
وانبت ريشه قادمة وخافية واعاد حاله بالاحسان حالية
ويده على ايدي الاضراب عالية ووجهه لولاية جرجان و
طبرستان معضودًا بارسلان الجاذب وذوي النجدة من كماة
الرجال وكفاة الابطال لولا ان فلك المعالي منوجهر سبق تمام الرأي

جواب لولا محذوف اي لولا المذكور لتم الامر لمنوجهر دارا ما توجه

باظهار

باظهار الطاعة وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما جالت حرمة
التقرب دون الاختيار عليه استرده السلطان الى حضرته فجرى
مجرى اركان الدولة واخدان العشرة لا يفارقه في حفلة ولا
يزايله في خلوة ولا يقعد عنه في وقت ركوب ولا ينفرد دونه
دون كوز وكوب الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة
حضرة السلطان منزعجة عن كرمان لقصد عسكر اخيه اياه مستنجدًا
به على معاودة مملكته وارتجاع بنيته ونعمته فجمعهم ليلة مجلس
دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى حديث السلف والخلف
واعراق من اعرق منهم في الشرف فنطق دارا بما لو سكت عنه
لكان اشبه بحق الخدمة وحكم الحشمة ووقت الاجماع على رضاع
العشرة وحمله رمز الانكار عليه على قصد المرادة وركوب المحاقة
حتى تأدى به الامر الى ازعاجه عن مكانه واشجائه بغصة
المدل على سلطانه وامر به في غد فرد في العقال وحمل الى بعض
القلاع وقبض على ضياعه فاجريت مجرى الحوزيات تستغل
اسوة سائرها الى ان سأل الشيخ الجليل الوزير في بابه فامر بردها

عليه معونة له على مصلحة حاله ومؤونة اعتقاله وذلك
في المحرم سنة تسع واربعمائة

ذكر مجد الدولة وكهف الملة ابي طالب رستم بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة كتب الى ابي العباس تاش وهو بجرجان منحدره
اليها عن خراسان على لسان الصاحب يبشره بولادته واجراء
الله اياه في الصنع له على كريم عادته وكان مما كتب به وقد
رزقني الله ولدا كنيته ابا طالب طلبا للسلامة في مدته وسميته رستم
لانه من اسماء نصابه واورومته فلما اخترمته المنية بايع
الناس مجد الدولة الا ان التي قامت عنه كانت اخت الاسپهبد
بفريم وساير مملكة الجبل وهي في منعة من اهلها وعزة من
جانب ارضها فتملكت على الديلم واستاثرت بالامر والنهي
والحل والعقد وجرت بينه وبينها مكاوحات تادت بها
الى استنهاض بدر بن حسنويه اليه وامتلاك الري عليه
وجرت بينهما مناوشات افضت بالديلم اولا وباهل الري
ثانيا الى بؤس فاقة ودماء مهراقة وفتن لبس فيها قد فوق

من افاقة وعن كل قريب يعود الخلاف جذعا وحبل الصلاح
منقطعا فينتج عنه ابادة الرجال واستباحة الاموال وشرود
الصلحاء في البلاد وضراوة السفهاء بالافساد ولما عرض
مجد الدولة بالامر وبما ينقدح على الدوم من شرر الشرائر
البتر في الاعتزال على سمة الامارة وحملة الاعتراف لها بالطاعة
على العقوق المفضي بمن تحت ولايته ورعايته الى خطة الاختناق
المشفي بهم على خطة الاجتياح والاستهلاك فلزم البيت منفردا
بالكتب والدفاتر ومبيضا وجه الفضل بسواد المحابر وانفرد
اخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما والاها
الى حدود بغداد وورث بدر بن حسنويه اموالا عظيمة
طالما حفظتها صدور القلاع مكتومة وخنقتها خيوط الاكياس
مختومة فلم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات الرجال واستنفدتها
حقوق الامال شيمة له في التحقق بالفضل والتخرق في البذل وقد
كان ابن فولاد فخم في دولة آل بويه امره وارتفع قدره وانتشر
صيته وذكره والتفت عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب

فسال مجد الدولة والكافلة بالتدبير ان ينزلا له عن قزوين
طعمة له ولمن معه ليتفرد بولايتها وجبايتها ركنا من اركان
دولتهما وظهرا من ظهور حوزتهما يذب عنهما بسيفه وسنانه
متى دهاهما خطب او دخن على نارهما حطب رطب فضنا
عليه بها لضيق رقعة الملك ونكوء درة الدخل وادليا اليه
بظاهر العذر فقصد اطراف الري على جملة العصيان يفسد
ويغير ويقطع دون اهلها سبل من يمير وملك عليهما ما يلي
جانبه من قرى وضياع وربع وارتفاع الى ان استغاثا بالامير
المقيم بقربهم فاتاهما في رجراجة فخمة من الجيلية اولي الباس
والحمية فناوشوه القراع وصدقوه المصاع وجرت بينهما في
دفعات ملاحم استلحمت كثيرا من الفريقين واصاب ابن فولاد
في ساقه نشابة اثخنته فولى فيمن تبعه على سمت الدامغان
حتى الم بها فرم الرث وعالج المرث وكتب الى فلك المعالي منوچهر
يستمده على عسكر الري على ان يقيم له الخطبة ويظهر الطاعة
ويلتزم الاتاوة فامده بالفي رجل يوزن احادهم بالآلاف و

وافرادهم باصناف يرون الشرف فرضا لمن مات تحت المشرفيات
والتثريب حقا على من حاد عن اليثربيات ووصل جناحهم بمال
قضى به حق انقطاعه اليه واعتماده عن ظهر الثقة عليه ونهض
نحو الري حتى اناخ بظاهرها فاعاد الاغارة ومنع المايرة والمارة
وغادر الديلم بها في ضنكة البلاء وضيقة اللاواء حتى اضطر
مجد الدولة ومن وليت التدبير الى ايثاره باصبهان فعقد
له عليها وخلى بينه وبينها استمالة لقلبه واستعاذة من
شره فطارت عند ذلك نعرة الخلاف عن راسه ورحلت وحرة
العناد من صدره واقبل يروض عسكره على رشاد وسداد
ويغل ايديهم دون امتداد الى فساد وصرف عسكر الامير منوچهر
وراءهم بذكر صلاح حاله واستغنائه عن رجاله وعطف
الى اصبهان خاطبا لمجد الدولة على منابرها وذلك في شهور سنة
سبع واربعمائة وكان نصر بن الحسن بن فيروزان قد انقطع الى
السلطان يمين الدولة وامين الملة فاقام على خدمته الى ان جعل
ناحية بيار وخومند برسمه فنهض اليهما واقام بهما يستغلهما

وتوفر عليه دخلها الى ان دعاه مجد الدولة من الري فاعتسف
البيد اليها اشفاقا من عسكر شمس المعالي قابوس ومكائده و
عيون رباياه ومراصده فلما وصل اليها عرف له حق قرابته
وقوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستجابته فبقي هناك سنين
مرجوعا اليه في الرأي والتدبير موثوقا به في التقديم والتاخير
الى ان عثر منه على ممالاة لبعض المخالفين فقبض عليه وحبس
في قلعة استوناوند وما زال بها محصورا وفي مخلب الامتحان
ماسورا حتى عفي عما جناه ورد ثانيا الى ما تولاه ووافق مآتيه
خلع الديلم لجام الهيبة لعدم السياسة وانفراد مجد الدولة
في بيته بالدراسة وتبسط الديلم فيما شاءوا من غصب وقطع ونهب
وكبس ونقب لا يرتدع منهم الا من اشعره الله المخافة واودع
صدره الرحمة والرافة فانبرى نصر بن الحسن لقمع اولئك
الضلال فاجتاح منهم فريقا واوسع آخرين تمزيقا وتفريقا
فلما رأى القوم ما دهاهم في اضرابهم من حصده واستيصاله
تجمعوا على قصده وقتاله واحاطوا بداره فدافعهم بخاصته

مليا

مليا ثم انثنى عنهم منهزما وغادر ملكه في الدار منهوبا ومغنوما
وما زال يضطرب في محنته الى يوم منيته ٥

ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره

قد كان بهاء الدولة بعد ان فتح الله على السلطان سجستان راغبا
في موالاته خاطبا لمصافاته موثرا لمكاتبته حريصا على مقاربته
بحكم الجوار الواقع بين الدولتين والصقب الحادث بين المملكتين
ووافق ذلك من السلطان رغبة في مثله من حمته لشرفه
وسلفه ولما حيز لهما من الكفاءة في الملك والملاءة في سعة
الملك فسفر بينهما السفراء على الحام سدى القربة واحصاد قوى
المودة حتى خلصت القلوب ونقيت الجيوب وتاحدت الحدود
وتاكدت العهود وعندها احب السلطان ان يجعل المصافاة
مجاهرة والموالاة مصاهرة فانهض القاضي ابا عمر البسطامي
شيخ الحديث بنيسابور الى فارس وهو النبيه فضلا والوجيه
محلا والامام علما وتحقيقا والحسام لسانا فصيحا ورايا وثيقا
وصادف من اجلال بهاء الدولة واكرامه واظهار التلطف عليه

فى مرامه ما اقتضته جلالة من اصدره ومساعدة القدر
له فى كل ما قدره واقام عليه منقولا من مجلس الايجاب الى
متوسد الاكرام ومن راحة الاسبال الى عاتق الاكبار غير ان
بعيد طلوعه عليه وافق منه علة احدثها سوء المزاج بين
الف الراحة والراح فاعياه تنجز المراد على العارض العائق وقد
كان فخر الملك مقيما ببغداد وهو الوزير والنصير ومن اليه الراى
والتدبير فجشم القاضى الى ما قبله ليتفاوضا فيما يوجب صرف الراى
اليه وتاريب العقد عليه فاتفق مع وصوله استيثار قضاء الله
ببهاء الدولة وانتقال روحه الى جوار ربه وبايع الناس لده
ابا شجاع ولقبه القادر بالله امير المؤمنين بسلطان الدولة فاستتب
له طرق الامر واعتدل عليه عمود الملك وجرى له الطير بالاقبال
وحسن الفال ولما عاد القاضى الى ما قبله لم يملك له من دابته
جوابا يغنيه وجوارا يشفيه اذ كان دونه رسولا الى ابيه
تصرفه محمد من رسالته فى وراثة الود والوفاء بسالف العهد و
اشتراء الخلوص بقاصية الجهد ما اقتضاه حكم الابتداء بغرس الود

واستثمار

218

واستثمار الوفاء على ظهر البعاد وقد كان الامير ابو الفوارس اخو الامير
سلطان الدولة مقيما بكرمان فشجر بينهما خلاف اقتضى سلطان الدولة
تجريد الجيوش لقصده واستصفاء تلك النواحى منه واستخلاصها
من يده فنهض هو لملقاهم وكف عاديتهم واوقدوا بينهم حربا
افنت الرجال اكلا وشربا واجتاحت الارواح طعنا وضربا واستمرت
الكشفة باتباع الامير ابى الفوارس فانقلبوا منهزمين واقبل الامير ابو الفوارس
نحو سجستان يؤم حضرة السلطان يمين الدولة وامين الملة ممتطيا رجاءه
مستنهضا كرمه لرده وراءه فلما شارفها وقد انهى الى السلطان خبر
اقباله امر ابا منصور نصر بن اسحق النائب عن الامير ابى المظفر نصر بن
ناصر الدين بخدمته استقباله وتكلف الواجب من انزاله واقامة انزاله
وانزال من معه من طبقات رجاله ونثر عشرة الاف دينار له من
خاص بيت ماله فبلغ من ذلك مبلغا شهد من كان شاهد سجستان
من قرائها وطرائها ان احدا من ملوك هذه الاقاليم لم يتكلف مثله
لاحد من اولاد الملوك ولم يخل ان مثله يسمح به تيار البحور فكيف
اقطار الصدور واكتسب ابو منصور بذلك لنفسه ذكرا عقد بالنجم

صفائره وافاض على الشرق بعضه وعلى الغرب سائره ولما وصل
الى حضرة السلطان اوجب قضاء حق مقدمه بالاستقبال وتلقى
عظيم قدره بالاجلال وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والانعام بكل ما ينتمي الى قبيل الاكرام ما وقع
عند الخاص والعام موقع الاستعظام ما خلا الهمة التي ترى الدنيا
خارجة عن ملكها شعرة من اشعارها وصوفة من اوبارها
وغرفة من بحارها بل قطرة من امطارها واقام عليه قرابة
ثلثة اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين ارحاما وشيجة وانسابا
قريبة حتى اذا انشط للانصراف والتمس معونته على عارض الخلاف
ارتاح السلطان لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه اموالا اخفت
اقلام الكتاب واوهت انامل الحساب وانهض في صحبته ونصرته
واقامة خدمته ابا سعد عبد الرحمن بن محمد احد مشايخ بابه
وافاضل كتابه في رجال قد تعودوا النصر منذ خدموا رايته فلم
يعرفوا وجه الانقلاب الا بالانفال على الاكفال لعبد الصمد
بن بابك تحملت صبوة اخرى شواكلها ۔ من طول ما حملت سنيا على الكفل

وتوجه الامير ابو الفوارس فيهم وفي سائر خاصته نحو كرمان فجلا
عنها من كان ولي عليها علما بعجزه عن المقاومة وافتضاحه
ان تعرض للمحاكمة فملك تلك النواحي ملكه اياها من قبل واقام
بها ابو سعد الى ان قرت تلك الامور ودرت للجبايات الشطور
ثم كر وراءه فيمن كانوا برسمه وتحت قيادته واتت على ذلك مدة
من الزمان تمنع حشمة السلطان وحرمة الناهضين من اتباع رايته
في امره وسمه بعض عنايته ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى
اذا عاودت تلك الجيوش غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير
وارتاش بعد التحسير سرب سلطان الدولة عسكرا ثانيا للموافقة
واستخلاص تلك المملكة عن يده فتلاقيا على حرب اشابت
القرون تحكيما لظبى الصفاح في مخارج الطلى وتحويما لشبا الرماح
على موارد الكلى حتى تشرقت الارض من صبيب الاوراد وتمغرت
من رشاش الاكباد وعندها زلت قدم ابي الفوارس فولى كسيرا
لا يعرف قبيلا ولا دبيرا وانتهى به الركض الى همدان حضرة شمس الدولة
بن فخر الدولة فقضى فيه حق القرابة اعظاما لقدره واهتماما

بامره واغتنما الشكر واستعدادا للنصرة واقام مدة مديدة
على هذه الجملة حتى استشعر او اشعر انه مغرور ومقصود والى
اخيه سلطان الدولة مردود فنفر نفار الايم من ضربة القابل
والوحش من كفة الحابل وفارق مظنته قصد بغداد وسنشرح
من بعد حاله وما انتهى اليه امره مما كان عليه اوله

ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه حاله

قد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي انجحت عليه بباب بلخ
ركب ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرب على نفسه غيظا مما دهاه
وما زال يعاتب طغان خان اخاه ويستنصر قدر خان على ما اوهن
من قواه وفوته مراده ومغزاه والقدر له معاند والزمان له
مناكر ومناكد حتى طرحه الكمد على فراشه وكبه من قريب
بطيب حوبته فاشبعه التراب بعد ان جوعه الحرص والاضطراب
همة كانت معلقة بالاثير محلقة على تلك الندوير غير ان
يد القدر فوق يد التدبير وما يصنع المرء بالجد اذا وافق الجد
سائلة البيت كهبة رحى يجري بها اليم ماؤها وليس لها قطب بماذا

اديرها

اديرها ۞ وقد يهيض العصفور كثرة ريشه ۞ ويسقطه اذا ارتعش
فيها نشورها ۞ وكانت وفاته سنة ثلاث واربعمائة وولي مكانه
اخوه طغان خان فمالأ السلطان ووالاه وهاداه مثلا فيا نعمه
لما اخل به اخوه ومتوددا من حيث ركب الخلاف ذووه وجاشت
من جانب الصين جيوش لقصد طغان خان وبلاد الاسلام من ديار
الترك وسائر ما وراء النهر يزيد عددهم على مائة الف خركاه
لم تعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد يريدون ليطفؤا نور الله
بافواههم بغيا طالما صرع اهله واوردهم كما يورد الهدى محله
فاستنفر من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه من رجال الترك واحرار
الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف رجل فاستكت اسماع المسلمين
من فظاعة ذلك النبا الهائل والبناء المائل فارتاعت له القلوب
والتاعت النفوس وتناصرت الادعية والذكور وسار طغان خان
مستقبلا من اقبل اليه من جموع الكفرة الفجرة بنيات مقصورة
على الاستقبال واستقبال الآجال او ينزل الله نصره ويظهر حزبه
تحقيقا لما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم حيث يقول

وقوله الحق انا لننصر رسلنا والتقوا ايّاما تباعا على ملاحم لم
يدر من فتق العروق وضرب الحلوق وشد الخيول على الخيول
اصوب انواء ام صبّ دماء ولمع بروق ام وقع سيوف وظلمة
ليال ام رهج نزال وفي كل ذلك يتولّى الله عباده بالايدا المتين
والنصر والمكين حتى وثقوا بالصنع المستبين وطلوع النجح مشرق
الجبين وتلاقوا اليوم منصوص عليه على فيصل الحرب نشدّ بهم ام
لها بطاقة وادار على الفريقين دهاقة فاما اعداء الله فسكروا
سكرا استوجبوا به الحدود بالحدود البواتك فصبّت عليهم
من لدن لاح جبين الشمس الى ان ذكت سراجا وهاجا كادت
تصير على قمم الروس تاجا واما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا
معها للضرب فوق الهام والعبث بطلائع الحمام لاجرم ان الله
حماهم ونصرهم وآواهم واظفرهم فغادروا من جماهير
الكفار زهاء مائة الف عنان صرعى على وجه البسيطة عن نفوس
موقوذة وروس منبوذة وايد عن السواعد محذوذة نقرى
للضباع بل جفلى للسباع والوحوش الجياع وافاء الله على المسلمين

مائة

مائة الف راس غلمانا كالبدور واللؤلؤ المنثور وجوارى كالحور والبيض
المكنون وسوائم غصّت بها اقطار البيداء وضاقت عنها اطراف الدهناء
وشرد الباقون وراءهم تتلقّفهم السيوف شلّ الانعام وتختطف ارواحهم
بايدى الحمام وتطايرت به البشارات في ديارات الاسلام فنضرت
لها الوجوه وضحكت القلوب وعمّ السرور وتوفّر الشكور وتباشرت
الدور حتى القصور والخدور لطفا من الله تعالى لدين ارتضاه ووعدا
ان يصل بيد التأييد قواه ولم ينشب طغان خان بعد ان فرغ من
هذا الحرب العظيم باسها الشديد مراسها ان استأثر الله به فنقله
الى جواره وبوّأه مبوّأ الصدّيقين من دار قراره ختما له بالشهادة
وحتما عليه بالسعادة وورث مكانه اخوه ارسلان خان ابو منصور
الاصم صنوه في التقية وتلوه في الامور الالهية ثبت المقام في دين
الاسلام لا يعرف له جاهلية ولا تنقم منه عنجهية ولا عجرفية
تقيم الصلوات جماعة وتفترض العدل سمعا لله وطاعة وعمر الحال
التى كانت بين طغان خان اخيه وبين السلطان يمين الدولة اظهارا
للمصافاة واستشعارا للمواخاة وايثارا للاشتراك على تصاريف الحالات

وخطب السلطان اليه والى اخيه ايلك كريمة له على ولده الامير ابي سعيد
مسعود بن يمين الدولة وامين الملة فاحسنا الاجابة واغتنما
القرابة وتردد السفراء في ذلك مدة على جملة التهادي ورضى
الحال باقتسام الايادي الى ان حقت الحقيقة وتمت العقدة
وانهض السلطان من اختارهم من ثقات بابه لنقل اليتيمة الكريمة
فجهزت وديعة تشاح عليها ملكان هذا صدر الملك وذلك
ملك الترك يختص بها السيل بن الليث والوبل بن الغيث والتيار
بن البحر والصباح بن الفجر الامير الجليل ابو سعيد مسعود بن
محمود ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة
واعيان رجالها من عدوا ائمة المشرق والنطق فادوا الامانة في
اليد واللسان على ما الحمت الحال بين الجنبتين ورفضت الحشمة في
ذات البين وامر السلطان اهل بلخ قبيل الوصول بعقد الآذين
وتكلف التجليد والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغا لم يتسبق فيه
من الوسع مذخور ولا من الرسم مذكور ومسطور ورأى السلطان
بعد ذلك ان يعقد للامير مسعود على هراة سترة مملكته ونواحيها

وسيره

وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم يعده ذخيرة ويوسعه
تجملا وزينة فنهض اليها رشيد السيرة حميد السريرة عادل الطريقة
فاضل الخليقة خليقا بالملك على الحقيقة وذلك في سنة ثمان واربعمائة

ذكر الامير ابي احمد محمد بن يمين الدولة وامين الملة

جملة ما يمكن الافصاح به والايضاح عنه من حاله وذكر خصاله
ان السري اذا سرى فبنفسه • وابن السري اذا سرى اسراهما
قد جمع الله له من الميل الى خصايص الادب والسعي لمعالي الرتب
والبعد عن مكامن الريب ما دل على انه ابن ابيه شرفا سمقت
على النجوم شرفاته وكرما تعرفت لاهل الفضايل عرفاته خرج من
حضن الكفالة خروج الابريز من جمرات السبائك والهلال من تحت
الشعاع المتشابك لم تعرف له طول ايام الايفاع غير الارتفاع
الى اليفاع تصرفا على كرم الطباع وتقييدا للمأثور بالسماع وبدلا
لما لقطته يد الطباع وارتياضا بآداب الثقافة والمصاع وتمرينا
البنان بين القلم والعنان وتعويدا اللسان ذكر الاصابة والاحسان
لا جرم انه لما نزع يداه برد الحداثة ولبس خداه طوق النهامة

رأى السلطان أن يوفيه حق النبوة ويوتيه شرط المروة و
يجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه واستدعته
العناية به والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر الفريغوني
والي الجوزجان وهي التي تجمع الى الاصالة جلالة والى الكفاية كفاءة
والى النعمة همة وعقد له على اعمال الجوزجان كما عقد للامير
الجليل ابي سعيد مسعود على هراة وهي التي وليها آل فريغون وهم
الذين حكوا في العز افريدون وفي الهمة المنجنون وفي الغزارة
والسماحة جيحون وولى ابا محمد الحسن بن مهران كفاية اموره
وولاية تدابيره فبرز اليها بروز السيف من يد الصاقل وهمى
على اهلها همي السحاب الهاطل فاحياهم بندى العدل الشامل
وعدل في العطف عليهم بين الايامى والارامل فعلقته
قلوب الخاص والعام وكفته النفوس مؤونة الاستخدام
ولما رأى السلطان حميد اثره ورشيد مختبره ازداد شغفا
بآثاره وحرصا على اصطناعه وايثاره فلم يخل من جديد انعام
ومزيد حفاوة واكرام وسيأتي بيان خبر الاخوين الجليلين في

موضعه من بعد باذن الله ومنه

ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر وما ختم به اجله

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة منذ شحذ الله عزيمته
لغزوات الهند محييا لسنة ابيه ومقتفيا نهج آثاره ومساعيه
باحثا على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام وماحيا
للبدع المعترضة عليها في سالف الايام استبصارا منه في الدين
واستظهارا على قمع الملحدين فقرأ الكتب وسمع التأويل وتتبع
القياس والدليل وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع
وتلقن من اصول الدين ما لم يستجز معه في الدين بدعة ورأى كل
ما خالف ظاهره نكرا وشنعة والقي اليه ان في غمار الرعايا
بخراسان اقواما ينتحلون مذهب الباطني المنسوب الى صاحب مصر
ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض بتأويلات موضوعة تؤدي
الى رفع قواعد الدين ودفع معاقد الحق واليقين فامر بوضع
العيون عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا
بين المذكور وبين اوليائه والملبين لندائه يعرف القوم بسيماهم

وابطال معالم الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض

وأسمائهم فنصّ على عصابة منهم مختلفي البلدان والأوطان
فأشخصوا إلى الباب ورجموا تحت الصلب بالأحجار ولم يزل
يفعل مثل ذلك بأضرابهم ومن كان يخرج له ذكر بإلقائهم
حتى التقطتهم حجارة الرجم والرضّ عن بساط الأرض وقد كان
الأستاذ أبو بكر محمد بن إسحق بن محمشاذ زعيم أصحاب أبي عبد الله
بن كرام غزير الفضل كبير المحلّ مذكوراً بالديانة الوافية و
الأمانة البادية والخافية مشهوراً باليقظة على الفرق الغالية
والبدع الجافية فوافق رأي السلطان على اجتياح من ركب
ثنيات الطريق وعدم في العدول عن مثل مخارف النعم مساعدة
التوفيق ونبّه على عدّة زعموا أنهم ضلّال ولهم في فضول القول
وهذر المحال مجال فسلكوا في أصفاد الآخرين ونصبوا عبرة
للناظرين وازداد أبو بكر فيما تقرّب به من ظاهر المحاماة على
دين الله والمراماة دون حقّ الله وتطهير بيضة الإسلام
عن كل ذي ريبة بعيدة أو قريبة حشمة أطمعت فيه الرجال
وأمالت إليه الآمال وآتيه حشمة وضع الله عليها طابع الدين

فهي

224

فهي في جوار النجم علوّ مكان وسموّ شان وكفاك بها فخامة ما
ورد في الخبر المروي أنّ الله تعالى قال للدنيا من خدمني فاخدميه
ومن خدمك فأتعبيه أو فاستخدميه واتفق بعقب ذلك
أن طلع رجل من ديار العراق ينتسب إلى شجرة العلوية يذكر
أنه رسول صاحب مصر إلى السلطان يمين الدولة وأمين الملة بكتاب
تحمله وبرّ تنوّده فورد نيسابور مدلّاً بسبب النسب ومدلياً
بصلف الشرف فاستوقف إلى أن أنهي إلى السلطان خبره ووكل
إلى ما يرد من مثاله صدره ونهض من بعد ذلك إلى هراة ممتدّاً
إلى الحضرة فأمر بردّه إلى نيسابور لتقرير ما تحمّله على رؤوس الأشهاد
وبمرأى ومسمع من كل حاضر وباد صيانة لخاصّ مجلسه عمّا عسى
أن يضاف إليه من إحالة وستر تحت رسالة فلمّا ردّ التهرتي
وفتّش عمّا صحبه عثر على تصانيف الباطنية وأغاليط في الشريعة
الحنيفية أصحّ منها في الأسماع خباط المجانين ووسواس المبرسمين
لا تؤخذ في محصول ولا توجد في معقول ومنقول وناظره الأستاذ
أبو بكر على أمور من جهة مرسله تفاوتت فيها ألفاظه فلم توجد

لها على نار الامتحان ثبات ولا على وجه التحقيق وجانب التمييز
النفاث وما زال يضرب اخماسا في اسداس الى ان تبين له
انه قد اخطأ في تحمل تلك الرسالة وحرم التوفيق في تقلد
تلك السفارة وقضى الله ان اشخص الى حضرة السلطان ولما
وردها استحضر مجلس حفلة وقد غص باعيان السلطان
ساداتها وكبرائها وقضاتها وفقهائها وغزاتها وزعمائها
وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم العلوي ومن قصته ان جده
مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد الحسين الاصغر رضي الله
عنهم بناحية مصر اوجه وانبه منه ولا اغنى واقنى عنه
فلما استقر معد ابو تميم المعز بمصر خطب اليه بعض بناته
على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على ما قيل
انه وجد في داره رقعة فيها: ان كنت من آل ابي طالب
فاخطب الى بعض بني طاهر . فان رآك القوم كفوا لهم
في باطن الامر وفي الظاهر . فامر سفه خوزية
بعض منها النظر بالآخر . فنسبهم الشاعر الى امهم الخوزية بالعسكر

بلغ

لان

لان كورتها خوزستان وهي ام محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل
مسلم عليه بان ليست واحدة من بناته الا وهي في حبالة وتحت
عقدة تفاديا من اجابته وتحرجا من مصاهرته فلما عرف
امتناعه ذهابا بنفسه عن مصاهرته وترفعا بنفسه دونه وضع
عليه يد الاستصفاء بعد ان اودعه الحبس سنين وخبطه خبط
العصا ورق السلم والبسه عن فضفاض الغنى غلالة العدم وهلك
من بعد على يده فقال قوم غيب عن مجلسه فلا يدرى كيف صار
امره واين جعل قبره وزعم آخرون انه هرب من المحبس على طريق
الحجاز فاحتضر في الطريق وعند ذلك لجأ طاهر والد الحسن المذكور
الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم متأمرا على اهلها ومعه ابن عم
له يعرف بابي علي بن طاهر وهو ختنه على اخته فلما مضى طاهر لسبيله
ورث ابو علي مكانه من الامارة الى ان لحق به وورثه ولداه هاني
ومهني دون الحسن لاستضعافهما اياه وتقويهما بالحال والمال عليه
فرحل هو نحو خراسان ملتجئا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة
سنة ثلث وتسعين وثلثمائة فلما ورد التاهرتي بن عمه رسولا صغر الشريف

الحسن شأنه ووضع فيه لسانه وأبى أن يكون له بنات على درجة
الرسالة وانتساب الى نبعة النبوة وادعى عليه الكذب وتحمل
الزور والنقول وعزاه الى فساد الدين واستحقاقه ضرب الوتين
فخلى السلطان بينه وبين ما يستجيزه لنفسه ودينه فيه فقام
الى جيده بضربة غرقته في دم وريده وقد كان القادر بالله
أمير المؤمنين كتب الى السلطان بما ترامى اليه من خبر الرسول لما
يقتضيه الدين من التصلب عليه وتقديم الجد في الانتصاف
للاسلام والمسلمين منه فلما ختم أمره بما تقدم ذكره انهى الى
مجلس الخلافة صورة الحال وكعم السيف أفواه العذال فقوبل
من القبول بمقتضاه وجزي الخير على ما أتاه وتوخاه فكان مثل
التاهرتي كما قيل: ومن يشرب السم الذعاف فإنه: حقيق بأنياب المنايا النواهش

ذكر الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه وما ختم بأمره الى أن ورث السلطان مملكته

قد كان أبو الحسن علي بن مأمون لما ورث أباه مأمونا مملكته وقد
كان استنصاف خوارزم الى الجرجانية خطب الى السلطان احدى أخواته

تقوية

تقوية لعمدة الحال وتسدية للحمة الوصال فأوجب اسعافه بما
استدعاه استكفاء اياه وتوخيا لرضاه وزف اليه من خطبه
ووصل بأسبابه سببه ودر التهادي بينهما حتى صارت الديار
واحدة والأسرار لغير الاخلاص جاحدة وعبرت الحال على جملتها
في الانتساج والامتزاج الى أن قضى خوارزمشاه نحبه ولقي بانقراض
الأجل ربه وورث أبو العباس مأمون بن مأمون مكان أخيه
وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان يسأله أن يعقد له على
شقيقته عقده على أخيه من قبل فهو تاليه في الطاعة بل أتم
اخلاصا وتاليه في القربة بل أشد اختصاصا فشفع السلطان فيه
داعي الكفاءة واستجد للحال رونق الطراءة وعقد له عليها
عقدا خلطه فيه بنفسه وفرغ له فريقا من قلبه وخلبه ما زال
الأمر على جملة الاشتراك والاشتباك الى أن دعا السلطان داعي
الاختيار الى سومه اقامة الخطبة باسمه وأنهض رسولا يتنجزه
العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه حرصا على الاجابة
وافتراضا لحق الطاعة غير أنه عرض الحال فيه على من حوله من أعيان

اشياعه واتباعه فاظهروا نفارا واصروا واستكبروا استكبارا
وقالوا نحن اتباعك واطواعك ما سلم لك الملك عن الاشراك
فاما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق
خلعا لك وتمليكا عليك وجهادا فيك فعاد الرسول الى السلطان
بما راه عيانا وسمعه بغيا وعدوانا واحس القوم بجمرة الدم
من وراء حزايتهم على ولى نعمتهم بالقول الفظيع والرد الشنيع
وزعيمهم فى الامر يومئذ ينالتكين البخارى صاحب الجيش فاحسوا
خيفة وتوامروا على الفتك به غيلة وما زالوا فى التدبير عليه
الى ان دخلوا ذات يوم اليه على رسم السلام فاذا هو صريع
كاس الحمام لا يدرى كيف قتل ومن اى وجه اليه قد وصل
فبادروا الى العقد باحد ولده وبسطوا ايدى الاصفاق على
بيعته وعلموا ان السلطان يمتعض للحادثة ويقصد قصد الانتصاف
للوراثة فتحالفوا على مقارعته ان غزاهم فى عقر دارهم وحراهم
على مسخوط اثارهم ولما انتهى الى السلطان خبر صنيعهم بولى نعمتهم
وهو قيم سقيفته وحامى حقيقته ازعجته قوة الحفاظ للانتقام من

اولئك الغدرة الفجرة والمرقة الفسقة فجاش لهنا هضتهم على
حمية مشكورة وحفيظة على ابتغاء ذات الله مقصورة وكانت
سعادة ايامه قد لقنت اولئك العتاة البغاة ما اتوه استحقاقا
للنقمة وبراءة من العصمة وتمهيدا للعذر قربا وبعدا فى استخلاص
مملكة كانت الى عز ايالته نازعة ولباب الاقبال برفق سياسته
قارعة وجر الجحافل كالجبال سائرة والبحار زاخرة حتى اناخ
بعقوتهم مستعينا بالله على قتالهم واستنزالهم الى مناهل اجالهم
وشاور صاحب الجيش البخارى عامة قواده فى ركضة على طلائع
السلطان بياتا تعضهم بانياب الحديد ان لم تسلمهم للتشريد والتبديد
وطار تحت خوافى الليل حتى انقض على ابى عبد الله محمد بن ابرهيم
الطائى وهو طليعة السلطان فى كماة العرب حين انفض الكرى
رؤسهم وشغل برد الصباح نفوسهم فاختلط البعض بالبعض ضربا
بالسيوف الفواصل وطعنا بالرماح الذوابل فطار الخبر الى السلطان
بركض القوم فزحف بجيوشه الى معترك الحرب وثبت الخوارزمية
من لدن طلوع الشمس الى ان حمى وطيس النهار جاهدين فى القراع

ومجاهدين دون المساكن والرباع يظنون ان يظفروا وقد غدروا
بمن رباهم في حجور الانعام وازواهم من ثدي الاكرام هيهات
ان الغدر قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار وثانيه آجل
النار ولم تشرق الشمس على الكبكبة حتى صحبت الخيول ثم الفيول
رجالا احكوا اجمالا قد قصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم وفلقت
بالسيوف هاماتهم وبضعت بها اجسامهم وانهزم الباقون في حمر
الغياض على شاطئ جيحون والصوارم من ورائهم تخطب ازواجهم
حتى اذا واقعتها تخلتها الطلاق صداقا واستاسر زهاء خمسة
الآف رجل حقن الله دماءهم عبرة للنظار وعظة لامثالهم
من الغدرة الفجار وركب البخاري ظهر الماء موائلا في الهرب
ومقدرا اخلاصه من العطب لم يدر ان فعله السوء تخزيه و
اقدامه على ولي نعمته يرديه وان حافر البئر لاخيه ساقط
لا محالة فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض اضرابه مناقرة
حملته على الاستيثاق منه وبعث الملاح على استقبال المعسكر
بوجد الزورق فلم ينشب الاسير حتى حصل في يد السلطان

اسيرا

اسيرا واحضره السلطان مجلسه في سائر القواد المأسورين
يسائله واياهم عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعية
واجترائهم عليه من غير وطأة عاتية فرد جواب المتبسل
المستقتل واما الباقون فسقط في ايديهم لا يدرون ماذا يردون
وامر السلطان بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم
ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه وصلبهم اجمعين عليها
مع عدة ممن اتهمهم بالدين وعدهم معد الناكبين عن قصد
السبيل وامر بالكتابة على جدران تلك المقبرة بان هذا قبر
فلان بن فلان بغى عليه حشمه واجترأ على دمه خدمه فقيض الله
يمين الدولة وامين الملة ابا القسم محمود بن ناصر الدين سبكتكين
حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية
للعالمين وامر من بعد بالاسرى فوضعت الاغلال في اعناقهم
يقادون الى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج حتى اذا حصلوا بها
وقد امتلأت منهم العيون وغصت بهم المحابس والسجون من عليهم
بالافراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم والاجناد ووضعهم مواضع

امثالهم من ديار الهند ربايا يحمون اقطارها وينفضون عن
عيون الغيث مناكبها واطرافها وولى خوارزم حاجبه الكبير
اباسعيد التونتاش فاقام بها فاماط نجوم الفساد وفقا
عيون الغي والعناد الى ان نضب ماؤهم واذعن للسلطان فناؤهم
واتسقت تلك الاسباب ودرت الاخلاف وذلك تقدير
العزيز العليم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

ذكر فتح مهرة وقنوج

ولما فرغ السلطان من مهم خوارزم وقد انضافت كاحدى
اخواتها الى سائر ممالكه الموشحة بآثار ولايته الموشعة باصباغ
عدله ورعايته رأى ان يختم صحيفة العام بطابع الاستتمام
اجماما للركائب والركب وتقلبا لرأي الغزو بين جوانح القلب
فعدل الى بست كالشمس قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال
فالدنيا بها حواشي المطارف او عواشر المصاحف او عقود المخانق
او نمود المعصرات العوانق يدبر اعمالها ويروي فيما صار احمى
لها الى ان اذن الله تعالى له في معاودة غزوته منشئا سحاب الفكر

في غزوة تحقق اعجاز القرآن بما تضمنه من وعد الله المنان
في اظهار دينه المرموم بسيد البشر ومولى البدو والحضر محمد
تاج الانام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى آله الخيرة البررة
الكرام على الدين كله وان سخطت نفوس وضرعت خدود ورغمت
معاطس وانوف بعد ان كانت الشقة قد بعدت عليه وعلى
اعوان دين الله السائرين تحت رايته اذ كانت الهند قد
تحيفت من سواها واطرافها سبيا وانتهابا وملكت على
اربابها سهوبا وشعابا فلم يبق الا ما اجنه ضمير قشمير
ومن دونها فياف تصم عن كل غريف وصفير وتضل بينها
وفود الرياح الا بخفير واتفق ان حشر اليه من ادنى ديار
ما وراء النهر الى اقصى حدودها زهاء عشرين الفا من مطوعة
الغزاة وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد
منتدبين في ذات الله للاستشهاد يخطبون الجنان بصداق
الارواح ويستامون الغفران بحدود الصفاح فحرك من
السلطان نفيرهم ودمر نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى

رايه ان يزحف بهم الى قنوج وهي التي اعيت الملوك الماضين
غير كشتاسب على ما يزعمه المجوس وهو كبش اقرانه وملك
الاملاك بزعمهم في زمانه فثار وبين غزنة دار الملك وخطة
قنوج مسيرة ثلثة اشهر للركائب القود والخوانف السود فاستخار
ربه وسار وهجر النوم والقرار واستصحب من تشمر من انصار دين
الله واعوان حق الله رجالا يقتحمون اشداق المنايا شوقا الى
السعادة بالشهادة وحرصا على الموعود من الحسنى والزيادة و
عبر مياه سيحون وجيلم وجندراهه وايراوه وبيت هرز
وستلدر سالما في سالمين وهذه اودية تجل اعماقها عن الاوصاف
وتمتنع اطرافها على الاطواف منها ما يغمر غوارب الفيول فكيف كواهل
الخيول ويدهده ثقال الصخور فكيف خفاف المطايا والظهور
صنعا من الله لمن والاه وعزر بروجه في استدامة رضاه ولم
يطا مملكة من تلك الممالك الا اتاه الرسول واضعا خد الطاعة
عارضا في الخدمة كنه الاستطاعة الى ان جاءه جنكي بن سمهي صاحب
درب قشمير عالما بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاسلام مقبولا او الحسام

مغلولا

230

مغلولا فاظهر العبودية عن حاضر التوفيق وضمن الارشاد باقي الطريق
وجعل يسير امامه هاديا ويجزع واديا فواديا وكلما انتصف
الليل اذن بالمسير خفق الطبول واستوى اولياء الله على ظهر الخيول
يجشمون تعب الركض والسلوك الى ان تجنح الشمس من غد للدلوك
حتى استظهر ماء جون لعشر بقين من رجب سنة تسع واربعمائة
وما زال يفتتح الصياصي والقلاع مبنية على ذرى الجبال وحروف
القلال بحيث تالم متالع الاعناق متى شخصت اليها نواظر الاحداق
الى ان شافه قلعة برنة من ولاية هردب وهو احد الرايين اعني
الملوك بلغة الهند فاطلع على الارض اطلاعة وهي تموج بانصار
حق الله مسومة من فوقها الترائك ومن حولها الملائك فتزلزلت
قدمه واشفق من ان يستباح دمه فراى ان يتقي بالاسلام
باس الله وقد شهرت حدوده ونشرت بعذبات العذاب بنوده
ونزل في نحو عشرة آلاف منادين بدعوة الاسلام منقادين عن
ولاية الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله اسعادهم
واسعاده نعم وامتد به الوجيف بعد الى قلعة كلچند وهو

من اعلام الشياطين واعيان اولئك الملاعين يدل على الملوك
بعز اقعس ويربو الى القروم بطرف اشوس قد قضى في الكفر
معظم عمره وغني بهيبة الملك وبسطة الامر عن تجشيم نفسه
وسمره لم يقصده احد الا ارتد عنه مفلولا وعاد عقده
عنه محلولا لعزة حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة اقيال
ووثاقة معاقل وحصون وملك عن مطامع الانام ومطامح الوهم
والاثلام مصون فلما راى السلطان قد قصد قصده وجرد
لمجاهدته جنده رتب فيوله وخيوله وراء غياض لو رميت
باقراد الابر لا تقتها الارض باوراق الشوك والشجر واغرى السلطان
به بعض طلايع جيوشه فثاروا اليهم يخرقون تلك الآجام خرق
الامشاط منابت الشعور بل الاشافي مخارز السيور واعرض السلطان
طريق من فوق القلعة المذكورة فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر
والله اكبر والسيوف لا تبقي ولا تذر فنبذوا الجلاد مستقتلين
وتواصوا بالمنايا مستبسلين والسيوف تاخذهم من فوق ومن
قدام وتنضعهم ما بين لحوم وعظام وحملاتهم تنهها تتصل اتصال

الكعوب

الكعوب وضرباتهم تتوالى توالي الغيث المصبوب غير ان الله تعالى
منزل الحديد ذي الباس الشديد هو الذي اذا شاء قطع واذا شاء
نبا وامتنع كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط
القلائد فان نالت من اولياء الله فلاجر الاستشهاد وثواب
المعاد وان نبت فلاعجاز القدرة واظهار العبرة ليعلم ان الحكم
لله في كل مخذول ومعصوم ومحروس ومقصوم وظل الخاذل
يتهامسون بينهم وقد عاينوا سيوفهم نابية وسيوف اهل الحق عليهم
ماضية وحملاتهم واهية وحملات اهل الدين اولى وثانية ما
هؤلاء من جنس الانس ولا من زمر البشر هيهات ان وقع الحديد
ليحز في الجبال ولا حز له في هؤلاء الابطال حتى اذا مثل لهم
شخص الطغيان في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراءهم من
زاخرة المياه يظنون انما تقيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام
اولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يردي بكثير
ماء يحيي قليله لا جرم ان صفائح الماء وافت صفاح الدهماء
فاوسعوا قتلا واسارا واغرقوا فادخلوا نارا ولعل عدد القتلى

والغرقى يزيد على خمسين الفا اصبحوا طعما للنسور والضبعان و
اقواتا للتماسيح والحيتان وعمد كلجند الى قتاليه فاهلك
بها غرسه ثم كر فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان مائة و
خمسة وثمانين راسا من الفيلة الضخام مضافة الى سائر ما اطرد
عليه حكم الاغتنام من نعم الله الجسام وقسمة الراجحة بالاقسام
ولما وضعت تلك الحروب اوزارها وحلت له الغنائم ازرارها
عطف عنانه الى سط البلد الواقع عليه اسم المتعبد وهو الذي
بناه مهرة الهند يطالع ابنيتها التي يزعم اهلها انها من صنع
الجان دون الانسان ابداع اساس سقوف واعجاز اوساط
وحروف فراي ما يخالف العادات ويفتقر روايتها الى الشهادات
بل المشاهدات بلدا مبني السور من صم الصخور وقد اشرع بابان
منها الى الماء المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص القلال
صيانة لها عن مضار سيول الماء ومغار غيوث السماء وعن
جنبيها الف قصر مشبهة بسائر الابنية في الوثاقة مشتملة
على بيوت اصنام قد هندمت مفاصل اعراقها بمسامير تساوي

سطوح

سطوح البناء وتواري ما وراءها من الحزوز بحث الخفاء و
في صدر البلد بيت اصنام تحكي اخواته او احسن وتجري
مجرى اضرابه بل اتقن لا تهتدي الكتاب باقلام الدواة ولا
النقاشون باطراف الخامات الى امثالها تحسينا وتزويقا و
نقوشا تخطف الابصار بريقا وكان فيما كتب السلطان به انه
لو اراد مريد ان يبني ما يعادل اشباه هذه الابنية لعجز عنها
بانفاق مائة الف الف درهم في مدة مائتي سنة على ايدي
عملة كملة مهرة سحرة وفي جملة الاصنام خمسة من الذهب
الاحمر مضروبة على خمسة اذرع في الهواء منصوبة قد الفت
عينا واحد منها ياقوتتين لو سيم مثلهما على السلطان لابتاعه
بخمسين الف دينار استرخاصا ولم يستفش فيه دركا ولا
خلوصا وعلى آخر قطعة ياقوت ازرق ريا من رونق الماء و
بريق البهاء تتزن اربعمائة وخمسين مثقالا وخرج من وزن
قدمي احد الاصنام المذكورة اربعة الاف واربعمائة مثقال
وكانت جملة الذهبيات الموجودة عن اجرام الاشخاص المنصوبة

ثمانية وتسعين ألفا وثلثمائة مثقال وزادت الفضيات منها على
مائتي قطعة لم يمكن وزنها الا بعد التفصيل والعرض على كفف
المعايير وأمر السلطان بعد بسائر بيوت الأصنام فضربت
بالنفط والضرام وجعلت سقوفها مواطئ الأقدام وسار من بعد
قدما يروم قنوج وقد اشتق له الفال من تصحيفه فتوحا وعدة
من الله صنعا ممنوحا وخلف وراءه معظم العسكر تطميعا لراجبال
ملكها في الثبات لخفة الزحام وتقبيحا له قبل اللقاء صورة الانهزام
إذ كان أمراء الهند على غلب رقابها وقوة أسبابها وأصحابها
أطواعا لرأي قنوج اعتزازا بمكانه واغترارا بفخامة شأنه
ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع إلا وضعها بالأرض
وعرض أهلها على الإسلام أو السيف وحاز من السبايا والنهاب
والنعم الرغاب ما يعجز أنامل الحساب ووصل ثامن شعبان
إلى قنوج وقد فارقها راجبال حين سمع بإقدامه فرارا من لا
يرى الهزيمة عنه عارا ولا يعتد الفضيحة به شنارا وعبر
الماء المسمى كنك وهو الذي تتواصف الهنود قدره وشرفه

ويرون

233

ويرون من عين الخلد في السماء مغترفه إن أحرق ميت منهم
ذروه فيه بعظامه وظنوه طهرة لآثامه وربما أتاه الناسك
من بعيد فغرق نفسه فيه يرى أن ذلك ينجيه وهو في العاجل
يرديه وفي الآجل يصليه ويخزيه ثم لا يميته ولا يحييه و
تتبع السلطان قلاع قنوج فإذا هي سبع موضوعة على الماء المذكور
كالبحر المسجور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت للأصنام
يزعم المشركون أنها متوارثة منذ مائتي ألف سنة إلى ثلثمائة
ألف سنة كذبا وزورا وقولا موزورا وعدولا عن سنن الهدى
وكفورا وبحسب قدمها كانت عبادتهم لها واجهاشهم بالدعوات
إليها وقد شرد عنها أكثر أهلها خيفة الأيم واليتم وحلول الثكل
بآلهتهم الصم البكم فمن بين ناج أغاثه نجاؤه وثاو أباده ثواؤه
ولم ينجه من سيوف الحق أرضه ولا سماؤه ففتحها كلها في يوم
واحد ثم أباحها لأهل عسكره ينتابونها طلقا حلالا وينتابونها
وقما وإذلالا وركض منها إلى قلعة منج المعروفة بقلعة البراهمة
وهم حي لقاح وعتاة ما لهم عن الفساد في تلك البلاد براح فثبتوا

للقراع أشباه العفاريت عارجة والشياطين ماردة أو مارجة
حتى إذا أعوزهم الثبات وأعجزهم النجاة وعلموا أن ليس لهم بالمسلمين
طاقة وأن دماءهم لا شك مهراقة تهاووا من غرفات الجدران
وشرفات البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح استخفافا بالنفوس
والأرواح واستسلاما لأمر الله المتاح لا جرم أن السيوف أشربت
الأرض دماءهم وأطعمت النسور أشلاءهم كذلك المنايا أصهار من
خطب إليها لم تر له ردا ولم يجد من إنكاحه بدا وأخذ على نفسه
ذلك نحو قلعة آسي وصاحبها المعروف بجندال بهور أحد أنياب
الهنود وأرباب الجنود لم يزل ذا منعة بالملك وسعة في الملك
تعرض له رأي فتوح منازعا ومادة الحرب مكاوحا ومقارحا
فلم يزد على أن أتعب أولياءه وتكل على الجنبة وراءه وقد أحاط
بهذه القلعة غياض متكاثفة كأعراف الجياد ومتداخلة كأشعار
الجداد لا تستجيب الأفاعي فيها للرقاة ولا تستنير البدر عندها
للسراة قد أحاطت بها خنادق قعيرات الحفائر فسيحات الدوائر
إحاطة الثور بالثريا فما له عنها انفراج ولا لها دونه انعراج فلما شعر

234

المذكور بزحف السلطان إليه في كواكب دولته ومواكب جملته فقد
تلبده فرط الحذار وحبس نبضه فكأن ذنب الفار ورأى الموت
فاغرا فاه فلم يملك إلا أن يوليه قفاه فأمر بقلع قلعته من أصولها
وتعويرها على من يهم آنفا بحلولها وقفى آثاره بعفاريت أنصاره
ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى علم الكافرون أنهم هم
الخاسرون وكان المخذول يرى أن أعوانه من كماة المقانب وحماة
الأشاهب ورماة الكتائب تحميه مما هو فيه حتى رأى عسكر السلطان
بين تلك المشاعب وآثارهم بالقنا والقواضب القسي المواطر كالسحائب
فعلم أن ضرب اللاعب خلاف ضرب الثائر الغالب وقوس المحلج غير
قوس الناشب ولما فصل السلطان أمر جند بال وأذاقه في مهرب الداء
العضال عطف على جند راي أحد أكابر الهنود في قلعة شروة وهو
يظن بنفسه أن القائل يعنيه بقوله: عطست بأنف شامخ وتناولت
يداي الثريا قاعدا غير قائم: قد ذهب بها عن أن يعطي غيره مقادة
أو يألف غير التعزز عادة وكانت في غابر الأيام بينه وبين برو جيبال
مناوشات تحاجش عن خيوط الرقاب فدامت حتى استلحمت رجالا و

اصطلمت ابطالا فابطالا ثم قام دست الحرب بينهما فاضطر الى
التوادع والتكاف حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب برو جيبال
اليه ابنته على ابنه بهيمال استدامة للالفة واماطة للفرقة
واستدناء للشر والفساد واستبقاء للسيوف والاغماد و
سرح ابنه اليه على تنجزه عقد الوصلة وشرط الانتساج في اللحمة
والاشتراك في البيت والنعمة فلما حصل الختن في يده جعله تحت
قيده وقيده وطالبه بعوض ما ذهب له على يد والده فعجز برو جيبال
عن قصد قلعته واقتناص بيضته واستخلاص ابنه من اسار محنته
غير ان المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت رايات السلطان
يمين الدولة على تلك الحدود وسفر صنع الله له في المقصود بعد المقصود
فاما برو جيبال فلحق بمهو جدبوا احد المتعززين بحصانة المعاقل و
حزونة المداخل وخشونة المواقل خلاصا بمهجته واعتياضا باعمد
على من هم باقتصاص اثره واما جندراي فانه استعد للمدافعة
واحتشد للممانعة اعتزازا بوثاقة قلعته ولو ثبت لا قلعته واذلالا
بمنعته ولو وقف لاختلعته فراسله بهيمال بان محمودا ليس من جنس

اكابر الهنود وامراء رجالهم السود ان السلامة من مثله تغتنم و
الجيش باسمه واسم ابيه يستهزم وقد راينا من كان اقوى منك
حكمة واعلى اكمة لم يقم لضربة من ضربات حدوده ولم يف
بمضة من هضبات جنوده فان اردت الافتضاح فشانك والخلاص
فغمض ما استطعت مكانك فعلم ان الرجل قد نصحه وانه ان
خالف الحق فضحه فسرب اثقاله وافياله وخزائنه واموالة نحو
جبال تناغي كواكب الجوزاء وآجام توارى خد الارض عن عين السماء
وورى بوجه مقصده فلم يدر اين سار والى اي الاقطار طار امتطى
الليل ام اقتعد النهار وكان غرض النصيح المظلوم في تهذيبه اشفاقه
من حبالة الاقتناص فيسام من كلمة الاسلام ما سيم اعمامه و
اقاربه حين اضطروا الى الاستيمان والاستسلام فلما احاط السلطان
بتلك القلعة وافتتحها على حصانة قواعدها ومناعة مراقيها ومصاعدها
وتوسع منها في علف كثير ومال على اختلاف اصنافه خطير لم يهنه الموجود
وقد فاته الكافر المقصود وضاقت به الارض دون طلبه وانتزاعه
من يد مهربه فاقتص اثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا من بين منابت

اشجار تصك الوجوه فتدميها ومساقط احجار تصدم الحوافر فتحفيها ولحق القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وهم يطأون مجاهل الارض هبوطا وصعودا . ولا طي التجار بحضرموت برودا .

واهاب باولياء الاسلام وابناء الصلوة والصيام الى اقتصاصهم وادراع الظلام في اقتناصهم ثقة بالله الناصر لدينه القاضي على الكفر بتوهينه فكم من قتيل هناك قبل ان يمسه حر الحديد واسير بقيد قبل يد التقييد فاما الاموال فباتت حجبا دون الارواح وسترا دون حد السلاح وحر الجراح ولا يعبأ بها او تشفى النفوس من غزوة الكفار وعبدة الشمس والنار وظل الاولياء يتتبعون طرايح المخاذيل ثلثة ايام تباعا تنفلا واغتناما وحلا لا يعبد ان حجبها الكفار حراما واما الفيلة فمن بين مقهود ومردود ومتطوع بالعود الى السلطان محمود لطفا من الله تعالى يبيح له غنايم الاموال حتى يسوق اليه بهايم الاقبال لا جرم انما سميت خداي آورد شكرا لله على الهام ما لا يمسك الا بالمقامع ولا يملك في المراتع لا بالحيل الخوادع ان يأتي طوعا فيهجر الاصنام ويخدم الدين والاسلام

ولقد احسن من قال

قل للامير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا .
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا .
لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا .
او سار في افق السماء لانبتت زهرا وورداً .

وبلغ ما ردّ من خزاين السارب الهارب ذهبا وفضة ويواقيت محمرة وفرائد مبيضة قرابة ثلثة آلاف الف درهم فاما السبي فالشاهد على كثرة عدده ووفور مدده وقوع الاستيام على الواحد منهم بما بين درهمين الى عشرة دراهم ذلك فضل الله الذي ذخره لايام السلطان يمين الدولة وامين الملة وهو الملي له بتمام الثواب فالحمد لله خير معبود ومحمود وله الشكر على ما اقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم بمحمود

ذكر المسجد الجامع بغزنة

ولما عاد السلطان على ثغنية النصر الموكل بقمع الكافر المفتري المكلل بسعدي السماء الزهرة والمشتري الى دار الملك بغزنة

وقد كاد ان يغيض سيحها على عدد الارقاء من العبيد والاماء

حتى استفرغت عليها اكياس التجار الضاربين الهاعين نوازح

الديار ونوازع الامصار نحو ما وراء النهر الى مرابع العراق

ومبادي الاشراق منها ما خلط بيضهم بالسود وعدل في التمليك

بين المسود والمسود احب ان ينفق ما افاء الله عليه من انفال

اولئك الغلف الاغفال في عمل بر يشيع جدواه ويربع الى امر

الاحتساب معناه وكان قد اولع باختطاط صعيد من ساحة غزنة

للمسجد الجامع اذ كان ما اختط قديما على قدر اهلها حيث عدت

من زمعات البلاد ومحطوط دار ومشطون مزار فوافق عوده

من مضربه حصول المراد من تقطيعه وتوسيعه واقامة الجدران

على ترابيعه فصب بدر المال على الصناع كما صب دماء الابطال

يوم القراع ونصب لمشارفتهم احد الزعماء بحضرته فهو يطوف عليهم

مطالبا بصدق العمل ومعاتبا على رمز الخلل حتى اذا توسدت

الشمس قلة الجبل اقام السن الموازين ناطقة بالانصاف واوزنه

بالجزاف فيمسون بين اجر بن عاجل على السلطان منقود وآجل على

الرحمن

2307

الرحمن موعود ونقل اليه من اقطار الهند والسند جذوع تراقفت

قدودا ورصانة وتناسبت تدويرا وثخانة كانما استودعت

ارحام الارض لامر معلوم وفجعت باعمارها اليوم محتوم نجانات

ولا الحق كالا والعدل استقامة واعتدالا تثنى عليها

الملاسة والسداد وكان بها صمما فهي لا تصغي ولا تكاد وقد

فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب سحيق

على تقطيع التربيع اشد ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المراة

وعقدت عند منتهى الابصار طاقات كما تقطع الدوائر على نقط

المراكز فلو عاش سنمار لعد في جنبها معد الواهن العاجز فاما

الاصباغ فطالع روضة الربيع ضاحكة الثغور باكية الجفون تشوق

الابصار وتقيد النظار واما التذهيب فحسبك به ان صناع الرصافة

قد غرت عليهم الحقاق وصح لهم تكليف ما لا يطاق وليس بصفائح

الزرياب فقط لكنه ضبات الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام

المجذوذة والبددة الماخوذة فطفقت تعرض على النار بعد

ان كانت آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد ان عبدت بالجذود

والعنافق اوليس الذي ينفق على جدران مساجد الله عبرة للموحدين
وغيظا على الملحدين اتم سماحة واكرم راحة ممن يفرغ معبودا
وينصبه للنفع والضر مقصودا نعوذ بالله من رب شواره عار
وهو محتاج الى شعار وجزى الله عن الاسلام ملكا هذه افعاله
واعماله وامتهان الروح والممنوح في سبيل الله دأبه وآدابه
وقد افرد السلطان لخاصته بيتا في المسجد مشرفا عليه مكعب البناء
موسع الفناء متناسب الزوايا والارجاء فرشه وازاره من الرخام
كدت عليه الظهور حتى نقل من ارض نيسابور وقد احيط بكل رخامة
مربعة محراب من الذهب الاحمر مكحلا باللازورد في تعاريج
من الوان المنثور والورد من يرها بعينيه يقل بلسانه لا استحسان
لازال هذا الاسناد ممتعا ببنائه الا من رأى مسجد دمشق
فراعه مرآه وشاقه النظر حتى ثناه وقضى بان ليس يوجد
شرواه دونك هذا البيت يلزمك المثنوية وتنعكس عليك
القضية وينبئك ان الحسن بعض صفاته والابداع احد سماته
وانفال الهند من خدم نقوشه والهمة العلياء قد سمت بعروشه

والامام

وامام هذا البيت مقصورة بتعاريج عليها منصوبة تسع ثلثة
الاف غلام متى شهدوا للفرض اخذوا اماكنهم منها صفوفا
واقبلوا على انتظار الاذان عكوفا واضيف الى المسجد مدرسة
فيحاء يشتمل بيوتها من بساط الارض الى مناط السقوف على تصانيف
الائمة الماضين من علوم الاولين والآخرين منقولة عن خزائن
الملوك الصيد تفرقوا عن ديار العراق ورباع الآفاق حتى اتستوها
بخطوط كفرائد سموط مصححة بشهادات التقييد وعلامات التخفيف
والتشديد يتنابها فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر
في علوم الدين على كفاية ذوي الحاجة منهم ما بهم جراية وافرة
ومعيشة حاضرة وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف
طريق يفضي اليه في امن من ابتذال العيون اللوامح واعتراض الرجال
من بين صالح وطالح فيركب اليه على وقور سكينة وشمول طمأنينة
حتى يقضي المكتوبة ويقتضي الاجر والمثوبة فاما سائر دور الحجاب
وقصور القواد فما يثق بحقائق الانفاق عليها الا من اتاها اعتبارا
وشاهدها اختبارا فيرى ملء الاباطح ابنية يشرف على الهضاب

شرفاتها ويكاد يغترف من نهر المجرة غرفاتها وناهيك من
بلد يحتوي على مرابط الف فيل يشغل كل منها بسياسته و
مائرته دارا كبيرة وخطة وسيعة ان الله تعالى اذا اراد
عمر البلاد وكثر العباد وهو على ما يشاء قدير ٥

ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان وطر الغيظ بغزنة واقبل الخريف بتشفيفه
وسمح الوقت بحاضر ريفه وقد كان طوائف من الافغانية
المستوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا
بعل القطاع لذنابى عسكره منصرفه عن غزوة قنوج اغترارا
بمناعة اماكنهم وحصانة مساكنهم وتطنيا لجفاء افعالهم و
التباسها بمناكير امثالهم رأى ان ينتقم منهم بركضة تبيح عليهم
اوكارهم وملاجئهم وتخضب بدماء النحور جاجئهم فعزم
على ما دبر وصمم على ما قدر وورى بنهضته نحو احدى اقطار
بغيته ثم ركض عليهم في خاصته ركضا صبحهم في مراقدهم
فلم يشعروا الا بحد الصفاح على برد الصباح ضربات يقطف

الرؤوس

239

الرؤوس عن النحور وتفرغ النحور على الحجور **شعر**
صرعى الى صرعى كأن جلودهم • طليت بها الشيان والعلام
فيا لها نهمة اتمت عليهم الرقود وآلت حلفة الا تعود او تشهد
اليوم الموعود فكم من جثث فوق الاعلام ورؤوس تحت الاقدام
حتى اذا استلحمت السيوف اجسامهم ولم تستبق الا ايامهم وايتامهم
كف كف الاقتدار وعلا ذروة العز بالانحدار وعادت تلك
الوعور سهولا وكان امر الله مفعولا وعطف الى غزنة مميلا للرأي بين
ان يشتو بلخ مستجما ولغابر السنة في القرار مستتما وبين ان
يركب نية يمينية في غزوة تقشع باقي صبابات الكنود عن ديار
الهنود مجهزا على من كان يضرب بذنبه في مهربه كالوزغة المبخنة
لا يلبث ان تموت فابت عليه حمية الاسلام ان يسيغ على القعود
جريضه او يستبقي في محابس الاغماد بيضه وثنى عنانه نحو
الهند في رجال يرون منتهى الشهوات صهوات الخيول وقصوى
اللذات ملاقاة الفحول ويجتزئون بالظهور اسرة مرفوعة و
بالاكوار وسائد موضوعة وبالسموم رياحين مقطوفة وبالاجن

الطرق صهباء مرشوفة وبالعرق السائل ماء وردٍ وبالقسطل
النائر مثار عبيرٍ وفتات ندٍّ وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم
ندامى وسمارا فمن ينمه نسب فان آباءهم المشرفيات البواتك
وامهاتهم الزاعبيات الفواتك واعمامهم القسي الجوازع واخوالهم
النبال القوارع وما زال يخوض اثمارا هائجة ودوافع مائجة
واودية هادية لم تضمن قط عن غرقاها دية وعين الله ترعاه
في كل سعي يسعاه حتى اقتحم مغارات اولئك المغاوير بادات
اولئك المداعير فظلت رذايا الفل يضجون بالويل والثبور
ضجيج النوق رواجع ببيت الله المعمور وما زال السلطان يمسح
بمن امن واطاع ويفضح من اظهر الامتناع بعد ان اصاب غنائم
لا يضبطها حساب ولا يطعمها ماء ولا تراب حتى انتهى به المسير
الى ماء يعرف براهب غائر المخاض حمئ القرارة كالخضخاض
يبتلع الخف والحافر ويبتلع الدارع كما يبتلع الحاسر فاذا هو هذا
وحيال من تلك الحيرة في رجال كالقرم واقيال تحت الاديم
تداخذ من فاجئ الركضة حذره واسند الى زاخر النهر ظهره و

رام ان يمنع السلطان عبوره ويشغل عن اقتحام الغمر جمهوره
حتى اذا اكتحل الليل بقاره مر في ذمة استتاره مرور مروان
على حماره فلما علم السلطان ذلك من قصده ورأى استعداده
واحتشاده لصده امر بالاطواف فهيئت للعبور واهاب
بعدة من غلمانه للركوب فامتثل الامر ثمانية منهم يبتدرون
العدوة القصوى ويلتزمون كلمة التقوى فلما رأى برو حبال
استقلال الماء بهم رماهم بخمسة من فيلته المجففة وفوج من
رجاله المصففة فاراد الله ان يحقق قول نبيه الامي الامين
ورسوله المؤيد بالتمكين حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت
لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي
ما زوي لي منها فالهم تلك العدة ان استوقفوها على اماكنها
خرز الاطراف هاتيك الاخفاف بالنبال وغرزا لها بعد في
وجنات اولئك الضلال معجزة لم نسمع بمثلها قبلها ثمانية تجرع
سيلا وتدفع فيلة وخيلا وبدر من لفظ السلطان عند عيان
ذلك البرهان ان قال من قدر على السباحة فليتعب اليوم للراحة

فاذا هو بخاصته ومعظم عامته خائضين ولصعب الماء رائضين فتارة يسبحون بالاطواف واخرى يستريحون الى الاعراف حتى لفظهم النهر سالمين لم تشجب لهم جنيبة ولم تعطب بهم حريبة ولم يذهب بحمد الله سبيبة وحمل السلطان بهم وقد نزوا الى الظهور حملة توزعتهم بين عقير سكران من عقار الحدود واسير حيران من اسر القدود وطريد يخاف وقع القواضب وقتيل يرى النجوم الثواقب وصار ما حصل من عدد الفيلة مائتين وسبعين ثقال الاجسام كثقال الغمام وطار الكافر هربا لا يملك عزما ولا يقدر تاخيرا وتقديما وقد كان السلطان قبل ان لقي الكافر ولبس جنوده الدروع والمغافر اخذ فالا من كتاب الله تعالى يمهد عاقبة ما نويه فخرج له قوله تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فلما حقق الله وعده ونصر بفضله جنده ضمن على نفسه ان يفي بواجب عمله عدلا يرفه الانام وغزوا يؤيد الاسلام وشكرا بقيد الانعام لا جرم ان الله حافظه وحاميه ومصيب به اغراض آماله وامانيه والذي

يذخر له من ثواب المعاد اربح مقادير وارجح مكائيل ومعايير

ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاد والقاضي ابي العلاء صاعد بن محمد وما انتهى اليه امرهما بنيسابور

قد كان ابو بكر محمد بن اسحق مرموقا بعين النباهة في صدر هذه الدولة لمكان ابيه من الزهادة وضمه الاطراف على العبادة واقتفاره نهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ابو منصور سبكتكين يرى من عصابته في التزهد والتعفف والتقشف ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين واعيان المتعبدين فحلا ذلك في قلبه كما حلي بعينه والمجاهد في الله محبوب وقد يكرم اهل الشفاعات من له ذنوب واستمر السلطان بعده على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام وايثار طوائف الكرامية بالاكرام حتى قال ابو الفتح البستي فيما شاهد من نفاق اسواقهم

الفقه فقه ابي حنيفة وحده … والدين دين محمد بن كرام
ان الذين اراهم لم يؤمنوا … بمحمد بن كرام غير كرام

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه لما

تورد جيوش الخانية خراسان عند غزوة السلطان ناحية الملتان
فمضوا بنيسابور على ابى بكر احتياطا لانفسهم من شيعته واحتراسا
من غامض مكيدته ونقلوه فى جملتهم حين طلع رايات السلطان
من مغاربها واومضت سيوف الحق عن مضاربها الى ان وجد
منهم فرصة الافلات والسلامة على مس تلك الآفات فاعتد
السلطان ذلك له فى سائر مواتّه واوجب له حقا يلحقه بعين
مراعاته ونبغت من ارباب البدع الباطنية على ما تنامست
به البلاغات والله اعلم بما يجنه الضمائر والنيات فيام وافقت
تصلبا من السلطان فى استيصالهم وتعصبا لدين الله فى اجتياح
امثالهم فحشروا من اطراف البلاد وصلبوا عبرة للعباد وكان
ابو بكر احد اعوان السلطان على رايه حسا اليه وتصويبا
للراي عليه فصار البرئ كالسقيم مذعورا وعاد الملا فى عارض
الخطب شورى وراى الناس ان رتقته السم القاتل ومدّته
الفاصل فنجعوا له بالطاعة وفرسوا له خدود الضراعة وانعقدت
له الرياسة فى لبسة الصوف ولحظته الخاصة والعامة بعين المرجو

والخوف

والخوف ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة الابتداع فاستنزلوا
الناس واستفتحوا الاكياس فمن الظ منهم بكاس رمى بفساد
معتقده او يعطى الجزية عن يده وعبرت على هذه الجملة سنون
لا مطمع لاحد فى تبديل شكلها وتحويل فادح الحال عن اهلها
لا علم بان الزمان بتغير الاحوال ضمين وبالخلاف على صورة الغناء
رهين ومن صبر على الايام راى الرفيع وضيعا والضليع ضريعا و
شاهد عن سموم القيظ صرا كالحا وصفيقا واتفق للقاضى ابى العلاء
صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة اثنتين واربعمائة وهو
الامام المرموق والفاضل الجزل والباذل المحل فغنى اكثر عمره على
الحظ النفيس من ثمر الدرس والتدريس يتطفل عليه الاعمال فياباها
ويصب اليه الاغراض فيرى الخيار فيما عداها ومن حاز شرف العلم
لم يشتر به ثمنا قليلا ولم يعدل به حظا وان كان جليلا فلما حصل
بدار السلام وانهى الى القادر بالله امير المومنين خبره فى حجيج
بيت الله الحرام قوبل بمقتضى حقه فى الاسلام من واجب الاثرة
والاكرام وظاهر التوقير والاعظام وعضد ما كتب الى حضرة السلطان

والزاهد الموفق

فيما تقرر من حاله وفي مهمات اوجب الاحتياط شرحها على لسان
مقاله فلما عاد من وجهه شخص الى حضرة السلطان بغزنة فعرض
ما صحبه وقرر ما تحمله وادى من حق الامانة ما لزمه و
بها الاستاذ ابو بكر محمد بن اسحق فجرى في مجلسه ذكر الكرامية
واطلاقهم القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى لما لا يليق بذاته
الكريم فانف السلطان لهذه الشنعاء من مقالهم والعوراء من
نحوى جدالهم ودعا ابا بكر سائلا عنه وباحثا صورة الحال
منه فانكر اعتقاد ما نسب اليه واظهر البراءة عما احيل به
عليه فسلم مع الانكار عن مس العتب والانكار فاما الباقون
فان الكتب نفذت الى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم
فمن اظهر البراءة عن قوله الشنيع واعتقاده الموجب للتبديع
ترك وشانه من عقد المجالس للتدريس وتشرف المنابر للتذكير
ومن اصر على دعواه ولم يختر لنفسه سواه جعل مغناه عليه
حصيرا ورد لسانه دون الفضول قصيرا وخلع السلطان على القاضي
ابي العلاء خلعة لاقت بجلالة قدره وزخارة بحره ورعاية

امير المومنين

امير المومنين لحقه وايعازه بتمهيد امره وصرف كلا منهما
على جملة الايناس والتفخيم على اعين الناس ولم يزل غصة القول
بالتجسيم ناشبة في صدر ابي بكر تصارع الايام على ثمرة المكافاة
بها الى ان استتب له الامر في عقد محضر على انتحاله مذهب
الاعتزال وتنجز خطوط قوم من الاعيان سلكوا فيه طريق
المساعدة او تنفسوا به عن وغرة المنافسة فغيظ ما لا يطاق
داء دخيل وهم على سر النفوس نزيل واحتيل في عرض المحضر
على السلطان استفسادا لصورته لديه فوقع التدبير موقعه
من الاحفاظ عليه وراى ان يبحث عن صورة المرفوع في احقاق
من صور وابطال من زور فانهض قاضي قضاته واوحد ثقاته
ابا محمد الناصحي من لم يشركه احد في اصطناعه والجذب الى العلاء
بباعه فانه استخصه على طراءة شبابه لخلتين قلما توجدان في
قرح الاسنان فضلا عن احداث الفتيان والشبان وهما العلم
والورع اخوان دونهما الدر بالياقوت والصحة بكفاف القوت
واقعده بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصباح الناس

الدخول في الصباح

من ساطع نوره في التقوى حتى اذا بهر كماله وطفح بالفضل مكياله
ولاه القضاء على القضاة في عامة ديار ممالكه ثقة بتقويه و
امانته وورعه ونزاهته وتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة
ونقاء وروضة للحزن دمثها السماء غشاء نغم وامره بان
يستحضر القاضي ابا العلاء صاعدا وابا بكر الاستاد في وجوه
الرتوت واعيان الشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى
المذكورة على رؤوس الملا من غير محاشاة او جنوح الى مداهنة
ومحاباة فقابل الامر بالامتثال وتجافى عن حرمة العلم بحشمة
الملك وهيبة الجلال وسال ارباب الحفوظ عما عندهم من قضية
الحال وجلية المقال فاما ابو بكر فانه اراد ان يتلافى باغي الخطب
فزعم ان الاشتراك في رتبة العلم احدث بينهما منافسة تنازعا
معها مذهبي التجسيم والاعتزال فلا صح ما نسبني اليه ولا تقرر
ما ادعيته عليه واما الآخرون فمن جار على حكم المساعدة في المحاباة
والمهاودة ومن حادر لثام الاحتشام في التصريح واطلاق
الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عدت الشهادة الى التعصب و

جاوزت حد المعلوم الى التعصب وسيء لذلك وجوه اهل الراي
حتى كادت تثور فتنة لولا ان هيبة السلطان اجرت الالسن الطوال
وضربت على النفوس التطامن والانخزال وتلطف قاضي القضاة
لعرض الحال وتقرير صورة المحال واتفق ان تحين الامير ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان فرصة القول في باب القاضي
ابي العلاء صاعد فنبه على سمته وسيماه وانبا على ورعه
وتقواه والتمس على سبيل التلطف ان يقع تلاف للغضاضة به
وتدارك للمهانة الطارية عليه بعزل من تصدى لمكاشفته
وتعرض لاستفساد مكانته ثوثق به السلطان فيما قال وحدس
ان صاعدا اجل من ان يعتقد الاعتزال وامر باشخاص من انتدب
لمراغمته ومقابلته بما اقتضاه حكم وقاحته واستخلص القاضي
قراره بيته فلم يكن يبرز الا لفرض يقضيه او علم يمليه محتزيا
بالله عن غيره ومقتنعا بما ادره عليه من خيره وراى ان بقية
العمر اعز من ان تضاع على القيل والقال وخدمة فضول الآمال
ومزاولة ما يصم قدر العلم بالابتذال واستناب ولدين له كالفرقدين

او الشعريين ابا الحسين وابا سعيد شريكي عنان في المروة
والفتوة رضيعي لبان في اوامر النبوة واحكام آيات الله
المتلوة في قضاء المواجب واحتمال النوائب فعفى له عن
حقوق الناس وفرغ لعلم النظر والقياس وحظي بمثل ما انبا
عنه ابو الفتح البستي من حاله

قد جمع الله اربعا لي ۞ فيهن عزي وحسن حالي
بلاغ علم مساغ شرب ۞ رفاغ عيش فراغ بالي

نعم واطلق تمادي الايام على نباهة ابي بكر وارتفاع مكانته
واتساع حشمته ومهابته وانبساط ايدي حاشيته في اموال
واعراض اهل ناحيته واستمرار العناد بينه وبين اعيان
الاشراف في جيرته السن الجمهور بحضرة السلطان بما طغى
من حاله وبغى من جرح خياله اذ لا لابا فاعيله واعتمادا
بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله
تداركه الاحتمال مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة
من الانتزاع والعارفة من الارتجاع وابقاء على المحل المرموق

في الله

245

في الله من ان يلم به انحطاط او ينحل له رباط حتى اذا جاوز الاحتمال
حده وامتنع المستزاد بعده عقد السلطان رياسة نيسابور
لابي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد كان جده في دولة آل سامان
محدودا وفي جملة الاعيان والثناء معدودا واثره فيما بين
اثار الرجال محمودا ووافق ابوه ايام السلطان اول مقدمه خراسان
وانتصابه منصب اصحاب الجيوش لآل سامان فانجبل خلقاهما
على مناسبة الشباب وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب
غير انه اغتبط في شبابه فعاد كما بدا وكل امرئ يوما مداه الى
الردى وكان يقرب ابا نصر احمد بن ميكال بقرابة واواصر مستجابة
فنشأ في جملته نشأة المقبل وخرج خروج القدح قدح ابن مقبل
واحدث له شكر النعمة حشمة وصفو الخدمة ادبا وهمة فلما
مضى ابو نصر لسبيله انهى الى السلطان حاله في كيسه وذلاقته و
ظرفه ولباقته فاستحضره ليخبره فوافق اولى النظرة قبولا وظرفا
بمورد الاعجاب مكحولا وازداد على طول الخبرة وفاقا وعلى سوق
الخدمة نفاقا فما نمو الاشياء اصلحها التدبير ولقحها التأثير

والماء النمير حتى سمت به المراتب وتوجهت اليه الرغبات والرغائب
وقابلت حشمته حشمة ارباب الجدود وسادات الاقلام والجدود
وكان غرض السلطان في عقد الرياسة له ان يقمع به من انعقدت
له يد التأله والتعبد وسابقة الترهب والتزهد فقد رد
ان الذي حظي به معقود بالدين فلا سبيل الى حله ولا امكان
ابدا لمستحله ويرجع به الى ما يوجبه حكم التقية من رفض المراتب
العلية والمطامع الدنياوية فلما وردها ساس اهلها سياسة لو
عاش بها زياد لعاد على سياسته بعين استزادته فخفت عليه
حتى صرير الجنادب وسكن حتى دبيب العقارب وهدأ حتى
شغب المراتب وسكت حتى دوي المذاهب وكانما اقبل به شفيف
السناء فلكل سامة او هامة في الوجار انجحار وبالمغار استتار
لقد بث عبد الله خوف انتقامه * على الليل حتى ما تدب عقاربه
ها ان هيبة السلطان هي التي حطمت اللهاميم وخطمت الاقاليم فلو
وكل بعض همته برواسي الجبال لاصبحت منسوفة او بطوامي البحار
لعادت منزوفة فما خطر خطة يتيه بها عن الرشد تائه ويعمى

عندها

عندها عن قصد الصواب نبه او نابه ومن احسن في جنب
ما له فعن عون القدر وحكم الفلك الدوار على البشر ابى الله ان
ان يحمد على ذخر المزيد شهاب او يمدح على سقي المحول ذهاب
وتطرق الرئيس حواشي المقصود فتنزع منهم بعض ما اخذوه رشى
واختسوه ثروة وكسبا ثم نقلهم الى بعض القلاع عبرة لمن اكل
بالله واظهر الزهد ثم لم يتوكل على الله وهم بصاحبهم فاخذه
وارخى من دونه ستره ولم يقصد السلطان قصد استيصاله و
نفضه عن فضول ماله فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة
وغصص الفطام عن العادة وعطف من بعد الى جماعة الاشراف
العلوية ذوي الاقدار العلية فاشعرهم ان حشمتهم بالطاعة موصولة
وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الحد مكفولة فتلقوه بالاجلال
وقابلوا امره بالامتثال علما بانه امين ظل الله في ارضه فما يغني عنه
غير الانقياد والميل على الغلو للاقتصاد واستخلف على الرياسة
عند الشخوص الى الحضرة ابا نصر منصور بن رامش وهو نضربه بقرابة
ابي السلطان الا انطها عليه صيانة له من تعيير الكرام وتثريب الرجال

عند ذكر الارحام وطوع له قياد الاحرار والاشراف الكبار و
الزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا ويخصوا بطاعته جملة و
تفصيلا فمن ورم انفه دون طاعته شريفا كان او مشرفا نفي
عن بلده وعري عما تحت يده فشخصت اليه الاعناق واخذت
بفنائه الاخلاق واستتبت له رياسة لا عهد لاحد بمثلها من
رؤساء خراسان الا ابا عبد الله العصمي فانه بلغ مثلها ولكن على
عمر مديد وعز عتيد وباس شديد وخدم وعبيد ومال بادي
على العفاة هل من مزيد وفرش في زمانه بساط العدل فقواعد
الاخفاش كرجالات الثروة والرياش اشتراكا في الانصاف و
سوق الاحتساب بالدرر فوق الاكتاف فمن بدعة مرفوضة و
رتبة مخفوضة وخدود على الحق مقامة وعيون دون الفضول
منامة وبطلت معها الحانات والمواخير وخرست العيدان والمزامير
وركدت الحان النائحات والسكارى واستوى في الانجاد والتياد
بما وراء الاستار عون النساء والعذارى فاما سوارع اسواق البلد
فقد كانت منذ بنيت نسيا بور فضاء لا يكنها غطاء ولا يظلها دون

السماء

247

السماء سماء تخرقها الاعاصير تارة وتردعها الاهاضيب اخرى
فاما التراب فمثارا واما الانداء فثلوجا وامطارا لم يفطن احد
من ملوك خراسان واصحاب الجيوش بها لالحاقها باخواتها من ديار
خراسان تسقيفا وتستيرا وتنظيفا عن الاقذار وتطهيرا حتى
ورد الرئيس ابو علي فطالب اهلها به فلم يمض شهران حتى سمقت
نحو السماك سقوفها وقامت على دعائم الاعواد حروفها فمن بين
منقش ومزخرف ومدبج بالاصباغ ومفوف تنفتح منها فرج
بقدر ما يملي ضياء النهار على الابصار دون ما يوسع لذرور الغبار
ويمكن لدرور القطار وخمن البصراء استغراق قدر العمارة مائة
الف دينار عن طيب النفوس وفضل الكسوف لم يكلف احد عليها
ولم يستكره دون المنال فيها بل عمتهم المباهاة وشملتهم المباراة
فانفقوا موفرين ومستبصرين ولانفسهم على العجز دون المراد
مستقصرين فمن تسوق تاسعا او عاشرا اليس باديا او ثانيا رده
الى الكاهل قذاله وترك على شغل النظر اشغاله فيالها من سمك
شاخص نحو السماك وزائد فلكا ناميا على الافلاك ولما عاد الرئيس

الى الحضرة وقرر حال ما تولاه ومن عزله وولاه وافق هوى
السلطان ورضاه فصادف تقريرا وتمكينا واحمادا واسعا مستبينا
وسنورد شرح ما يتجدد من هذه الاحوال ان اراد الله ويسره

ذكر الامير صاحب الجيش ابي المظفر نصر ناصر الدين سبكتكين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما ملك خراسان و
اخلاها من شرذمة آل سامان عرف له مواتاته اياه وهجرته
فيما اسمعيل بن ناصر الدين اخاه اعظاما لحق الكبر واعترافا بواجب
الفرض فولاه نيسابور مظنة اصحاب الجيوش الاكابر على وجه
الزمن الغابر سادا به مكانه من قبل اذ هو سائس الجمهور و
مدبر هاتيك الامور ومن وضع اخاه موضعا قد سده قبل
بنفسه ورآه اهلا لبعض قدره قد بالغ في البر والتوقير وخرج
من عهدة التقصير فوليها سنين عدة حميد السير في الخبرة كريم
الفعال في سياسة الرجال وجرى على يده من حميد الآثار في
مطاردة ابي ابرهيم المنتصر عند ركضاته وكفاية ما كان يطرأ
من معرته وشذاته ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان بعد ذلك

ان يجمع به شمله ويصل بمشاهدته حبله فاستدعاه واهل به
مستحمه ومغزاه فلم يزايله بعد بحال ولم يفاصله في حالتي حل
وترحال وكان يراه في مقاماته اول سمح بروحه في المحاماة
على دين الله والمراماة من دون حق الله وواقيا اثناءها بمهجة
نفسه ان كثف زحام او عظم على جيوش حق الله استلحام شفقة
تجيش بها الحمة القربى وشجنة من الرحم الدنيا وكان ينصر مذهب
ابي حنيفة اعتقادا ويرى الاستمساك به رشادا فامر بمدرسة
بنيسابور في جوار القاضي ابي العلاء صاعد بن محمد وانفق مالا حتى
ابتناها وحبس حبائس على من اواها ودارس بامالي العلم في ذراها
فبقيت تذكرة عنه تغدي بالعلم وتراح وتثني عليها الامساء
والاصباح ولم ينقم السلطان طول ايامه منه قولا محالا ولفظا
دون الصواب مستحالا ولا شكا احد من الكبار له جانبا وفعلا
لاشفاق الرؤوس على الاتباع مجانبا وقضى الله تعالى ان خانه
الشباب ولما استوفى امده ونفض باقي العمر فيه يده فلحق
بالواحد الغفار ان الكرام قليلة الاعمار وكتبت في مرثيته رسالة

سئلت ابناتها في ذكره ففعلت اذ كان في ضمنها ما يفي بشرح حاله
وتقرير بعض خصاله وهي

آه من سفرة بغير اياب ۞ آه من فرقة على الآداب
آه من مضجع الامير المفدى ۞ فوق فرش من الحصى والتراب
نصر بن الامير ناصر دين الله ۞ صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درة الشرق ۞ تاج الفخر غوث الكرام والكتاب

نعاء يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا اعيان العلوم يا اخوان النجوم يا شيوخ الاسلام يا عيون الكرام يا احرار الزمان يا انصار السلطان ۞ نعاء الى كل حي نعاء ۞ فتى الكرم احتل ربع الفناء ۞ اتدرون اي ركن انهدم واي حد انثلم واي عقد انفصم واي سوار انفصم واي روض ذبل واي نجم افل واي بحر نضب واي طود تحصب واي خطب نزل واي نضر رحل رحل والله نصر بن الامير الجليل ناصر الدين الامير بن الامير والشهاب بن الاثير والبحر بن الصبير والحبر بن النحرير والعنبر ابن العبير مرخ الملك او عفاره وسور الدين او سواره وركن العز

او غزاره

او غزاره ونور المجد او عراره غارت به بحيرة الادب التي استعذب بها الشفاه وصلت قبلة العلم التي وليت شطرها الجباه وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاة وجفت طينة الفضل التي خدمتها الكفاة وطلقت كريمة البر التي درس عليها التوحيد وغذي بها البائع والوليد واحييت عليها فواصل النهار وجليت عواطل الاسحار وانشقت سماء شام ابناء الدين بوارقها وخاف اخراب الكفر والجحود صواعقها فلا نار ولا ماء ولا خوف ولا رجاء فاضحى به جيب الزمان مشقوقا وسكر الحدثان ممشوقا وبناء العز منقوضا ولواء المجد مخفوضا ودمع الدين مسفوحا وطرف الاسلام مجروحا واقبل العلم في لبسة الفجوع وبزة الخشوع يقرمط خطوه وينفث الى اهله شكوه مغرقا في صعداء تذوب لها جوامد الدموع وتنقد عليها لواحب الضلوع

ولو غير المنون اتاه اهوى ۞ اليه اخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى ۞ صباح الدين مصباح المفاخر
ولكن القضاء له مضاء ۞ يذل العز مضربه المناخر

ألا يا صاحبيّ سمعكما إليّ ان كنتما مسعدين وجامعين إليّ كلتا اليدين

ألمّا على نصر وقولا لقبره ؛ سقتك الغوادي مربعًا ثم مربعا

ويا قبر نصر أنت أول حفرة ؛ من الأرض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر نصر كيف واريت جوده ؛ وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ؛ ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته ؛ كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

بكى الجود لما مات نصر فلم يدع ؛ لعينيه لما أن بكى الجود مدمعا

ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى ؛ وأصبح عرنين المكارم أجدعا

لئن جاز للموت أن يغصب الأمير نصرًا لقد ساغ لي أن أغصبها
معنًا وابن معن من شقيق ملك الشرق وسائس جمهور الخلق و
القاعد من قمة الفرقدين على الفرق سلطان الزمان يمين الدولة
وأمين الملة من دانت لعزه القروم واستكانت لهيبته الترك
والروم ففي بعض خصاله ألف معنًى لم يرق إليه معن بهمته ولم يلق
له ذكرًا في ديوان نعمته نال الحظوة من سلطان زمانه باتفاق أذا
[illegible] الحرب قامت على ساق ودارت كؤوسها بين حاس وساق وقد [illegible]

ابن

ابن نباتة في جوده وفضله بالسخاء عن موجوده ثم لم يتعرض له
قطّ لفعاله ولم يفترق عليه من بعد دها بعزّ جاله وجماله
هذا ان الأمير نصرًا ورث العز أباه ولم يخدم مدى العمر إلا
أخاه ولم يثنه غير فراغ الأكياس عن شغل المواهب وفلول الأسياف
من قراع الكتائب وقطيعة الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى
في طاعة السلطان ولي النعم نشأ بين القرآن والتفسير والإيمان
والتذكير والعلم بالصلوة والصيام والفرق بين الحلال والحرام
وسخّر الورى بطرف العنان وسن العلى بحد السنان قد قسمت
أيامه شرائط السلم بأسمة الثغور والحرب ظاهرة السور فأما المغافر
والبواتر وأما المحابر والدفاتر وأما المحاضر والمنابر وأما القماطر
والمساطر فيومًا في جحيم الغضب ويومًا في نعيم الأدب ويومًا بين
ظلال السيوف ويومًا بين معاني الحروف رقيقة إذا أحمى زج
أو قبيعة وبديهة إذا اختبى حكمة أو شريعة فكم في ديار الهند
له من وقائع أنطقت الحديد وأخرست الوليد وسكوت الشوق
وخرقت العروق وغادرت بيض الرباع في فحمة الليل وخضبت الحدى

عن تميلة الكحيل وكم في نوادي الفضل له من محاسن تلتم أطرافها
الكلم وتعشق أوصافها الأمم وتسجد لأعقابها الحكم وتأوي
إلى برد ظلالها الكرم قد غنيت بذوب العقول عن صفو الشمول
وبحلو المقال عن كعب الغزال وبغرر البراهين عن نزه الرياحين
فالخليل على ذكره محشور وكان سيبويه من طيب نشره منشور
وأئمة الهدى عليه عكوف وملائك العرش حوله صفوف
من صحيفة للذكر منشورة ومن أخرى بأقلام العدل مسطورة
لا لغو فيها ولا تأثيم إلا قيلا صوابا وحديثا كالخالص التبر مذابا
نفس عليه الدهر مكانه إن الدهر غيور وعلى عقائل الزمان
جسور فصرعه كيادا للنظار وأضجعه عنادا للأحرار شاغلا
عن الجود يمينه وعن السجود جبينه وعن الذكر لسانه وعن الغزو
سيفه وسنانه حتى إذا كاد يطمع في انتعاشه واستمكانه
وقد وزن على معيار الفداء بأضعاف جثمانه فجعه بروحه
الطاهرة ونفسه التي لم تغذ إلا لنعيم الآخرة فنحى عن العمر
أنضر ما كان غصن شباب وأنطقه فصل خطاب وأكرمه عود

نضار

نضار وأحفظه حق ذمار وأوثقه بالدنيا دار قرار فكم
هنالك من ستور مهتوكة ودموع مسفوكة وجيوب مشقوقة
ورؤوس محلوقة وصدور مكلومة وخدود بنعال السبت ملطومة
رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
حتى إذا نشر رداء الردى عليه وقربت حمولة البلى إليه تنازعته
أكتاف الرجال كما تنازعته قبل ظماء الآمال فكأن الشمس غبرى
من حثو التراب والأرض غرقى في دموع المصاب والآذان موقورة
من دفع العقائر والأبصار مخطوفة من نقض الغدائر وقد غدت
الوجوه مسفورة للنظار والجموع محشورة للاعتبار والعيون بين
جموم تجري سواقيه وجمود لا تندي مآقيه وودت زهر النجوم
لو صادفن لبيدا فدعون ويلا وتبا وحنّ على المصاب جيلا فجيلا
فأما الليل فقد أحسن فيه من قال وإن ركب الارتجال
لقد بكت الليالي في دجاها لموت القرم مصباح الأنام
كأن أشخاص النجوم الزهر مما تجسم من مدامعها السجام

ويظل هجيري كل ثاكل سائر وصائر الى موقف الوداع جائر

من كان مسرورا بموت اميرنا : فليأت نسوته بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه : بالصبح قبل تبلج الاسحار

يخمشن حر وجوههن على فتى : عف الشمائل طيب الاخبار

قد كن يخبان الوجوه تسترا : فاليوم حين برزن للنظار

ها انا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب شعوبا

واوسعت الاكباد ثقوبا وكظمت النفوس كروبا وسفحت العيون

غروبا ونضحت الوجوه قطوبا ونثرت قنا الاصلاب انبوبا

فانبوبا وسار شخص العلى الى فرصة البلى فريدا وحيدا

لم يغن عنه جوده ولم يجد عليه جنوده ولم تقاتل عنه

خيوله ولم تناضل دونه مرده وكهوله خلا انه فاح ذكاء

مآثره كما فاح حيا كباء مجامره ووهت على غرسه الرقاب كما

وهت حين اثقلها النعم الرغاب

فليس نسيم المسك ريح حنوطه : ولكنه ذاك الثناء المخلف

وليس صرير النعش ما تسمعونه : ولكنه اصلاب قوم تقصف

ايا

ايا ويل العفاة من بعده ما حالهم وما فعلت آمالهم لقد انقصم

والله مجالهم وانقطع دون هاتيك الموات حقهم ومحالهم

كأني بهم غادين على سدة كانت بالانواع تلتزم وبالافواه

تستلم ويعتبر ركناها تمسك ويخدمه اركانها تتنسك

قد اقفرت فلا باب ولا بواب ولا حجاب ولا حجاب يسألون

اين الامير وما فعل السرير واين الحاجب والوزير واين المنادم

والسمير وما هذه الوحشة المستطارة والغبرة المثارة

والظلمة الساجية والعمة الشاجية يقولون ركب الامير يزور

اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي نذر الاعتكاف على ثراه

ويعتذر من هجرة طال عليهما مداه افمن يركب للسلام تخذل

ابوابه ويعدم بوابه ويعزل حجابه ويوحش منتابه ها

انه الركوب فمتى المعاد يقولون ميعاده والله المعاد الم يروا

عروشه بالامس مهدودة وعروسه مخضودة وجياده

مهلوبة وسروجه مقلوبة واياماه مفجوعة وايدي يتاماه

فوق الهام موضوعة هنالك نادوا ثبورا وعلموا انه الحق مقدورا

وقعدوا دون حامة البيت مناحة ويندبوا عين الورى

ادبا وفصاحة وكرما وسماحة وافعالا كما اسفر الصريم

وابن زكفه الكليم مغداه ومراحه يعتبون على الحجاب

وقد غدوا في بيض الثياب اينزع السواد وقد كذب الحداد

الآن احوج ما كنتم اليه نزعتموه هلا خالفتم الرسم للوجوب

ولبستم لبسة المنكوب ووقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب

يا قوم لبس بياض الثوب زينتكم ۞ وقد فجعتم بمولى كله كرم

ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم ۞ ان الحداد على المفقود ملتزم

فطفقوا بيننا يشدون بينهم عتبا على الزمان ويندبه للفضل

والاحسان

يا دهر دونك ما فعلت فقد غدا ۞ بك كل ما يخشى الرجال سليما

من ذا الذي يرجو وفاءك بعدما ۞ غادرت نصرا في التراب رميما

ما كان اعذب شيمة وسجية ۞ والذ مكرمة واطيب خيما

ومن العجائب والعجائب جمة ۞ ان لا تلام وقد غدوت مليما

يا دهر ما لك طول وقتك ترتعي ۞ روض المعالي بارضا وجميما

يا دهر ما لك والكرام اولي النهى ۞ ماذا يضرك لو تركت كريما

لئن سر الامير اباه ببقياه وشفى غلة لوعته وصداه لقد ساء

اخاه بان عدم مثواه وافتقد مصبحه وممساه وكل من بعد

الى نواهس الارض ولواحس التراب قراه لكنه ما يصنع وسيف

القضاء احد وحكم السماء حتم لا يرد

ومن قبله ما قد اصيب نبينا ۞ ابو القاسم النور المبين بقاسم

وخبر قيس بالجلية في ابنه ۞ فلم يتغير وجه قيس بن عاصم

وقال علي في التعازي لاشعث ۞ وخاف عليه بعض تلك المآثم

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة ۞ فتوجر ام تسلو سلو البهائم

لا دردر الموت من وقاح وقرن كفاح ما انشب نابه الا افترس

ولا الج مخلبه الا انتهس سواء عليه الملك المحجب والسلطان المغلب

والفقير المستضعف والسوقة المتنصف

الا انعش هذا الموت كيف اذ تقى الى ۞ حمى قصره العالي المنيع الجوانب

فمر على تلك القنابل والقنا ۞ وجاز على تلك القواضي القواضب

عجبت له والموت ليس بمعجب ۞ وفيه اذا فكرت كل العجائب

لعمري لقد جرّاه حين غزا علي ٭ نهاب النفوس واغتيال الكتائب
وفهمه فتح الحصون وانما ٭ سوامي المراقي ساميات المراتب
ونصره بالفتك في غزواته ٭ ورمي الرزايا وافتراض المضارب
فكر عليه شدة الليث وانتحى ٭ كطوف نحول السوء حول القرائب
ومن عجيب الامور في حكم المقدور ان اخترم الامير الماضي برد الله
حفرته ونور غرته حتف انفه على اختاره بنفسه في تحمل الحتوف
واعتراضه للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد
حين وافى اجله اذ قال ناوزت الحروب منذ عقلت فما في بدني
مغرز ابرة الا وفيه حز ضربة او وخز طعنة وها انا اموت
ميتة الحمار ان الحكم الا لله الواحد القهار او كلاما شبيها به اما
ان خالدا لم يدر ان سيف الله لا يقتل بالسيف وكذلك الفتل
يرنو الى موت الشباب من خصائص البيت وان الله لما جعله
اكرم النفوس مناقب قيض له احمد الامور عواقب وقد فرع
ابن الرومي من هذا المعنى فجود وبيض وجه البرهان بما سود
ان لم يكن ظفر الهيجا منيته ٭ فاكرم النبت يذوي غير مختضد

اما ترى الغرس لا يذوي كرائمه ٭ الا على سوقها في آخر الابد
لمثله السيف قوم يشرفون بها ٭ ليسوا من المجد في غاياته البعد
عن الحياة وعز الموت ما اجتمعا ٭ اسني وابنى لبيت العز ذي العمد
موت السلامة للانسان يغلمه ٭ وانما القتلة الشنعاء للاسد
لم يعمل السيف ظلما في ضرائبه ٭ فلم يسلط عليه كف ذي قود
ولعمري ان الرزية به قدس الله روحه لفاطرة الغموم مشاطرة
بين الرجال على العموم غير ان القاضي ابا العلاء وسائر شيعته و
الشاربين من زلال شرعته اوفر من الاحزان اقساطا واشد
على من ورد الاشجان ارتباطا فقد كان عرف الله تربته لهم
ظلا ممدودا وشربا موردا وكهفا مقصودا ولواء على نصرة الدين
معقودا ولولا ان الله تعالى سد ثلمة المصاب وخلة الاكتئاب
بملك الشرق وسيد العرب وحجة الله تعالى في الارض سلطان الزمان
يمين الدولة وامين الملة اطال الله بقاءه وحفظ على الدين والدنيا
بهاءه وسناءه ففي بقائه عوض من كل ساحب وخلف من كل عازب
او غارب لا يسع القول في عظم هذا النعي وفقد ذلك الشهاب

المضى والنقاب الا المعى غير ان النعمة بحمد الله فيما بقى صافية
اللباس نامية الغراس ناضرة الاكناف حافلة الاخلاف فلا زال
فضل الله عليه عظيما وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما ولا
خلف عنه الزمان يتيما والهمه الله فيما عراه راجحة الصبر
وعرفه فيما غزاه فاتحة النصر ولقاه ملء الوهم مواهب تخرط
الدنيا في سلك ملكه وتقررها بحق الوجوب في قبضة ملكه ورحم الله
ذلك الامير العديم النظير والجليل الفقيد المثل والبديل رحمة
تبرد ضريحه وتقدس روحه وريحه وعرف له مساعيه في
الذب عن دين الله والسعي في سبيل الله والقرض من ماله لاولياء الله
وعوض الله المشايخ السادة عما دهاهم فاوهاهم ثوابا يحفظ
عليهم دينهم ويثقل في موقف العدل موازينهم وجعلنا من المسعدين
ليوم الدين ان حكم الله يفري الجبلى والخلق فيهما شرع والآخر للاول
تبع والحمد لله على كل حال والصلوة على نبيه محمد وآله خير آل

ذكر ما انتهى اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح اخبار السلطان من قصد الوزير شمس الكفاة واقتصاصه

حق

حق الخدمة والموالاة قد سبق في اول الكتاب ما سلف لي الى
الامير ناصر الدين ابي منصور سبكتكين انار الله برهانه من خدمة
وتمهد من آل وذمة وغرست اثناء ذلك في التقرب الى الوزير
شمس الكفاة والتكفل بما رآه والتجرد لما ارضاه ما رجوت على
الايام ايراق شجره وايناق نوره وثمره بعد ان صادفت من
آثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته وما نشا من كريمة المجد
في ضمان ذمته فرأى عند وصولي اليه وعرضي موضوع الكتاب
ومجموعه عليه ان يسمني بالتقليد ويسيرني الى كنج رستاق
على البريد وعليها فرعون بون ابو الحسن البغوي الغوي شيخ ظاهره
نور وباطنه ديجور ومنظره متن السيف ومخبره رد الزيف
واوله مسور العاسل وآخره قرون السنابل فافتتح موفدي
عليه باستهانة لم تناسب حشمة الامر ولا حرمة الاقلام
والمحابر يوهم من جانب انه مبعوث ومن آخر ان الحقد موروث
وقد كذب ان الزعاق من منبع الشريب محال وورائه محبات
الاولاد حلال وما علمنا ان موالاة الابناء معاداة الآباء و

ان والدا يكاشح ولده ويطوي على الداء الدفين معتقده حتى
يباغض من رافقه او عاهده وضرب على وجوب عقد الولاء
يده وسامني خيانة الدين بمواطاته على كبائر تغلق الرتاب
وتوجب في عواقبها العقاب حتى اذا علم ان مثلي لا يقر على الباطل
ولا يرضى باستيكال الايامى والارامل رام ان يغرقني في دردور
يتيه بي في شهور فاختال واكتال وحرش على الامراء الاشبال
وابى الله لعلمه بعباده الا ان يحيق به مكيدته وينكشف عن
افواه الزور وابطال الغرور قصيدته ولما ايس عما رامه والتبس
دون ما جرد له اهتمامه واعتزامه عرج على استنزال شمس
الكفاة بسحر التمويه وعرض صورتي عليه في معرض التشويه موهما
اياه ان لي صغوا في بعض من ناظره يوما على رتبة المقابلة او
وازنه بمعيار الموازاة والمماثلة علما منه بان حلمه لا يستخفه
الا بمثل هذا التأويل وان رايه لا يستنزل الا على مثل هذا التخييل
حتى نفثت فيه رقيته وعملت في استنزاله دخنته فتشرب
حقدا ولا الارض من صوب العهاد والكف من وشم السواد

والثوب

والثوب من لون الحداد او صبغ الفصاد وعلم الله تعالى اني لم اكن
لاضمر كدرا على صفاء او اسر حسوا في ارتغاء او استجيز
غمضا لصنيعة او طمسا على عين شريعة غير من نكب عن نهج الوفاء
وعتب دون فرض النعماء وودع حق المنعم المثيب ورد المجد
على زارة القليب ونزعني عما قلدنيه بقدم من اهل جرجان
لا يعرف الرشد من الغي ولا الظل من الفيء ولا النشر من الطي
ولا النقد من اللي ولا الاثبات من النفي ولا جرجان من الري
شومة بوهة قد صيغ من طول القفا وزرقة البزاة ولثقة
الدواة وصفاقة الصفاة وتجدير الصحف بالعشرات طالما اخر
عن العشور تشمما للشراب وتكففا للعصا في الجراب وتصرفا على المكس
بالصروف وتهجيا للالف بنقطتين من بين الحروف وطفق من بعد
يرضخ لكنة عجمية في شعر كشعرة الموصوف بوبارة الصوف
مسميا كل صراف واسكاف وعطار وبيطار على شعر صفقته
الا لي اذا السلعة نائمة والحلة رائمة والسبحة ممطورة
والنخلة مابورة وغبر زمانا على هذه الجملة في الوقاحة والوقاحة

ثم انتجع خراسان ببضاعته المزجاة فوافقت على النظر لقاء
قبولا ولبست من عز العطاء غرة وحجولا فلما تعقبها السائل علم
ان خرق الانتقاد ضيع المال واورث الوبال فاهمل محلولا
وعود في قدر شعره مرذولا الى ان غر شمس الكفاة من
نفسه فاختاره علي ونفذ معه مكيدة البغوي الغوي في قصد
من المكروه في الروح دون سائر الممنوح بما لولا مكان الامير
السيد ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة وفضل
احسانه واستنقاذه اياي من فجوات اشداقهما باحد عمائد
لتراقى الخطب الى ما يعز تلافيه ولغلق رهن الحيوة بما فيه
ولو كنت علمت من سيرة البغوي قبل ما عرفته بعد لاستعفيت
من جواره واحترست من مساقط احجاره لكن السرائر

بيد الله لا يكشفها الا الاختبار

والظلم في خلق النفوس فان تجد

ذا عفة فلعلة لا يظلم

وكتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتقرير سجاياه

لولا ان الهمه الله الاناة واشعره الحصاة فنقر ونقب واستشف
اعطاف البلاغ فعل من جرب ودرب لثارت علي منه
داهية لا تبقي ولا تذر ولاستطارت عباقية تفني عليها
السر والبشر لمن الله تعالى بان فضح الفاضح فيما زوره وكسف
وجهه وكوره واهواه فيما حفره وخنقه بقوي ما ضفره
وسخم وجهه بنوور الافتعال وكشف عورته بفحول الرجال
وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الاحوال فمن قرا هذه الفصول
فليحمد الله على السلامة من مثلها والبراءة من فوادح الاوزار و
فوادح النار بها وليعلم ان الاساءة تعقب على الايام عنا نقيلا
راغبا وبيلا وخطبا جليلا ولسانا كالحسام صقيلا وقبح الله
من نقص عمره على زيادة الاثام ومساءة الانام وحيازة الملام
ورحم الله عبدا قال امينا والحمد لله كفاء افضاله والصلوة على نبيه
محمد خير البرية واله تم بعون الله تعالى
في تاريخ ١٢ شهر ربيع الاول سنة ١٠٣ على يد
احوج عباد الله الغني محمد عفا عنه
بالنبي والوصي واله الطاهرين

من باز آب آتشین در جام جم گردان کنم خام چرخ افسرده را من پخته بریان کنم

أضعت مفتاح صبري أيها القمر … أنت افتتنت لا بتقوى ولا نذ[ر]

يا قائلي من أذى السهم منك على … مقاتلي وهو لا سهم ولا و[تر]

المؤلف محمد بن عبد الجبار O. 427

تاريخ العتبي المسمى باليمينى

Süleymaniye Kütüphanesi
Hasan Hüsnü Pş
Eski 832